

الفقيه الأكبر

بشرح قطف الثمر

في بيان

عقيدة أهل الأثر

لصديق بن حسين نقوي رحمه الله

تأليف

أبي عمرو عبد الكريم بن أحمد بن حسين نقوي

تقديم فضيلة الشيخ العلامة

محمدي بن علي (النقوي) حفظه الله تعالى

المجلد الثالث

دار الأمانة
للنشر والتوزيع



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع القانوني : ٢٠٠٨/٨٢٤٥

دار الأناضول

٢٨ منهية التحرير / غير السريس / عين شمس الشرقية - القاهرة ، ج.م.ع

٢٦٤٢٢٣٢٣ فاكس ٢٦٣٦٣٧٨٦ ت

موقعنا على الإنترنت ، www.dar-alathar.com البريد الإلكتروني info@dar-alathar.com

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

وأما عيسى ابن مريم عليه السلام فتقدم فيما ذكره المصنف أين ينزل والدليل عليه وقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وروى البخاري برقم (٣٤٤٩) ومسلم (١٥٥) - ٢٤٤، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ؟».

وفي صحيح مسلم برقم (١٥٦) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وهذا من أدلة نزوله عليه السلام ومكان نزوله.

صفة عيسى عليه السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَى»، قَالَ: فَتَعَتَهُ: «فَإِذَا رَجُلٌ - حَسْبَتْهُ قَالَ مُضْطَرِبٌ - رَجُلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَاءَ»، قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَى»، فَتَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «رَبْعَةُ أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ يَعْنِي الْحَمَامَ، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ قَالَ: وَأُنِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا لَبَنٌ وَالْآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيْهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ فَقِيلَ لِي: هُدَيْتَ الْفِطْرَةَ، أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ».

رواه البخاري برقم (٣٤٣٧)، ومسلم (١٦٨).

وعند البخاري برقم (٣٤٤٠)، ومسلم (١٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكُعْبَةِ فِي الْمَتَامِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ آدَمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَتِهِ بَيْنَ مَنْكِبَيْهِ رَجُلٌ الشَّعَرِ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَغْوَرَ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَسْبَحِهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنِ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنْكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالُ».

وفي البخاري برقم (٣٤٤١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِيسَى: أَحْمَرُ، وَلَكِنْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يَهْدِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْظِفُ رَأْسَهُ مَاءً أَوْ يَهْرَاقُ رَأْسَهُ مَاءً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ».

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٦/٤٨٥-٤٨٦):

قوله: آدم بالمد أي أسمر، قوله: كأحسن ما يرى، وفي رواية مالك عن نافع الآتية في كتاب اللباس: كأحسن ما أنت راء.

قوله: تضرب لمته بكسر اللام أي شعر رأسه، ويقال له إذا جاوز شحمة الأذنين، وألم بالمنكبين لمة، وإذا جاوزت المنكبين فهي جمّة، وإذا قصرت عنها فهي وفرة.

قوله: رجل الشعر، بكسر الجيم أي قد سرحه ودهنه، وفي رواية مالك: له لمة قد رجلها، فهي تقطر ماء، وقد تقدم أنه يحتمل أن يريد أنها تقطر من الماء الذي سرحها به، أو أن المراد الاستنارة، وكفى بذلك عن مزيد النظافة والنضارة.

ووقع في رواية سالم الآتية في نعت عيسى أنه آدم سبط الشعر، وفي الحديث الذي قبله في نعت عيسى أنه جعد، والجعد: ضد السبط؛ فيمكن أن يجمع بينهما بأنه سبط الشعر، ووصفه لعودة في جسمه لا شعره، والمراد بذلك اجتماعه واكتنازه، وهذا الاختلاف نظير الاختلاف في كونه آدم، أو أحمر، والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، والآدم الأسمر، ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب، كالتعب وهو في الأصل أسمر، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمر، فظهر أن ابن عمر أنكر شيئاً حفظه غيره.

وأما قول الداودي: إن رواية من قال آدم أثبت، فلا أدري من أين وقع له ذلك؛ مع اتفاق أبي هريرة وابن عباس على مخالفة ابن عمر، وقد وقع في رواية عبد الرحمن ابن آدم عن أبي هريرة في نعت عيسى أنه مربوع إلى الحمرة والبياض، والله أعلم. اهـ.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٤٣٨) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى فَأَدَمٌ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ».

ويحكم عيسى ابن مريم بشريعة محمد ﷺ، وهي الإسلام:

ففي صحيح البخاري برقم (٣٤٤٨)، وصحيح مسلم برقم (١٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشَكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنَزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾» [النساء: ١٥٩].

وعند البخاري برقم (٣٤٤٩) ومسلم برقم (١٥٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

وفي صحيح مسلم برقم (١٥٦) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ: لَا إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى في الفتح (٦/ ٤٩١-٤٩٢) في

شرح حديث أبي هريرة:

قوله: ليوشكن بكسر المعجمة أي ليقربن أي لا بد من ذلك سريعاً.

قوله: أن ينزل فيكم: أي في هذه الأمة؛ فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

قوله: حكماً أي حاكماً، والمعنى أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة، فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة، وفي رواية الليث عن

ابن شهاب عند مسلم حكماً مقسطاً، وله من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب: إماماً مقسطاً، والمقسط العادل، بخلاف القاسط فهو الجائر، ولأحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: أقرءوه من رسول الله السلام، وعند أحمد من حديث عائشة: ويمكن عيسى في الأرض أربعين سنة، وللطبراني من حديث عبد الله بن مغفل: ينزل عيسى ابن مريم مصداقاً بمحمد على ملته.

قوله: فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير: أي يبطل دين النصرانية؛ بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير، وتحريم أكله، وأنه نجس لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في أواخر البيوع ووقع للطبراني في الأوسط من طريق أبي صالح عن أبي هريرة: فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، والقرد، زاد فيه القرد، وإسناده لا بأس به، وعلى هذا فلا يصح الاستدلال به على نجاسة عين الخنزير؛ لأن القرد ليس بنجس العين اتفاقاً.

ويستفاد منه أيضاً تغيير المنكرات، وكسر آلة الباطل، ووقع في رواية عطاء بن ميناء عن أبي هريرة عند مسلم: ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد.

قوله: ويضع الحرب في رواية الكشميهني الجزية، والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له، فترك الجزية استغناء عنها.

وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة، ويكون كثرة المال بسبب ذلك، وتعقبه النووي وقال: الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام.

قلت: ويؤيده أن عند أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: وتكون الدعوى واحدة، قال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية، مع أنها مشروعة في هذه الشريعة: أن مشروعتها مقيدة بنزل عيسى لما دل عليه هذا الخبر، وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ بقوله هذا.

قال ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال؛ فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد.

ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب، وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصIRON كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم هكذا ذكره بعض مشايخنا احتياطاً، والله أعلم. اهـ

المهدي:

قوله: (ويظهر المهدي المنتظر):

صفة المهدي:

روى الإمام أحمد في المسند (١٧/٣) من طريق مَطَرِ بْنِ طَهْمَانَ، عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي أَجْلَى أَقْنَى يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَذْلًا كَمَا مِلْتُ قَبْلَهُ ظُلُمًا».

ومطر بن طهمان وهو الوارق ضعيف، لكنه متابع عند أبي داود برقم (٤٢٨٥)، والحاكم (٥٥٧/٤) من طريق عمرو بن عاصم الكلابي حدثنا عمران القطان حدثنا قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد فذكره.

وزاد «أقنى الأنف» وقال الحاكم عقبه: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وعمران القطان وهو ابن داور ضعيف فالحديث بالطريقين حسن لغيره، ما عدا زيادة «الأنف» فهي ضعيفة.

وتقدم معنى أجلى .

ومعنى أقنى قال في النهاية (١١٦/٤):

القنى في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه. اهـ

على أن لفظ الأنف ضعيف كما تقدم.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا، أَوْ قَالَ لَا تَنْقُضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَيُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي».

رواه أحمد في المسند (٣٧٦-٣٧٧)، والترمذي برقم (٢٢٣٠).

وعند أبي داود (٤٢٨٢) بزيادة «واسم أبي».

وسنده حسن.

فيكون اسمه محمد بن عبد الله، أو أحمد بن عبد الله.

أما حديث: «المهدي (من عترتي) ولد فاطمة»:

فرواه أبو داود برقم (٤٢٨٤)، وابن ماجه برقم (٤٠٨٦) بدون ذكر ما بين

القوسين برقم (٤٠٨٦) من طريق زياد بن بيان، عن علي بن نفيل، عن سعيد بن المسيب، عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره.

وزياد بن بيان قال الذهبي في الميزان (٨٧/٢): لم يصح حديثه، وقال البخاري

في إسناده حديثه نظر.

وأورد هذا الحديث في ترجمته ثم قال: قال النسائي ليس به بأس. اهـ.

وفي تهذيب التهذيب (٣١٤/٣) قال: وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان

شيخاً صالحاً. اهـ.

ووثقه أبو المليح الرقي الحسن بن عمر كما في الكامل لابن عدي وقال ابن

عدي في الكامل (١٠٥٣/٣):

والبخاري إنما أنكر من حديث ابن بيان هذا الحديث وهو معروف به. اهـ.

والمندري في مختصر سنن أبي داود (١٦٠/٦): بعد نقل كلام البخاري:

وقال غيره: هو كلام معروف من كلام سعيد بن المسيب. والظاهر أن زياد بن

بيان وهم في رفعه. اهـ.

قلت: فالحديث ضعيف، وقد أنكر على زياد بن بيان، والرجل لا ينزل عند صدوق كما قال الحافظ في التقريب، ولم يصب صاحباً التحرير في تعقبها الحافظ في ذلك.

وأما حديث: «المهدي من ولد العباس عمي»:

من حديث عثمان رواه الدار قطني في الأفراد، وهو موضوع كما في الضعيفة للألباني رقم (٨٠).

أما حديث: «المُهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ يُصْلِحُهُ اللهُ فِي لَيْلَةٍ»:

فقد رواه أحمد في المسند (٨٤ / ١)، وأبو يعلى برقم (٤٦٥) وغيرها من طريق ياسين العجلي، عن إبراهيم بن محمد الحنفية، عن أبيه، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

وياسين العجلي قال أبو زرعة وابن معين: لا بأس به، وقال البخاري: فيه نظر، وذكر الحديث ابن عدي في الكامل (٢٦٤٣ / ٧) في ترجمة وقال:

وياسين العجلي هذا يعرف بهذا الحديث (المهدي) رواه أبو داود الحفري وأبو نعيم والثوري على ما ذكرناه وهو يعرف به . اهـ.

وقال العقيلي في الضعفاء (٤٦٦ / ٤):

لا يتابع ياسين على هذا اللفظ، وفي المهدي أحاديث صالحة الأسانيد من غير هذا الطريق . اهـ.

وقد تابعه ابن أبي حفصة عند أبي نعيم أخبار أصبهان (١/ ١٧٠)، وسالم بن أبي حفصة ضعفه عمرو بن علي وقال: يفرط في التشيع، وقال أبو حاتم: هو من عتق الشيعة يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال ابن عدي: له أحاديث، وعامة ما يرويه في فضائل أهل البيت، وهو من الغالين في متشيعي أهل الكوفة، وإنما عيب عليه الغلو فيه، وأما أحاديثه فأرجو أنه لا بأس به.

وقال العقيلي: ترك لغوه، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار، ويهم في الروايات، ووثقه ابن معين، وقال الإمام أحمد: كان شيعياً ما أظن به بأساً في الحديث، وهو قليل الحديث.

اهـ من التهذيب بتصرف، فهو ضعيف مع تشيعه.

وإبراهيم بن محمد بن الحنفية وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات وقال الحافظ في التقریب: صدوق.

لكن البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣١٧) قال:

قال لي أبو نعيم: حدثنا ياسين العجلي، عن إبراهيم بن محمد بن علي بن الحنفية، عن أبيه، عن علي رفعه: «المهدي منا أهل البيت» وفي إسناده نظره. اهـ.
فالحديث ضعيف.

وأما قول علي رضي الله عنه: إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِاسْمِ نَبِيِّكُمْ، يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي الْخَلْقِ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا.

فرواه أبو داود في سننه برقم (٤٢٩٠) قال:

حَدَّثْتُ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَقَ قَالَ: قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ فَقَالَ وَذَكَرَهُ.
وفيه ثلاث علل:

الأولى: الوقف.

الثانية: إبهام شيخ أبي داود لا يُدرى من هو.

الثالثة: عدم سماع أبي إسحاق من علي، وقد رآه كما في تحفة التحصيل (ص ٢٤٥-٢٤٦).

فالحديث ضعيف.

فالحاصل أن المهدي من أهل البيت، ولا يثبت تعيينه من ولد مَنْ.

أما اسمه فيوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه.

وقد نص غير واحد على تواتر أحاديث المهدي على أن المتواتر نفسه لم يكن مذكوراً عند السلف، وهي تسمية حادثة من لدن أهل البدع، والذي لا يؤمن بها ثبت من خبر الآحاد لا يتهيب رد ما تواتر؛ لأن المسألة تدور مع الهوى لا مع ما قَعَدُوا من رد خبر الآحاد في العقيدة وقبول المتواتر كما زعموا.

مكان خروج المهدي:

روى ابن ماجه رحمه الله برقم (٤٠٨٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَّالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ

بَيَّنَّ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيَقَاتِلُونَ فَيَنْصُرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلُؤُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَأُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ».

وفي سنده يزيد بن أبي زياد ضعيف جدًا، وشيعي كما في ترجمته من التهذيب.
وجاء عند الحاكم (٤/ ٤٦٤) وتابع يزيدًا عمرو بن قيس الملائي، عن الحكم، عن إبراهيم، وقال الذهبي في التلخيص: قلت: هذا موضوع.
وفي سنده عند الحاكم أبو بكر بن دارم واسمه أحمد بن السري رافضي كما في الميزان (١/ ١٥١).

وحنان بن سريّر قال الدار قطني: من شيوخ الشيعة كما في رجال المستدرك (١/ ٣٤٧)، ويزيد بن محمد الثقفي لم يجد شيخنا في رجال المستدرك له ترجمة.
ورواه ابن ماجه برقم (٤٠٨٨) من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي أن رسول الله ﷺ قال: «يَخْرُجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَيُوطِئُونَ لِلْمَهْدِيِّ».
يَعْنِي سُلْطَانَهُ.

وفي سنده ابن لهعيا ضعيف.
وعمر بن جابر الحضرمي.
قال أحمد بلغني أنه كان يكذب، وروى عن جابر أحاديث منكير، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الجوزجاني: غير ثقة على جهل وحق.

وقال ابن حبان: لا يحتج بخبره، وقال الأزدي: كذاب، وقال ابن عدي: فيما يرويه مناكير وبعضها مشاهير إلا أنه في جملة الضعفاء ومن جملة الشيعة، وكان الناس يذمونهم من الوجهين في قوله في علي ومن ضعفه في روايته.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث عنده نحو عشرين حديثاً، وقال ابن لهيعة: شيخ منا أحق كان يقول: إن علياً بالسحاب، وذكره البرقي فيمن ضعف بسبب التشيع، وهو ثقة، وذكره يعقوب بن سفيان من جملة الثقات.

اهـ من تهذيب التهذيب بتصرف.

فالحديث ضعيف جداً.

وجاء عن ثوبان عند أحمد في المسند (٢٧٧/٥) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ حُرَّاسَانَ، فَأَتَوْهَا فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمُهَدِّيَّ».

وفي سنده شريك وهو ابن عبد الله النخعي القاضي سيء الحفظ، وعلى بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف شيعي، ترجمه الذهبي في الميزان (١٢٧/٣-١٢٩) وذكر الحديث في ترجمته وقال: قلت: أي أراه منكراً.

وقد رواه الثوري وعبد العزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة

فقال أسماء^(١) عن ثوبان. اهـ.

والعلة الثالثة بينها الذهبي وهي الانقطاع بين أبي قلابة وثوبان.

(١) كذا وصوابه: عن أبي أسماء، وهو عمرو بن مرثد الرحبي.

وقد رواه ابن ماجه برقم (٤٠٨٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٥١٥): من طريق عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابه، عن أبي أسماء، عن ثوبان مرفوعاً فذكره .

وقال البيهقي عقبه: تفرد به عبد الرزاق، عن الثوري وروي من وجه آخر عن أبي قلابه وليس بالقوي، ثم ذكره في (٦/٥١٦) من طريق الحاكم، وهو عند الحاكم (٤/٥٠٢) من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن خالد به فذكره موقوفاً .

وهذا ميول من البيهقي رحمه الله إلى ترجيح الموقوف، وقد تقدمت الأدلة في نزول عيسى، وأنه يجد المهدي إماماً لهذه الأمة، ونزول عيسى بالشام ولم أرى دليلاً ثابتاً بتعيين مكان خروج المهدي إلا أن خروجه في آخر الزمان قبل نزول عيسى، وتقدم اسمه وصفته.

وأما الرافضة الدجاجة فزعموا أنه يخرج من سرداب سامراء، وأن محمد بن الحسن محتف فيه، وهم ينتظرون خروجه ولقد أحسن من قال:

ما أن للسرداب أن يلد الذي حملتموه بجهلكم ما أنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا
وسامراء مدينة بالعراق قريب بغداد، وإنما يأتي من المشرق كل شر كما دلت الأدلة الكثيرة على ذلك .

أما كلمة (المنتظر) فخطأ، قال الشيخ العثيمين رحمه الله في المناهي اللفظية (ص ١٩٧-١٩٨):

أما كلمة المهدي المنتظر فهذا مهدي الرافضة الذي يدعون أنه في سرداب في العراق، وأنه حي، وأنه ينتظر الفرج، وأنه سوف يخرج وجهًا لهم - كما نقل عنهم السفاريني رحمه الله - يخرجون في صباح كل يوم عند هذا السرداب ومعهم فرس ورمح وماء وعسل وخبز.

كل يوم يقولون: ننتظر خروجه في هذا الصباح من أجل أن يفطر بالخبز والعسل والماء، ثم يركب الفرس برمحه ويخرج إلى الناس يقاتل الظلمة؛ لأن عندهم أو كثير منهم أن كل الناس ظالمون حتى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ظلمة في رأيهم. إلى أن قال رحمه الله: فإرداف كلمة «المنتظر» بكلمة «المهدي» هذه مأخوذة من الرافضة.

ونحن نقول: إن هذا المهدي - أعني مهدي أهل السنة لا مهدي الرافضة - سوف يخرج إن اقتضت حكمة الله تعالى ذلك إلخ.

المنكرون للمهدي:

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد أبو زيد، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار (٤٩٩/٩ - ٥٠٤) هذا التفسير الذي حقه أن يسمى تفسير الظلام.

وقد تكلم محمد رشيد رضا في هذا الموضوع بكلام ممجوج مردود على قائله يدل على خبثه ومعارضته للأدلة بهواه، فليت كتابه هذا يحرق، وتُطَهَّر المكتبة الإسلامية منه.

وكذا الغزالي كما في السلسلة الصحيحة (٤/ ٤٢).

وأنكر المهدي عبد الله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم القطرية، ورد عليه الشيخ حمود التويجري رحمه الله بكتاب نفيس سماه (الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر).

وأما حديث: «لَا الْمُهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»:

فرواه ابن ماجه برقم (٤٠٣٩)، والحاكم (٤٤١ / ٤) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْجَنْدِيِّ، عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلَا مَهْدِيٌّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ».

قال الذهبي في الميزان (٣ / ٥٣٥ - ٥٣٦): محمد بن خالد (ق) الجندي عن أبان عن أبي عياش عن الحسن عن النبي ﷺ.

قلت: فانكشف ووهى. اهـ

قال ففيه عدة علل:

الأولى: ضعف محمد بن خالد الجندي .

الثانية: أنكر عليه الحديث .

الثالثة تفرد يونس بن عبد الأعلى به عن الشافعي .

الرابعة: انقطاعه بين يونس والشافعي .

الخامسة: عدم سماع أبان من الحسن .

السادسة: عنعنة الحسن عن أنس .

السابعة: إرسال الحسن .

يأجوج ومأجوج:

قوله: (ويخرج يأجوج ومأجوج):

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ
* وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ
مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٩٦-٩٧].

وقال تعالى في سياق قصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيلًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ
السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا
* قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ
الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ
عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي
بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٢-٩٩].

قال القرطبي في تفسيره (١١ / ٥٥-٥٦):

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

قال الأخفش: من همز يأجوج فجعل الألفين من الأصل يقول: يأجوج يفعل،
ومأجوج مفعول، كأنه من أجيج النار، قال ومن لا يهمز ويجعل الألفين زائدتين
يقول: ياجوج، من يججت، وماجوج من مججت، وهما غير مصروفين، قال رؤية:

لو أن ياجوج وماجوج معا وعاد عاد واستجاشوا تبعاً

ذكره الجوهري، وقيل إنما لم ينصرفا لأنها اسمان أعجميان، مثل طالوت وجالوت غير مشتقين، علتاهما في منع الصرف العجمة والتعريف والتأنيث، وقالت فرقة: هو معرب من أج وأجج، علتاه في منع الصرف التعريف والتأنيث.

وقال أبو علي: يجوز أن يكونا عربيين فمن همز (يأجوج) فهو على وزن يفعول، مثل يربوع من قولك أجت النار أي ضويت، ومنه الأجيح، ومنه ملح أجاج، ومن لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزة فقلبها ألفاً، مثل رأس.

وأما مأجوج فهو مفعول من (أج)، والكلمتان من أصل واحد في الاشتقاق، ومن لم يهمز فيجوز أن يكون خفف الهمزة، ويجوز أن يكون فاعولاً من مج، وترك الصرف فيهما للتأنيث والتعريف؛ كأنه اسم للقبيلة.

واختلف في إفسادهم؛ فقال: سعيد بن عبد العزيز إفسادهم أكل بني آدم.

وقالت فرقة: إفسادهم إنما كان متوقعاً أي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم.

وقالت فرقة: إفسادهم هو الظلم، والغشم، والقتل، وسائر وجوه

الإفساد المعلوم من البشر. والله أعلم. اهـ

وفي صحيح مسلم برقم (٢٩٣٧) عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيَخْرِجُهُمْ بِدَرَجاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَيَسْتَأْذِنُ هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِيَّايَ قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرَّزُ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهِذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى

يَكُونُ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّفْعَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرَسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ رَهْمُهُمْ وَتَنَتُّهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُحْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُ مِنْهُ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَنْزُكَهَا كَالرَّلَقَةِ، ثُمَّ يَقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِئِي كَمَرَاتِكَ وَرُدِّي بَرَكَاتِكَ، فَيَوْمِئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقُحْفِهَا وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِتَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخْدَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ أَبْطِطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ».

وروى البخاري برقم (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِعَا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِئْسَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذِهِ»، وَحَلَقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخُبْتُ».

وقد نبهت على اختلاف ألفاظ هذا الحديث في كتابي عقود الحجات على اللؤلؤ والمرجان، وأنا لا ألزم التنبيه على الألفاظ في بقية كتبي في غير عقود الجمان، وتحقيق

العمدة لأنها في بابها وغيرهما أنبه على المهم وما عداه فيكفي أن يكون الحديث متفق عليه.

وعن أبي هريرة عند البخاري برقم (٣٣٤٧)، ومسلم (٢٨٨١) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَتَحَّ اللَّهُ مِنْ رَذَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْجَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخُسُوفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ».

صفة يأجوج ومأجوج:

هم من بني آدم:

ففي صحيح البخاري برقم (٤٧٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ: يَقُولُ أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ حِينَ يَنْشِبُ الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].»

قَالَ: فَاسْتَدَّ عَلَيْهِمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ آيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا، وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا».

قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث برقم (٣٣٤٨) من الفتح (٤٦٦/٦) وقد أشار النووي^(١) وغيره إلى حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منه بتراب، فتولد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله، وهو قول منكر جدًا لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب . اهـ.

وقد ورد في أوصاف يأجوج ومأجوج أخبار لا تمت للصحة بصلة، بل هي إسرائيليّات، وبعضها ضعيف، فلا داعي لتسويد الصفحات بها، ويكفي أنهم من ولد آدم وهم خلق قوي سلطهم الله للاختبار والابتلاء بهم.

وقد بنى ذوا القرنين عليهم سدًا ولا يزالون فيه حتى يكون اليوم الذي يأذن الله لهم فيه بالخروج فيخرجون.

وروى الإمام أحمد في مسنده (٥١٠-٥١١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا، فَسَتَحْفَرُونَهُ غَدًا فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْعَثَهُمْ إِلَى النَّاسِ

(١) في شرح مسلم (٩٣/٣) وهو قول كعب الأحبار.

حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفَرُونَهُ
غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْتَنْبِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ فَيَحْفَرُونَهُ،
وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَسْأَلُونَ الْمَيَّاءَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ
بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا
أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعَقًا فِي أَفْقَائِهِمْ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ دَوَّابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ شُكْرًا
مِنْ لَحْمِهِمْ وَدِمَائِهِمْ».

هذا حديث صحيح .

وعند أحمد في المسند (٧٧/٣) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنْ
كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى
مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مَيَّاءَ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ
بَعْضُهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهْرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ حَتَّى يَتْرَكُوهُ يَبَسًا حَتَّى إِنْ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ
بَذَلِكَ النَّهْرِ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي
حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ بَقِيَّ أَهْلِ السَّمَاءِ
قَالَ: ثُمَّ يَهْزُ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ، ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ مُحْتَظِبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ
فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ كَنَغْفِ الْجُرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ،
فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي نَفْسَهُ فَيَنْظُرُ مَا
فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ؟ قَالَ: فَيَجْرَدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظْنَهَا عَلَى أَنَّهُ

مَقْتُولٌ فَيَنْزِلُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أَلَا
أَبَشِّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَذَابَكُمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ وَيُسَرَّحُونَ
مَوَاشِيَهُمْ فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لِحَوْمِهِمْ، فَتَشْكُرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكُرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ
النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطٌّ.

وهو حسن من أجل محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث .
مكان السد:

لا يعلم مكانه إلا الله، وقد علق البخاري في كتاب الأنبياء باب قصة يأجوج
ومأجوج قال: قال رجل للنبي ﷺ: السد مثل البرد المحبر قال قد رأيته .
قال الحافظ في الفتح (٤٦٦/٦):

وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل
المدينة أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: «كيف
رأيته؟»

قال مثل البرد المحبر، طريقة حمراء، وطريقة سوداء، قال: «قد رأيته».

ورواه الطبراني من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة أن
رجلاً أتى النبي ﷺ فقال فذكر نحوه، وزاد فيه زيادة منكرة وهي: «والذي نفسي
بيده لقد رأيته ليلة أسري بي، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة»، وأخرجه البزار من
طريق يوسف بن أبي مريم الحنفي عن أبي بكرة ورجل رأى السد فساقه مطولاً. اهـ
وقد ذكر ابن كثير عند الآية فقال رحمه الله:

قال ابن جرير: حدثنا بسر حدثنا يزيد حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج؟ قال: «انعته لي» قال: كالبرد المجرد طريقة سوداء، وطريقة حمراء، قال: «قد رأيته».

هذا حديث مرسل ١٠هـ.

قلت: فيه عنعنة قتادة .

وطريق الطبراني في سندها سعيد بن بشير ضعيف، وجهالة الرجلين الذين روى عنهما قتادة .

وطريق البزار فيها يوسف بن أبي مريم، وقد ترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٣٢/٩)، والبخاري في التاريخ (٣٨٥/٨)، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً بلا فهو مجهول.

فالحديث لا يثبت ولو ثبت لما كان فيه تعيين المكان ونحن لا ننكر وجود السد، فإن وجود السد لا ينكره إلا ضال، لكن لم يثبت تعيين مكانه .

فائدة:

قال ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]:

وقد بعث الخليفة الواثق في دولته بعض أمرائه، وجهاز معه جيشاً سرية لينظروا إلى السد، ويعاينوه، وينعتوه له إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن ملك إلى ملك، حتى وصلوا إليه ورأوا بناءه من الحديد، ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً، وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن، والعمل في برج هناك، وأن عنده

حرسًا من الملوك المتآخمة له، وأنه عال منيف شاهر، لا يستطيع ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائب. اهـ.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٦/٢) ط ابن الجوزي:

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلاً من جهته، وكتب لهم كتباً إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينهوا إلى السد فيكشفوا عن خبره، وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أي صفة، فلما رجعوا أخبروا عن صفته، وأن فيه باباً عظيماً، وعليه أقفال، وأنه بناء محكم شاهر منيف جداً، وأن بقية اللبن الحديد، والآلات في برج هناك، وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتآخمة لتلك البلاد، ومحلته في شرقي الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية، ويقال إن بلادهم متسعة جداً، وأنهم يقتاتون بأصناف من المعاش، من حراثة، وزراعة، واصطياد من البر، ومن البحر، وهم أمم، وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم. وهذا مع كونه بدون إسناد ليس فيه تعيين موضعه.

فتح ردم يأجوج ومأجوج:

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٦/٢):

فإن قيل فما الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نوم محمراً وجهه، وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم

يأجوج ومأجوج مثل هذه»، وحلق تسعين، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

وأخرجاه في الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا»^(١) وعقد تسعين.

فالجواب: أما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر، والفتن، وأن هذا استعارة محضة، وضرب مثل، فلا إشكال.

وأما على قول من جعل ذلك إخبارًا عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال أيضًا؛ لأن قوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، أي في ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم في ذلك قدرًا وتسليطهم عليه بالتدريج قليلًا قليلًا حتى يتم الأجل، وينقضي الأمر المقدور، فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا، وهو ما رواه الإمام أحمد في مسنده^(٢)، قائلًا: حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على

(١) تقدم هذا الحديث والذي قبله قريبًا.

(٢) (٢/٥١٠) وهو صحيح.

الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله، ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئة يوم تركوه فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فيستقون المياه، وتتحصن الناس في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع، وعليها كهيئة الدم فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم».

ورواه أحمد أيضاً عن حسن بن موسى عن سفيان عن قتادة به. وهكذا رواه ابن ماجه^(١) من حديث سعيد عن قتادة إلا أنه قال حديث أبي رافع. ورواه الترمذي^(٢) من حديث أبي عوانة عن قتادة به، ثم قال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا يندرون شعاع الشمس من ورائه لرقته.

فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار كما قاله بعضهم، فقد استرحنا من المؤنة، وإن كان محفوظاً فيكون محمولاً على أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم، كما هو المروي عن كعب الأحبار

(١) برقم (٤٠٨٠).

(٢) برقم (٣١٥٣).

أو يكون المراد بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، أي: نافذًا منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم.

وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين» أي فتح فتحًا نافذًا فيه، والله أعلم.

وقد ادعى خبير المسرح الضليل: سيد قطب في كتابه المزعوم تفسيرًا (في ظلال القرآن) (٢٢٩٣-٢٢٩٤) أن يأجوج ومأجوج قد خرجوا، وزعم أنهم التتار، والمغول!

وجهل المغفل أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، وخروجهم في زمن عيسى كما تقدم في الحديث.

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد وكان خروج التتار في زمن القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد صاحب التفسير المتوفى سنة (٦٧١).

وقد ذكر القرطبي في تفسيره (٥٨/١١) خروج التتار أنه في زمنه، ولم يقل القرطبي إنهم يأجوج ومأجوج، لكنه قال: وقد خرج منهم في هذا الوقت أمم لا يحصيهم إلا الله تعالى، ولا يردهم عن المسلمين إلا الله تعالى حتى كأنهم يأجوج ومأجوج أو مقدمتهم ١. هـ.

طلوع الشمس من مغربها:

قوله: (وتطلع الشمس من مغربها):

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ ثُمَّ قَرَأَ الْآيَةَ [الأنعام: ٥٨]».

وفي صحيح مسلم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالشَّرْقِ، وَخُسُوفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ».

وفي صحيح مسلم (٢٩٤٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ».

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٩٩)، ومسلم (١٥٩) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يُقَالُ: لَهَا أَرْجَعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٩٤١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتَيْهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا».

ففي هذه الأدلة وغيرها إثبات طلوع الشمس من مغربها وهو من علامات الساعة الكبرى.

وإن تعجب فلذلك الضليل المنتسب للسلفية زورًا وهو محمد رشيد رضا في تفسيره المنار (٨/ ٢١٠-٢١٢) كيف يرد هذه الأدلة بهوى طائش، وسفه، وقلة أدب؟!

والأدلة صريحة صحيحة لا مطعن فيها في الصحيحين وغيرها، ومع عجزه عن الطعن في هذه الأحاديث مع محاولته الفاشلة قال في أثناء كلامه:

ولكن مجموع الروايات عنه، وعن غيره تثبت هذه الآية بالجملة، فننظمها في سلك التشابهات، ونحمل التعارض بين الروايات وما في بعضها من مخالفة الأدلة القطعية على ما أشرنا إليه من أسباب كالرواية عن مثل كعب الأحبار من الإسرائيليات. اهـ.

فانظروا يا أهل السنة قبح صنيع هذا المنحرف، ومع ذلك يقال: إنه من أهل السنة، لا ولا كرامة.

وإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة ولم تقبل التوبة بعد كما تقدم من الأدلة لا توبة لمن لم يؤمن، ولا توبة للعاص لعموم الأدلة.

قال القرطبي في تفسيره (١٤٦/٧):

قال العلماء: وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تحمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة، في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت.

وقال ابن كثير عند الآية من سورة الأنعام (٢٣٧/٦):

أي إذا أنشأ الكافر إيماناً يومئذ لا يقبل منه، فأما من كان مؤمناً قبل ذلك فإن كان مصلحاً في عمله فهو بخير عظيم، وإن لم يكن مصلحاً فأحدث توبة حيثئذ لم تقبل منه توبته؛ كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك. اهـ.

خروج الدابة:

قوله: (وتخرج الدابة):

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

ومعنى وقع القول: أي وجب عليهم ما وعدوا به.

قال ابن كثير في تفسير الآية:

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض. اهـ.

وتقدمت الأدلة من السنة قريباً في طلوع الشمس من مغربها فلتراجع.

مكان خروج الدابة:

روى أبو يعلى في مسنده برقم (٥٧٠٣) من حديث ابن عمر أنه قال: ألا أريكم

المكان الذي قال رسول الله ﷺ: إن دابة الأرض تخرج منه؟

فضرب بعصاه الشق الذي في الصفا، فقال: وإنما ذات ريش وزغب، وإنه

ليخرج ثلثها حضر الفرس الجواد ثلاثة أيام، وثلاث ليال، وإنما لتمر عليهم وإنهم

ليفرون منها إلى المساجد، فتقول لهم: أترون المساجد تنجيكم مني، فتخطمهم

يساقون في الأسواق وتقول: يا كافر، يا مؤمن.

وهو ضعيف في سنده ليث وهو ابن أبي سليم مختلط.

وروى الطبراني في الكبير برقم (٣٠٣٥) من حديث أبي سريحة عن رسول الله ﷺ قال: «الدابة يكون لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج خرقة في أقصى اليمن حتى يفشو ذكرها في أهل البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، ثم تكمن زمانًا طويلًا بعد ذلك، ثم تخرج أخرى قريبًا من مكة فيفشو ذكرها في أهل البادية، ويفشو ذكرها بمكة، ثم تكمن زمانًا طويلًا، ثم بينا الناس يومًا بأعظم المساجد على الله حرمة، وخيرها، وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا ناحية المسجد تربو ما بين الركن والمقام إلى باب بني مخزوم على يمين الخارج من المسجد، فانفض الناس عنها شتى ومعا، وثبت لها عصابة من المسلمين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض عن رأسها التراب، فبدت لهم فحلت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليقوم يتعود منها بالصلاة فتأتيه فتقول: أي فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه ثم تذهب، ويتحاور الناس في دورهم في أسفارهم ويشتركون في الأموال، ويعرف الكافر من المؤمن حتى أن المؤمن ليقول للكافر: يا كافر اقضني حقي، وحتى إن الكافر يقول: يا مؤمن اقضني حقي» .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٥): فيه طلحة بن عمرو وهو متروك.

قال ابن كثير في تفسيره عند الآية:

رواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة ابن أسيد موقوفًا، فالله أعلم.

ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعًا وأن ذلك زمان عيسى بن مريم وهو

يطوف بالبيت، ولكن إسناده لا يصح . اهـ.

وروى الطبراني في الأوسط برقم (١٦٥٧) عن حذيفة بن أسيد أراه رفعه، قال: تخرج الدابة من أعظم المساجد حرمة، فيبناهم قعود إذ رنت الأرض، فيبناهم كذلك إذ تصدعت.

قال ابن عيينة: تخرج حين يسري الإمام من جمع، وإنما جعل سابق الحاج ليخبر الناس أن الدابة لم تخرج.
ثم قال الطبراني عقبه:

لم يرو هذا الحديث عن بن جريج إلا سفيان تفرد به حمزة بن سعيد. اهـ.
قلت: فيه أيضًا عن ابن جريج وهو مدلس فالحديث ضعيف.

وروى الطبراني في الأوسط برقم (٩٤) عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: «إذا طلعت الشمس من مغربها يخر إبليس ساجدًا ينادي إلهي مرني أن أسجد لمن شئت، فتجتمع إليه زبائنه فيقولون يا سيدهم ما هذا التضرع؟ فيقول: إنما سألت ربي أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا فأول خطوة تضعها بأنطاكية ثم تأتي إبليس فتلطمه».

وقال الطبراني عقبه: تفرد به عثمان بن سعيد.

وفي سنده ابن لهيعة ضعيف، وبعضهم لم أجد له ترجمة.

وروى الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد (٨/ ١٥-١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بئس الشعب جباد»، قالها مرتين أو ثلاثًا قال: فيم يا رسول الله؟ قال: «تخرج الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها ما بين الخافقين».

وفي سنده رباح بن عبيد الله بن عمر العمري ترجمه الذهبي في الميزان (٣٧/٢) وقال: قال أحمد والدارقطني: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به، وذكر الحديث في ترجمته .

وذكره ابن عدي في الكامل (١٠٣٢-١٠٣٣) وقال:

لم يتابع في حديثه، وذكر الحديث في ترجمته وقال أنكر عليه.

وذكر الحديث أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في كتاب معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة (ص ١٣٦)، وقال:

فيه رباح بن عبيد الله العمري وهو منكر الحديث.

وروى ابن ماجه برقم (٤٠٦٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَنْ بُرَيْدَةَ، أَبِيهِ قَالَ: ذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَوْضِعٍ بِالْبَادِيَةِ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ فَإِذَا أَرْضٌ يَابِسَةٌ حَوْلَهَا رَمْلٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِذَا فُتِرَ فِي شَيْءٍ». قَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ: فَحَجَجْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِنِينَ فَأَرَانَا عَصَا لَهُ فَإِذَا هُوَ بِعَصَايَ هَذِهِ هَكَذَا وَهَكَذَا.

وفي سنده خالد بن عبيد العتكي أبو عصام البصري قال البخاري: في حديثه نظر.

وقال ابن حبان والحاكم: حدث عن أنس بأحاديث موضوعة.

وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، كما في تهذيب التهذيب فلا يصح شيء في تعيين مكان خروج الدابة.

ما تقوم به الدابة عند خروجها:

روى الإمام أحمد في مسنده (٢٦٨/٥) والبخاري في الجعديات برقم (٣٠٢٧) وغيرهما عن أبي أمامة يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُخْرَجُ الدَّابَّةُ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتُهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخْطَمِينَ».

هذا حديث صحيح.

والخرطوم هو الأنف، وقيل مقدم الأنف كما في لسان العرب (٦٦/٤).

وقوله يغمرون: أي يكتثرون، كما في لسان العرب (١٠).

وأما قوله: المخطمين قال ابن منظور في لسان العرب (١٤٦/٤-١٤٧):

وفي حديث حذيفة بن أسيد^(١) قال: تخرج الدابة فيقولون: قد رأيناها، ثم تتوارى حتى تعاقب ناس في ذلك، ثم تخرج الثانية في أعظم مسجد من مساجدكم، فتأتي المسلم فتسلم عليه، وتأتي الكافر فتخطمه وتعرفه ذنوبه.

قال سمر: قوله: فتخطمه الخطم الأثر على الأنف كما يخطم البعير بالكي إلى أحد خديه، وبعير مخطوم بالكي، يقال: خطمت البعير، وهو أن يوسم بخط من الأنف إلى أحد خديه وبعير مخطوم، ومعنى قوله: تخطمه أي تسمه بسمه يعرف بها. اهـ.

(١) تقدم أن الحديث ضعيف.

وأما حديث أبي هريرة، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخَوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ: هَذَا يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ: هَذَا يَا كَافِرٌ».

فرواه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥-٤٩١)، والطيالسي كما في مسنده برقم (٢٥٦٤) وابن ماجه (٤٠٦٦)، والترمذي (٣١٨٧)، والحاكم (٤/ ٤٨٥-٤٨٦) من طريق علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة فذكره .

وهذا حديث منكر على ابن زيد وهو ابن جدعان ضعيف، وأوس بن خالد هو أوس بن أبي أوس أبو خالد حجازي.

قال الأزدي: منكر الحديث، وقال ابن القطان: مجهول الحال له ثلاث أحاديث عن أبي هريرة منكرة كما في التهذيب، وقال الحافظ في التقریب: مجهول.

صفة الدابة:

لم يثبت شيء مما ورد في تعيين صفة الدابة، وكل ما ورد في ذلك ضعيف. والمهم أنها دابة ومعنى دابة معروف وهو اسم لكل ما يدب على الأرض، ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله ﷺ أو جاء عن الله في كتابه، وكله من عند الله، وأنها دابة ولا ندري ما صفاتها، ولا نكسر الخوض فيها لا طائل تحتها .

وفي نص القرآن الكريم: ﴿تَكَلَّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال السعدي في تفسيره (ص ٥٥٩):

وهذه الدابة ﴿تَكَلِّمُهُمْ﴾: أي تكلم العباد، ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لأجل أن الناس ضعف علمهم ويقينهم بآيات الله، فإظهار الله هذه الدابة من آيات الله العجيبة ليبين للناس ما كانوا فيه يمترون.

وهذا الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان، وتكون من أشراط الساعة، كما تكاثرت بذلك الأحاديث، لم يذكر الله ورسوله كيفية هذه الدابة، وإنما ذكر أثرها.

والمقصود منها وأنها من آيات الله تكلم الناس كلامًا خارقًا للعادة حين يقع القول على الناس، وحين يمترون بآيات الله فتكون حجة، وبرهانًا للمؤمنين، وحجة على المعاندين.

خروج النار:

قوله: (والنار):

النار ناران:

الأولى: وهي التي من أشراط الساعة الصغرى، ففي صحيح البخاري برقم (٧١١٨)، ومسلم برقم (٢٩٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى».

وهذه النار قد وقعت، قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٣٥-٢٣٦):

وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة. اهـ.

وقد نص غير واحد من العلماء على ظهورها كابن كثير في النهاية، والقرطبي في التذكرة، وابن حجر في الفتح.

وبُصرى: بضم الباء مدينة معروفة بالشام، وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل. اهـ كلام النووي في شرح مسلم (٢٣٧/١٨).

وهذه النار ليست مقصود المصنف ودلل محقق الكتاب الأول وهو عاصم بن عبد الله القريوتي على هذه النار.

ومقصود المصنف هي النار الثانية، وهي التي من أشراط الساعة الكبرى؛ لأنه كل ما ذكر في هذا الفصل من الأشراف الكبرى، وهذه النار هي التي تحشر الناس، وهي أول الآيات الدالة على قيام الساعة.

روى مسلم في صحيحه برقم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: أَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْدَّجَالَ، وَالْدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَتُرُوءَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خُسُوفٌ بِالشَّرْقِ، وَخُسُوفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخُسُوفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ».

وفي رواية تلو هذه الرواية: عَنْ أَبِي سَرِيحَةَ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي غُرْفَةٍ وَنَحْنُ أَسْفَلَ مِنْهُ، فَاطْلَعَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «مَا تَذْكُرُونَ؟» قُلْنَا: السَّاعَةُ قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ خَسَفٌ بِالشَّمْسِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالْذُّخَانُ، وَالذَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُفْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ».

وفي مسند الإمام أحمد (٥/ ٨٠٢ و ٥٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ تَحْشُرُ النَّاسَ» قَالُوا: فِيمَ تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ».

هذا حديث صحيح .

وبحر حضرموت هو بجانب عدن فلا تعارض بين هاتين الروایتين.

وفي صحيح البخاري برقم (٣٣٢٩) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ مَقْدَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ قَالَ: مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ؟ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ وَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَنْزِعُ إِلَى أَخُوهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَبَرَنِي بِهِنَّ أَنْفَا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيزَادَةُ كَبِدِ حَوْتٍ، وَأَمَّا الشَّبَبُ فِي الْوَلَدِ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَشِيَ الْمَرْأَةَ فَسَبَقَهَا مَاؤُهُ كَانَ الشَّبَبُ لَهُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاؤُهَا كَانَ الشَّبَبُ لَهَا».

قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهَّتْ إِنْ عَلِمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ بِهَتُونِي عِنْدَكَ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ وَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَيْتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قَالُوا: أَعْلَمْنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، وَأَخِيرُنَا وَابْنُ أَخِيرِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ؟» قَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا: شَرَرْنَا وَابْنُ شَرَرْنَا وَوَقَعُوا فِيهِ.

والجمع بين كونها في حديث حذيفة من عدن وكونها في هذا الحديث من المشرق إلى المغرب ما قاله الحافظ في الفتح (٣٧٨/١١-٣٧٩) عقب حديث رقم (٦٥٢٩) قال:

وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن، لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها.

والمراد بقوله: تحشر الناس من المشرق إلى المغرب إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق...

وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب، ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلهب النار، وكان ابتداءؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه، وأن حشر الناس

من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب، كما شوهد ذلك مرارًا من المغل من عهد جنكيز خان، ومن بعده.

والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها، والله أعلم.

والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم، وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف، قال الله عز وجل: ﴿وَحْشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار انتهى ملخصًا بزيادات^(١).

قلت: الأول ليس حشرًا مستقلاً، فإن المراد حشر كل موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة، وقد وقع نظيره مرارًا تخرج طائفة من بلدها بغير اختيارها إلى جهة الشام، كما وقع لبنى أمية أول ما تولى بن الزبير الخلافة فأخرجهم من المدينة إلى جهة الشام ولم يعد ذلك أحد حشرًا. انتهى كلام الحافظ.

كيف تحشر النار الناس:

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيُحْشَرُ بَقِيَّتُهُمُ النَّارُ ثَقِيلٌ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُضَبِّحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٧٩-٣٨٠):

(١) أي من كلام القرطبي.

قوله: (على ثلاث طرائق) في رواية مسلم ثلاثة، والطرائق جمع طريق، وهي تذكر وتؤنث.

قوله: (راغبين وراهبين) في رواية مسلم راهبين بغير واو، وعلى الروایتين فهي الطريقة الأولى.

قوله: (واثنان على بغير ثلاثة على بغير أربعة على بغير عشرة على بغير) كذا فيه بالواو في الأول فقط، وفي رواية مسلم والإسماعيلي بالواو في الجميع، وعلى الروایتين فهي الطريقة الثانية.

قوله: (وتحشر بقيتهم النار) هذه هي النار المذكورة في حديث حذيفة بن أسيد بفتح الهمزة، وعند مسلم في حديث فيه ذكر الآيات الكائنة قبل قيام الساعة كطلوع الشمس من مغربها ففيه وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس، وفي رواية له تطرد الناس إلى حشرهم.

قوله: (تقيل معهم حيث قالوا إلخ) فيه إشارة إلى ملازمة النار لهم إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر، وهذه الطريقة الثالثة.

قال الخطابي: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس في الباب (حفاة عراة مشاة).

قال: وقوله: (واثنان على بغير وثلاثة على بغير إلخ) يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض ويمشي بعض.

قلت: وإنما لم يذكر الخمسة والستة إلى العشرة إيجازاً، واكتفاء بما ذكر من الأعداد مع أن الاعتقاب ليس مجزوماً به، ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوى به على حمل العشرة.

ومال الحليمي إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور، وجزم به الغزالي. وقال الإسماعيلي: ظاهر حديث أبي هريرة يخالف حديث ابن عباس المذكور بعد أنهم يحشرون حفاة عراة مشاة.

قال: ويجمع بينهما بأن الحشر يعبر به عن النشر لاتصاله به، وهو إخراج الخلق من القبور حفاة عراة فيساقون ويجمعون إلى الموقف للحساب، فحينئذ يحشر المتقون ركباً على الإبل، وجمع غيره بأنهم يخرجون من القبور بالوصف الذي في حديث ابن عباس، ثم يفترق حالهم من ثم إلى الموقف على ما في حديث أبي هريرة، ويؤيده ما أخرجه أحمد، والنسائي، والبيهقي من حديث أبي ذر حدثني الصادق المصدوق: (أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم) الحديث.

وصوب عياض ما ذهب إليه الخطابي، وقواه بحديث حذيفة بن أسيد، ويقول في آخر حديث الباب: (تقيل معهم، وتبيت، وتصبح، وتسمي) فإن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا.

وقال بعض شراح المصابيح: حملة على الحشر من القبور أقوى من أوجه: أحدها/ أن الحشر إذا أطلق في عرف الشرع إنما يراد به الحشر من القبور ما لم يخصه دليل.

ثانيها/ أن هذا التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام؛ لأن المهاجر لا بد أن يكون راغباً أو راهباً أو جامعاً بين الصفتين، فإما أن يكون راغباً راهباً فقط وتكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها فلا.

ثالثها/ حشر البقية على ما ذكر، وإلجاء النار لهم إلى تلك الجهة، وملازمتها حتى لا تفارقهم، قول: لم يرد به التوقيف، وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشنوة من غير توقيف.

رابعها/ أن الحديث يفسر بعضه بعضاً، وقد وقع في الحسان من حديث أبي هريرة وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن علي بن زيد، عن أوس بن أبي أوس، عن أبي هريرة بلفظ: (ثلاثاً على الدواب، وثلاثاً ينسلون على أقدامهم، وثلاثاً على وجوههم) قال: ونرى أن هذا التقسيم الذي وقع في هذا الحديث نظير التقسيم الذي وقع في تفسير الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] الآيات.

فقوله في الحديث: (راغبين راهبين) يريد به عوام المؤمنين، وهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيترددون بين الخوف والرجاء يخافون عاقبة سيئاتهم، ويرجون رحمة الله بأيمانهم، وهؤلاء أصحاب الميمنة.

وقوله: (واثنان على بعير) الخ السابقين، وهم أفاضل المؤمنين يحشرون ركباً. وقوله: (وتحشر بقيتهم النار) يريد به أصحاب المشأمة، وركوب السابقين في الحديث يحتمل الحمل دفعة واحدة تنبيهاً على أن البعير المذكور يكون من بدائع فطرة الله تعالى حتى يقوى على ما لا يقوى عليه غيره من البعران، ويحتمل أن يراد به التعاقب.

قال الخطابي: وإنما سكت عن الواحد إشارة إلى أنه يكون لمن فوقهم في المرتبة كالأنبياء ليقع الامتياز بين النبي ومن دونه من السابقين في المراكب كما وقع في المراتب انتهى ملخصاً، وتعقبه الطيبي، ورجح ما ذهب إليه الخطابي، وأجاب عن الأول: بأن الدليل ثابت، فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكر حديث حذيفة بن أسيد الذي نهت عليه قبل، وحديث معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم رفعه: (أنكم محشورون - ونحاييده نحو الشام - رجالاً وركباً، وتجرون على وجوهكم) أخرجه الترمذي والنسائي وسنده قوي، وحديث: (ستكون هجرة بعد هجرة، وتنحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، ولا يبقى في الأرض إلا شراها تلفظهم أرضوهم، وتحشروهم النار مع القردة والخنازير تبیت معهم إذا باتوا، وتقبل معهم إذا قالوا) أخرجه أحمد وسنده لا بأس به، وأخرج عبد الرزاق، عن النعمان بن المنذر، عن وهب بن منبه قال: قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس: «لأضعن عليك عرشي، ولأحشرن عليك خلقي»، وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس: من شك أن المحشر ها هنا - يعني الشام - فليقرأ أول سورة الحشر.

قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ: «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر، وحديث: «ستخرج نار من حضرموت تحشر الناس» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام»، ثم حكى خلافاً هل المراد بالنار نار على الحقيقة؟ أو هو كناية عن الفتنة الشديدة، كما يقال: نار الحرب لشدة ما يقع في الحرب؟ قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وعلى كل حال فليس المراد بالنار في هذه الأحاديث نار الآخرة، ولو أريد المعنى الذي زعمه المعترض لقليل: تحشر بقيتهم إلى النار، وقد أضاف الحشر إلى النار لكونها هي التي تحشرهم، وتختطف من تخلف منهم كما ورد في حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد عند أحمد وغيره، وعلى تقدير أن تكون النار كناية عن الفتنة فنسبة الحشر إليها سببية كأنها تفسو في كل جهة، وتكون في جهة الشام اخف منها في غيرها، فكل من عرف ازديادها في الجهة التي هو فيها أحب التحول منها إلى المكان الذي ليست فيه شديدة، فتتوفر الدواعي على الرحيل إلى الشام، ولا يمتنع اجتماع الأمرين وإطلاق النار على الحقيقة التي تخرج من قعر عدن، وعلى المجازية وهي الفتنة إذ لا تنافي بينهما، ويؤيد الحمل على الحقيقة ظاهر الحديث الأخير.

والجواب عن الاعتراض الثاني: أن التقسيم المذكور في آيات سورة الواقعة لا يستلزم أن يكون هو التقسيم المذكور في الحديث؛ فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر ويسر في الزاد راغباً فيما يستقبله راهباً فيما يستدبره، وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث، ومن توانى حتى قل الظهر، وضاق عن أن يسعهم لركوبهم اشتركوا وركبوا عقبة فيحصل اشتراك الاثنين في البعير الواحد وكذا الثلاثة، ويمكنهم كل من الأمرين، وأما الأربعة في الواحد فالظاهر من حالهم التعاقب، وقد يمكنهم إذا كانوا خفافاً أو أطفالاً، وأما العشرة فبالتعاقب، وسكت عما فوقها إشارة إلى أنها المنتهى في ذلك، وعما بينها وبين الأربعة إيجازاً واختصاراً، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث، وأما الصنف الثالث فعبر عنه بقوله: (تحشر بقيتهم النار)، إشارة إلى أنهم عجزوا عن

تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فزاراً من النار التي تحشرهم، ويؤيد ذلك ما وقع في آخر حديث أبي ذر الذي تقدمت الإشارة إليه في كلام المعترض، وفيه أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين، فقال: يلقي الله الآفة على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر حتى أن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف ذات القتب أي يشتري الناقة المسن لأجل كونها تحمله على القتب بالبستان الكريم لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يوصله إلى مقصوده، وهذا لائق بأحوال الدنيا، ومؤكد لما ذهب إليه الخطابي، ويتنزل على وفق حديث الباب -يعني من المصاييح- وهو أن قوله: (فوج طاعمين كاسين راكبين) موافق لقوله: (راغبين راهبين)، وقوله: (وفوج يمشون) موافق للصنف الذين يتعاقبون على البعير؛ فإن صفة المشي لازمة لهم، وأما الصنف الذين تحشرهم النار فهم الذين تسحبهم الملائكة.

والجواب عن الاعتراض الثالث: أنه تبين من شواهد الحديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نار تخرج في الدنيا أنذر النبي ﷺ بخروجها، وذكر كيفية ما تفعل في الأحاديث المذكورة.

والجواب عن الاعتراض الرابع: أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد مع ضعفه لا يخالف حديث الباب؛ لأنه موافق لحديث أبي ذر في لفظه، وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف إذ لا حديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر حتى يعز ويقل، ووقع في حديث علي بن زيد المذكور عند أحمد أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك، وقد سبق أن أرض الموقف أرض

مستوية لا عوج فيها، ولا أكمة، ولا حذب، ولا شوك، وأشار الطيبي إلى أن الأولى أن يحمل الحديث الذي من رواية علي بن زيد على من يحشر من الموقف إلى مكان الاستقرار من الجنة، أو النار ويكون المراد بالركبان السابقين المتقين وهم المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥] أي ركبانا، كما تقدم في تفسير سورة مريم.

وأخرج الطبري عن علي في تفسير هذه الآية فقال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة، والمراد سوق ركائبهم إسراعاً بهم إلى دار الكرامة كما يفعل في العادة بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك قال: ويستبعد أن يقال: يجيء وفد الله عشر على بعير جميعا، أو متعاقبين، وعلى هذا فقد روى أبو هريرة حال المحشورين عند انقراض الدنيا إلى جهة أرض المحشر وهم ثلاثة أصناف، وحال المحشورين في الأخرى إلى محل الاستقرار انتهى كلام الطيبي عن جواب المعارض ملخصاً موضحاً بزيادات فيه، لكن تقدم مما قررته أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد ليس في المحشورين من الموقف إلى محل الاستقرار، ثم ختم كلامه بأن قال: هذا ما سنح لي على سبيل الاجتهاد ثم رأيت في صحيح البخاري في باب المحشر يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق، فعلمت من ذلك أن الذي ذهب إليه الإمام التوربشتي هو الحق الذي لا محيد عنه. قلت: ولم أقف في شيء من طرق الحديث الذي أخرجه البخاري على لفظ يوم القيامة لا في صحيحه ولا في غيره، وكذا هو عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم

القيامة، نعم ثبت لفظ يوم القيامة في حديث أبي ذر المنبه عليه قبل وهو مؤول بأن المراد بذلك أن يوم القيامة يعقب ذلك فيكون من مجاز المجاورة، ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقي عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارف الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذلك ظاهر جدًا في أنه من أحوال الدنيا لا بعد المبعث، وقد أبدى البيهقي في حديث الباب احتمالين فقال: قوله: (راغبين) يحتمل أن يكون إشارة إلى الأبرار، وقوله: (راهبين) إشارة إلى المخلطين الذين هم بين الخوف والرجاء، والذين تحشرهم النار هم الكفار، وتعقب بأنه حذف ذكر قوله: (واثنان على بعير إلخ).

وأجيب بأن الرغبة والرغبة صفتان للصنفين الأبرار والمخلطين، وكلاهما يحشر اثنان على بعير إلخ قال: ويحتمل أن يكون ذلك في وقت حشرهم إلى الجنة بعد الفراغ، ثم قال بعد إيراد حديث أبي ذر: يحتمل أن يكون المراد بالفوج الأول الأبرار، وبالفوج الثاني الذين خلطوا فيكونون مشاة والأبرار ركبانًا، وقد يكون بعض الكفار أعيان من بعض، فأولئك يسحبون على وجوههم، ومن دونهم يمشون ويسعون مع من شاء الله من الفساق وقت حشرهم إلى الموقف، وأما الظهر فلعل المراد به ما يحيه الله بعد الموت من الدواب فيركبها الأبرار ومن شاء الله، ويلقى الله الآفة على بقيتها حتى يبقى جماعة من المخلطين بلا ظهر.

قلت: ولا يخفى ضعف هذا التأويل مع قوله في بقية الحديث: «حتى أن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف» ومن أين يكون للذين يبعثون بعد الموت عراة حفاة حدائق حتى يدفعوها في الشوارف؟ فالراجح ما تقدم، وكذا يبعد غاية البعد أن

يحتاج من يساق من الموقف إلى الجنة إلى التعاقب على الأبرة، فرجع أن ذلك إنما يكون قبل المبعث، والله أعلم. اهـ
وأرض المحشر هي الشام كما تقدم في الحديث.

علامات أخرى:

قوله: (وأشبه ذلك مما صح به النقل):

وقد ذكر المصنف رحمه الله أشراط الساعة الكبرى كلها، ولم يبق منها إلا اثنان وهي مختلف فيها هل هي من الأشراط الكبرى أم من الصغرى؟ ولعله لأجل هذا لم يذكرها:

الأول الخسوفات الثلاث:

وهي من العلامات الكبرى للساعة ففي صحيح مسلم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ قَالَ: أَطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالْجَالَ، وَالذَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالشَّرْقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ».

قال الحافظ في الفتح: (١٣ / ٨٤) عقب حديث (٧١٢١):

وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائداً على ما وجد كأن يكون أعظم منه مكاناً وقدراً. اهـ.

ومعنى الخسف قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط (ص ١٠٣٩):
خسف المكان يخسف خسوفًا: ذهب في الأرض . اهـ.

الثاني: الدخان:

والدخان من العلامات الكبرى للساعة، والصحيح أنه دخانان .
أحدهما قد وقع، وهو ما أخبر الله سبحانه وتعالى به بقوله: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي
السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠-١١].
وفي صحيح البخاري برقم (٤٧٧٤) وهذا لفظه، ومسلم (٢٧٩٨) عَنْ
مَسْرُوقٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةِ فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ
الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَّامِ، فَفَزِعْنَا، فَاتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ
مُتَكِنًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ
الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

وإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الْإِسْلَامِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ
بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، وَيَرَى
الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ
تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ فَقَرَأَ: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ
بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠ -

وفي صحيح البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم تلو الرقم السابق عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ:
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ الدُّخَانُ، وَالْقَمَرُ، وَالرُّومُ، وَالْبَطْشَةُ، وَالزَّامُ،
﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧].

وهذا من الأشراف الصغرى .

والدخان الآخر: الذي لم يقع وهو من الأشراف الكبرى وهو المذكور في
حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ
مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ» .
رواه مسلم برقم (٢٩٤٧).

وفي صحيح مسلم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ
ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ فَقَالَ: «مَا تَذَكَّرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ
تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَالَ، وَالدَّابَّةَ....» الحديث
وقد تقدم قريباً بطوله .

قال النووي في شرح مسلم (٢٣٥ / ١٨):

ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار .

هذا ما يتعلق بأشراط الساعة الكبرى، وهي التي لم تقع حتى الآن، ولا تكون
إلا قرب قيام الساعة، وهي الدالة على قيام الساعة، وأيتها وقعت فالباقى في إثرها .
وأما أشراط الساعة الصغرى وهي التي قد وقع أكثرها، وأذكر منها ما تيسر
للفائدة لا للاستقصاء .

الأول: بعثة النبي ﷺ

ففي صحيح البخاري برقم (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ».

وفي البخاري برقم (٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥٠) عَنْ سَهْلِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا»، وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فِيمُدُّ بِهِمَا .

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٠٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ.

الثاني: موت النبي ﷺ

الثالث: فتح بيت المقدس .

الرابع: موتان كعاص الغنم، وقيل إنه طاعون عمواس .

الخامس: استفاضة المال .

السادس: ظهور الفتن .

ودليل هذه الأمور الخمسة الأخيرة حديث عوف بن مالك عند البخاري برقم (٣١٧٦) قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مَوْتِي، ثُمَّ فَتَحُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ

مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلْتَهُ، ثُمَّ هُدْنَةُ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ
تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا.

وهي واقعة لا محالة كما أخبر الصادق المصدوق عليه السلام.

السابع: هدنة بين المسلمين وبين الروم، فيغدر الروم للحديث السابق.

الثامن: قتال اليهود.

روى البخاري برقم (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ
وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَأَقْتُلْهُ».

التاسع: ظهور الشرك.

روى البخاري برقم (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦) أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى
ذِي الْخَلَصَةِ، وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةٌ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٩٠٧) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى».

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَا أَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، أَنْ ذَلِكَ

تَأْمًا قَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفِّي كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ».

العاشر: تمنى الموت.

روى صحيح البخاري برقم (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) - (١٥٣) في كتاب الفتن

باب (١٨) لا تقوم الساعة حتى يمر بقبر الرجل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ».

الحادي عشر: خروج القحطاني.

ففي صحيح البخاري برقم (٧١١٧)، ومسلم (٢٩١٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَسُوقُ النَّاسَ بَعْصَاهُ».

الثاني عشر: فتح القسطنطينية.

روى مسلم في صحيحه برقم (٢٨٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَاقِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمُئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْا مِنَّا نَقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا، وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيَقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ

الثُلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَيَبْنِيهَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَقَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَيَبْنِيهَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ.

قوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]:
الساعة هي القيامة.

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِّيهِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].
وهي واقعة وقريبة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٥-١٦].
وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].
وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦].

والأدلة كثيرة على هذا.

والساعة لها عدة أساء منها:

الأول: الساعة، كما تقدمت أدلته.

الثاني: يوم الدين، قال الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

الثالث: الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ

قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

الرابع: اليوم الآخر، قال الله سبحانه: ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢].

الخامس: الدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

السادس: الواقعة، قال الله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

السابع: الصاخة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ [عبس: ٣٣].

الثامن: الطامة الكبرى، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ

الْكُبْرَى﴾ [النازعات: ٣٤].

التاسع: القارعة، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ [الحاقة: ٤].

العاشر: الحاقة، قال الله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا

الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٣].

الحادي عشر: الغاشية، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

الثاني عشر: الآزفة، قال الله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧].

الثالث عشر: يوم التغابن، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجُمُعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

الرابع عشر: يوم الجمعة، قال الله تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧].

الخامس عشر: يوم الوعيد، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

السادس عشر: يوم الفصل، قال الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَضَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٢١].

السابع عشر: يوم البعث، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبُعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبُعْثِ وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

الثامن عشر: يوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٥٣].

التاسع عشر: يوم التلاق، قال الله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَافِي﴾ [غافر: ١٥].

العشرون: يوم الخلود، قال الله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤].

الحادي والعشرون: يوم الخروج، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢].

الثاني والعشرون: يوم الحسرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

الثالث والعشرون: يوم التناد، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢].

الرابع والعشرون: يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ١٥].

الخامس والعشرون: دار القرار، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وأسماء هذه اليوم كثيرة، وقد نقل ابن كثير رحمه الله في النهاية (١/ ٢٠٠ - ٢٠١) عن عبد الحق الأشبيلي في كتابه العاقبة أنه عدها أربع وثمانين اسماً. قال أبشع ألقابه يوم الخلود.

قوله: (ومن أنكر قيام الساعة والحشر فقد كفر بالله العظيم وخرج عن ملة الإسلام):

وذلك لأنه يكون مكذباً للأدلة الكثيرة المتكاثرة من القرآن والسنة الصحيحة على ذلك.

ولأنه الركن الخامس من أركان الإيمان التي من أنكر ركناً منها كان كافراً بالله العظيم ومن حطب نار جهنم.

ومن أدلة الحشر قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْتُنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [العمران: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٢]

ومعنى تحشرون: أي تجمعون قال الله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]

وقال تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦].

الموت

قوله: (فصل. ونؤمن بأن الموت حق):

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآئِعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وفي صحيح البخاري برقم (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُ رِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

والموت من مخلوقات الله كما أن الحياة كذلك، قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ

الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ٢].

قال القرطبي في تفسيره (٢٠٦/١٨):

قيل المعنى خلقكم للموت والحياة، يعني للموت في الدنيا، والحياة في الآخرة،
وقدم الموت على الحياة؛ لأن الموت إلى القهر أقرب. اهـ

قال ابن منظور في لسان العرب (٢١٧/١٣):

قال الأزهري^(١) عن الليث: الموت خلق من خلق الله تعالى غيره الموت، والموتان
ضد الحياة. اهـ

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٣٩١-٣٩٦):

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟

وهل هي جزء من أجزاء البدن؟

أو عرض من أعراضه؟

أو جسم ساكن له مودع فيه؟

أو جوهر مجرد؟

وهل هي الروح أو غيرها؟

وهل الأمانة وهل اللوامة والمطمئنة نفس واحدة؟

أم هي ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح؟ أو الموت للبدن وحده؟

وهذه المسألة تحتمل مجلدًا، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصرًا إن شاء الله تعالى.

فقليل: الروح قديمة، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة، واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق، وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، كما أضاف إليه علمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، ويده، وتوقف آخرون، واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، ومن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما، ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى، فإنها داخلية في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال، فعلمه، وقدرته، وحياته، وسمعه، وبصره، وجميع صفاته داخل في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي من مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لزكريا لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة، والقبض، والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث، وأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد به المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم

مشهور، وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِنْ رُوحِي﴾ فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت، والناقة، والعبد، والرسول، والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصاً وتثنية يميز به المضاف عن غيره.

واختلف في الروح هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

واختلف في الروح ما هي؟

ف قيل: هي جسم، وقيل: عرض، وقيل: لا ندري ما الروح أجوهر أم عرض؟
وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدرة والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية وهي الحياة، وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

وللناس في مسمى الإنسان هل هو الروح فقط؟ أو البدن فقط؟ أو مجموعهما؟ أو كل منهما؟

وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه هل هو اللفظ؟ أو المعنى فقط؟ أو هما؟ أو كل منهما؟

فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه، والحق أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينة وكذا الكلام.

والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل أن النفس جسم يخالف بالمادية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف ساريًا في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ففيها الإخبار بتوفيها وإمسакها وإرسالها، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها ووصفها بالإخراج والخروج والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل،

وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفي الملائكة لها عند الموت، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، ففيها وصفها بالرجوع والدخول، وقال عليه السلام: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» ففيه وصفه بالقبض وأن البصر يراه، وقال عليه السلام: «نسمة المؤمن طائر يعلق في بلال: «قبض أرواحكم وردها عليكم»، وقال عليه السلام: «نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة»، وسيأتي في الكلام على عذاب القبر أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وأنها تصعد، ويوجد منها من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح إلى غير ذلك من الصفات، وعلى ذلك أجمع السلف، ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة، والشبه الفاسدة التي لا يعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي، والأدلة العقلية.

وأما اختلاف الناس في مسمى النفس والروح هل هما متغايران؟ أو مساهما واحداً؟ فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولها تارة ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها، ويطلق على الدم، ففي الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه، والنفس العين يقال: أصابت فلاناً نفس، أي عين، والنفس الذات، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ونحو ذلك، وأما الروح فلا يطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن، وعلى جبرائيل: ﴿كَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ويطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضًا، وأما ما يؤيد الله به أوليائه فهي روح أخرى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وكذلك القوى التي في البدن، فإنها أيضًا تسمى أرواحًا، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام، ويطلق الروح على أخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله، والإنابة إليه، ومحبه، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذا الروح إلى الروح كنسبة الروح إلى البدن، فالعلم روح والإحسان روح، والمحبة روح، والتوكل روح، والصدق روح، والناس متفاوتون في هذه الروح، فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيًا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًا بهميًا، وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة.

قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾، ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

والتحقيق أنها نفس واحدة لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة تفعل الذنب، ثم تلوم صاحبها وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة، ولهذا قال النبي ﷺ: «من سرته حسنته وسأته سيئته فهو مؤمن» مع قوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث.

واختلف الناس هل تموت الروح أم لا؟

فقال طائفة: تموت؛ لأنها نفس، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لا تموت الأرواح؛ فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتغنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، فالمراد أنهم كانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصنع الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت، وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى، وكذلك صعق موسى عليه السلام

لم يكن موتاً، والذي يدل عليه أن نفخة الصعق - والله أعلم - موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت، أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم. اهـ.

قوله: (وأن ملك الموت عليه السلام أرسل إلى موسى، فصكه حتى فقا عينه كما جاء عن رسول الله ﷺ في الصحيح):

رواه البخاري برقم (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدُهُ عَلَى مَنْتَنِ نَوْرِ فَلَهُ بِمَا عَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ قَالَ: أَيُّ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ: فَالآنَ».

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقوله: (فصكه) قال النووي في «شرح مسلم»: (١٥/١٢٧): هو بمعنى: لطمه.

وفي الرواية الثانية: «وفقاً عينه» بالهمزة. اهـ.

وقوله: «وفقاً عينه أي كسرهما، وقيل: قلعهما وبخقهما، كما في «لسان العرب»

(١٠/٢٩٦).

قال ابن كثير رحمه الله عند الآية:

والظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة إبراهيم، وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل، وهو المشهور قاله قتادة وغير واحد.

وله أعوان، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت. ١هـ.

قلت هذا الذي ينبغي المصير إليه جمعاً بين قوله تعالى في هذه الآية: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]، والآيات الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]، ومثلها قوله تعالى: ﴿تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ومثلها: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ففي هذه الآيات أن الملائكة هي التي تتوفى، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٢٤].

فالجمع أن الله هو المتوفي في الحقيقة، فلا يقبض روح أحد ملك الموت أو غيره إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ٥٤].

وأسند التوفي لملك الموت؛ لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأسند للملائكة؛ لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته يفعلون بأمره، وينزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت.

راجع دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للعلامة الإمام الشنقيطي رحمه الله (ص ٢٣٦).

وأما تسمية ملك الموت بعزرائيل فهذا لا دليل عليه، وما روى قتادة باسمه وهذا من الأمور الغيبية التي لا تكون إلا بالوحي، ولعل قتادة أخذه من الإسرائيليات.

قوله: (لا ينكره إلا ضال أو مبتدع راد على الله ورسوله):

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/٤٤٢-٤٤٣):

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه

فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟

والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ،

وإنما بعثه إليه اختباراً، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدمياً دخل داره بغير

إذنه، ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير

إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم

ابتداءً، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من

قومه، وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين

الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم

يقتص له؟

ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة، وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه

من الحدة، وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله، فلهذا

استسلم حينئذ.

وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحاناً للملطوم.

وقال غيره: إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن.

قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحاناً.

وزعم بعضهم أن معنى قوله: «فقاً عينه» أي أبطل حجته، وهو مردود بقوله في نفس الحديث: «فرد الله عينه»، وبقوله: «لطمه وصكه» وغير ذلك من قرائن السياق. وقال ابن قتيبة: إنما فقاً موسى العين التي هي تخيل وتمثيل وليست عيناً حقيقة، ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته الحقيقية، وقيل على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهذا هو المعتمد، وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت، وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر، وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث. اهـ

وإنكار هذا الحديث أو رده زيغ وانحراف شديد.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٥/١٢٨):

قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكر تصوره.

قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟

قال: وأجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله تعالى له في هذه اللطمة، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، والله سبحانه وتعالى يفعل في خلقه ما شاء، ويمتحنهم بما أراد.

والثاني: أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة، ويقال: فقاً فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة، ويقال: عورت الشيء إذا أدخلت فيه نقصاً.

قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: «فرد الله عينه» فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيداً.

والثالث: أن موسى ﷺ لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء، وتؤيده رواية (صكه) وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة، وغيره من المتقدمين، واختاره المازري، والقاضي عياض قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه، فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانياً بأنه ملك الموت!

فالجواب: أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم بخلاف المرة الأولى، والله أعلم. اهـ

فالذين أنكروا أو ردوا هذا الحديث هم الملاحدة، ولا ترى مؤمناً بالله واليوم الآخر يسعه في هذا الحديث وأمثاله أو غيره مما ثبت به النقل إلا التسليم.

قوله: (ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ بعد الموت):

كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، ومنكر ونكير، والبعث، والنشور، والمحشر، والحوض، والميزان، والجنة، والنار وغيرها، وسيذكره المؤلف رحمه الله تعالى.

قوله: (فيؤمن بفتنة القبر):

قال القرطبي في التذكرة (١/١١٨):

القبر: واحد القبور في الكثرة، وأقبر في القلة، ويقال للمدفن: مقبر

قال الشاعر:

لكل أناس مدفن بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد

وفي صحيح البخاري برقم (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! قُلْتُ: آيَةُ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى نَجَلَانِي الْغَشْيَ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي الْمَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَتْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَأَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ - لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ يُقَالُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُؤَقِنُ - لَا أَدْرِي بِأَيِّمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلَاثًا، فَيَقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ - لَا أَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ».

وفي رواية للبخاري برقم (١٣٧٣) قالت - أي أَسْمَاءُ -: قام رسول الله ﷺ

خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتن بها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة.

وفي صحيح البخاري برقم (١٣٧٤) ومسلم برقم (٢٨٧٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمَحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ: مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ». اهـ.

وسأتي في حديث البراء وغيره مزيد ليس في هذا.

وفتنة القبر هي سؤال الملكين العبد في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه، وكما تقدم في حديث أسماء أن السؤال (الفتنة) وهو الاختبار والامتحان عن النبي ﷺ، وهي فتنة عظيمة مثل أو قريبة من فتنة الدجال، وقد تقدم الكلام على الدجال وفتنته، وما جعل الله على يديه من الفتن للابتلاء والاختبار.

قوله: (وعذاب الآخرة ونعيمه):

قال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجنائز:

٨٦- باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذُ الظَّالِمُونَ فِي

غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

الهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

١٣٦٩ - حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثِدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِذَا أَقْعَدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُنْتَى ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُبَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ بِهَذَا وَزَادَ: ﴿ يُبَيِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ .

ورواه مسلم برقم (٢٨٧١) .

١٣٧٠ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ صَالِحٍ حَدَّثَنِي نَافِعٌ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ قَالَ أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْقَلْبِ فَقَالَ: « وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا . فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: « مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ » .

ورواه مسلم برقم (٩٣٢) .

١٣٧١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: إِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنَّهُمْ لَيَعْلَمُونَ الْآنَ أَنَّ مَا كُنْتُ أَقُولُ حَقًّا ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى ﴾ [النمل: ٨٠] » .

ورواه مسلم برقم (٩٣١) .

١٣٧٢ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ شُعْبَةَ سَمِعْتُ الْأَشْعَثَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْرِ ،

فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «نَعَمْ عَذَابُ الْقَبْرِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

زَادَ غُنْدَرُ: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ».

ورواه مسلم برقم (٩٠١).

١٣٧٣ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَذَكَرَ فَنَنَّهُ الْقَبْرَ الَّتِي يَفْتَنُ فِيهَا الْمَرْءُ، فَلَمَّا ذَكَرَ ذَلِكَ صَجَّ الْمُسْلِمُونَ صَجَّةً.

ورواه مسلم برقم (٩٠٥).

١٣٧٤ - حَدَّثَنَا عِيَّاشُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الرَّجُلِ؟ لِمَحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ انْظُرْ إِلَى مَقْعِدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعِدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ فِي قَبْرِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا

يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ، غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ .

ورواه مسلم برقم (٢٨٧٠).

٨٧- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ

١٣٧٥- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْنُ بْنُ أَبِي جَحْفَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا، فَقَالَ: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا».

ورواه مسلم برقم (٢٨٦٩).

١٣٧٦- حَدَّثَنَا مُعَلَّى حَدَّثَنَا وَهَيْبٌ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُهُ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَعَوَّذُ مِنَ عَذَابِ الْقَبْرِ.

١٣٧٧- حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ أَبِرَاهِيمَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ».

ورواه مسلم برقم (٥٨٨).

٨٨- بَابُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالْبَوْلِ.

١٣٧٨- حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ طَاوُسٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ»- ثُمَّ قَالَ -: «بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ».

قَالَ ثُمَّ أَخَذَ عُودًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِاِثْنَتَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُ».

ورواه مسلم برقم (٢٩٢).

٨٩- بَابُ الْمَيِّتِ يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.

١٣٧٩- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ورواه مسلم برقم (٢٨٦٦).

قال ابن العز رحمة الله في شرح الطحاوية (ص ٣٩٩-٤٠٤):

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كلفيته؛ إذ ليس للعقل وقوف على كلفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذا الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام: أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

وليس السؤال في القبر للروح وحدها كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح، والأحاديث الصحيحة ترد القولين، وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِرَ أو لم يُقْبَر، أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب، أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلأعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامهما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله

ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان.

فالحاصل أن الدور ثلاث:

١- دار الدنيا.

٢- دار البرزخ.

٣- دار القرار.

وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً، فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحتة حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه وهذا في حفرة من النار وهذا في روضة من رياض الجنة لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلى من هذا

بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالَت حكمة التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيح عنه عليه السلام: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»، ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته.

وللناس في سؤال منكر ونكير هل هو خاص بهذه الأمة أم لا؟ ثلاثة أقوال: الثالث: التوقف، وهو قول جماعة، منهم أبو عمر بن عبد البر فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذه الأمة تبلى في قبورها».

منهم من يرويه: «تسأل»، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضًا، وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ جوابه: أنه نوعان:

منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة».

رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

والنوع الثاني: أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما تقدم ذكره في المحصات العشرة.

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة، فقليل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها. وقيل على أفنية قبورهم.

وقال مالك: بلغني أن الروح مرسله تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزدوا على ذلك. وقيل:

إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق، وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضر موت.

وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس.

وقيل: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكافرين ببئر برهوت.

وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

قال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة تأتي ربها كل يوم تسلم عليه.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن كحياته وإدراكه، وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان آخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح، وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم، ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال، والكلام عليها.

ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملاء الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في المسند عن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «الجنة»، فلما ولى قال: «إلا الدين سارني به جبرائيل آنفاً»، ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة»، ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون في الأرض، ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد، وامتناز بها عن غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]،

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فهي أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ لما أصيب إخوانكم يعني يوم أحد: «جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش» الحديث رواه الإمام أحمد، وأبو داود، وبمعناه في حديث ابن مسعود رواه مسلم^(١)؛ فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أثلفها أعداؤه فيه أعضاهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه» فقله: نسمة المؤمن تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير خضر»، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبتهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم فلهم نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن.
وأما الشهداء فقد شوهده منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاءه
كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم.
وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل والشهيد أفضل كان بقاء جسده
أطول اهـ.

المنكرون لعذاب القبر:

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح (ص ١٠٤-١٠٦):
وهذا كلما أنه متقضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة.
قال المروزي: قال أبو عبد الله: عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل.
قال حنبل: قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر، فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن
بها، ونقر بها كلما جاء عن النبي إسناد جيد أقرنا به إذا لم نقر بها جاء به رسول الله
ودفعناه ورددناه على الله أمره قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:
٧].

قلت له: وعذاب القبر حق؟

قال: حق يعذبون في القبور، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: نؤمن بعذاب القبر
وبمنكر ونكير، وأن العبد يسأل في قبره ﴿يُبَيَّنُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، في القبر.

وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟

فقال: سبحان الله! نعم نقر بذلك ونقوله.

قلت: هذه اللفظة تقول: منكر ونكير هكذا؟ أو تقول: ملكين؟

قال: منكر ونكير.

قلت: يقولون: ليس في حديث منكر ونكير.

قال: هو هكذا يعنى أنها منكر ونكير.

وأما أقوال أهل البدع والضلال:

فقال أبو الهذيل والمريسي: من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين، والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت.

وأثبت الجبائي وابنه البلخي عذاب القبر، ولكنهم نفوه عن المؤمنين، وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم.

وقال كثير من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير، وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، والنكير تقرير الملكين له.

وقال الصالح: وصالح فيه عذاب القبر يجري على المؤمن من غير رد الأرواح إلى الأجساد، والميت يجوز أن يألم، ويحس، ويعلم بلا روح، وهذا قول جماعة من الكرامية.

وقال بعض المعتزلة: إن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم، ويحدث فيهم الآلام، وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام، وأحسوا بها، قالوا:

وسبيل المعذنين من الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب.

وأنكر جماعة منهم^(١) عذاب القبر رأسًا مثل ضرار بن عمرو، ويحيى بن كامل، وهو قول المريسي، فهذه أقوال أهل الخزية والضلال اهـ.

وقال رحمه الله في الروح (ص ١١١-١٣١):

المسألة الرابعة: وهي قول السائل: ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقته، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وكون الميت لا يجلس ولا يقعد فيه؟

قالوا: فانا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميًا صمًا يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين، ولا نيرانًا تأجج، ولو كشفنا حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق، وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله.

وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص؟

وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه؟ قال إخوانهم من أهل البدع والضلال: وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطئة قائله.

قالوا: ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يُسأل، ولا يجيب، ولا يتحرك، ولا يتوقد جسمه نارًا!

ومن افترسته السباع، ونهشته الطيور، وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع، وحواصل الطيور، وبطون الحيتان، ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه؟

وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه؟

ونحن نذكر أمورًا يعلم بها الجواب:

فصل: الأمر الأول: أن يعلم أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته، بل إخبارهم قسمان: أحدهما/ ما تشهد به العقول والفطر.

الثاني/ ما لا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالًا في العقول أصلًا.

وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين:

إما يكون الخبر كذبًا عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسدًا، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح، قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبا: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ [الرعد: ١٩]، وقال

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الرعد: ٣٦].

والنفوس لا تفرح بالمحال، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

والمحال لا يشفي، ولا يحصل به هدى ولا رحمة، ولا يفرح به، فهذا أمر من لم يستقر في قلبه خير، ولم يثبت له على الإسلام قدم، وكان أحسن أحواله الحيرة والشك.

فصل:

الأمر الثانى/ أن يفهم عن الرسول مراد من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه مالا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك، والعدول عنه من الضلال، العدول عن الصواب، وما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع، فيا محنة الدين وأهله، والله المستعان.

وهل أوقع القدريّة والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر الطوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله؛ حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام، والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله

فمهجور لا يلتفت إليه، ولا يرفع هؤلاء به رأسًا، ولكثرة أمثلة هذه القاعدة تركناها، فانا لو ذكرناها لزادت على عشرة ألوف، حتى أنك لتمر على الكتاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله ومراده كما ينبغي في موضع واحد.

وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول، وأما من عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول على ما اعتقده وانتحلّه، وقلد فيه من أحسن به الظن، فليس يجدي الكلام معه شيئًا، فدعه وما اختاره لنفسه، ووله ما تولى واحد الذي عافاك مما ابتلاه به.

فصل: الأمر الثالث/ أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثًا:

دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكم دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها، والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها والأرواح حيثئذ هي التي تبشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا كما تجري أحكام الدنيا

على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً، فأخط بهذا الموضع علماً واعرفه كما ينبغي، يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجرى على روحه أصلاً والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهدًا، فيرى النائم في نومه أنه ضُربَ، فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه، ويضرب، ويبطش، ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم، ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستبعا، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرًا باديًا أصلاً.

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه، وضيقه وسعته وضمه، وكونه حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أتى كما قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك.

فصل: الأمر الرابع/ أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً وحجها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريباً منه ويشاهداهم عياناً، ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار، ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة، وقد سمع بعض المحتضرين يقول: أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه.

وأخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين - فلا أدري أشاهده أو أخبر عنه - أنه سمع وهو يقول: عليك السلام ها هنا فاجلس، وعليك السلام ها هنا فاجلس.

وقصة خير النساج رحمه الله مشهورة حيث قال عند الموت: اصبر عافاك الله، فإن ما أُمِرْتُ به لا يفوت، وما أُمِرْتُ به يفوت، ثم استدعى بقاء فتوضأ وصلى، ثم قال: امض لما أُمِرْتُ به ومات.

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أنا الذي أُمِرْتُ فقصرت، ونهيتني فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين! فقال: إني لأرى حضرة، ما هم يأنس ولا جن، ثم قبض.

وقال مسلمة بن عبد الملك: لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة، فأومى إلينا أن اخرجوا، فخرجنا فقعدنا حول القبة، وبقي عنده وصيف، فسمعناه يقرأ هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ما أنتم يانس ولا جان، ثم خرج الوصيف فأومى إلينا أن ادخلوا، فدخلنا فإذا هو قد قبض.

وقال فضالة بن دينار: حضرت محمد بن واسع وقد سجي للموت، فجعل يقول: مرحبًا بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وشممت رائحة طيب لم أشم قط أطيب منها، ثم شخص ببصره فمات.

والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر، وأبلغ وأكفى من ذلك كله قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥] أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم، فهذا أول الأمر وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد وهو في هذه الدار.

ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها، والحاضرون لا يرونه ولا يسمعون، ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس، ورائحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمون، ثم تصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون لا يرونهم، ثم تأتي الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله، وتقول: قدموني قدموني، أو إلى أين تذهبون بي، ولا يسمع الناس ذلك، فإذا وضع في لحده وسوى عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه، بل لو نقر له حجر

فأودع فيه، وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة إليه؛ فإن هذه الأجسام الكثيفة لا تمنع خرق الأرواح لها، بل الجن لا يمنعها ذلك، بل قد جعل الله سبحانه الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير، واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات والبدن تبعًا، فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعًا لروحه، وأما عصرة القبر حتى تختلف بعض أجزاء الموتى فلا يرده حس ولا عقل ولا فطرة، ولو قدر أن أحدًا نبش عن ميت فوجد أضلاعه كما هي لم تختلف لم يمنع أن تكون قد عادت إلى حالها بعد العصرة، فليس مع الزنادقة والملاحدة إلا مجرد تكذيب الرسول.

ولقد أخبر بعض الصادقين: أنه حفر ثلاثة أقبر، فلما فرغ منها اضطجع ليستريح، رأى فيها يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر، فقال أحدهما لصاحبه: اكتب فرسخًا في فرسخ، ثم وقف على الثاني فقال: اكتب ميلًا في ميل، ثم وقف على الثالث فقال: اكتب فترًا في فتر، ثم انتبه فجاء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول، ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني، ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول فترًا في فتر. والفر ما بين الإبهام والسبابة.

فصل: الأمر الخامس / أن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا، ولا من زروع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها، وهي أشد من نار الدنيا فلا يحس به أهل الدنيا، فإن الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحتة حتى يكون أعظم حرًا من جمر الدنيا

ولو مسحها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنت الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره، وذلك في روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره.

وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه.

فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور، فإذا شاء الله سبحانه أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره إذ لو طلع العباد كلهم لزال كلفة التكليف، والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع».

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره.

وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزير الحراfi: أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فإذا بقبر منها وهو جرة نار مثل كوز الزجاج والميت في وسطه، فجعلت أمسح عيني وأقول أنائم أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة وقلت: والله ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش فأتوني بطعام، فلم استطع أن آكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس قد توفي ذلك اليوم.

فرؤية هذه النار في القبر كروية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك.

وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن الشعبي أنه ذكر رجلاً قال للنبي: مررت بدر فأريت رجلاً يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمة حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج فيفعل به ذلك فقال رسول الله ﷺ: «ذلك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة».

وذكر من حديث حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه قال بينا أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محقب إداة إذ مررت بمقبرة فإذا رجل خارج من قبره يلتهب ناراً، وفي عنقه سلسلة يجرها فقال: يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح، فو الله ما أدرى أعرفني باسمي أم كما تدعو الناس؟ قال: فخرج آخر فقال: يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح، ثم اجتذب السلسلة فأعاده في قبره.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني أبي حدثنا موسى بن داود حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام ابن عروة، عن أبيه قال: بينا راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة، فإذا برجل قد خرج من قبر يلتهب ناراً مصفداً في الحديد، فقال: يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح، قال: وخرج آخر يتلوه فقال: يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح، قال: وغشي على الراكب وعدلت به راحلته إلى العرج، قال: وأصبح قد ابيض شعره، فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده.

وذكر من حديث سفيان حدثنا داود بن شابور عن أبي قزعة قال: مررنا في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة، فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كان عندنا كانت أمه تكلمه بالشيء فيقول لها إنهقي نهيقك، فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة.

وذكر أيضًا عن عمرو بن دينار قال: كان رجل من أهل المدينة وكانت له أخت في ناحية المدينة، فاشتكت وكان يأتيها يعودها، ثم ماتت فدفنها، فلما رجع ذكر أنه نسي شيئًا في القبر كان معه، فاستعان برجل من أصحابه قال: فنبشنا القبر ووجدت ذلك المتاع، فقال للرجل: تنح حتى انظر على أي حال أختي، فرفع بعض ما على اللحد فإذا القبر مشتعل نازًا فردده وسوى القبر، فرجع إلى أمه فقال: ما كان حال أختي؟ فقالت: ما تسأل عنها وقد هلك، فقال: لتخبريني، قالت: كانت تؤخر الصلاة ولا تصلي فيما أظن بوضوء، وتأتي أبواب الجيران فتلقم أذانها أبوابهم، وتخرج حديثهم.

وذكر عن حصين الأسدي قال: سمعت مرثد بن حوشب قال: كنت جالسًا عند يوسف بن عمر وإلى جنبه رجل كأن شقة وجهه صفحة من حديد، فقال له يوسف حدث مرثدًا بما رأيت، فقال: كنت شابًا قد أتيت هذه الفواحش، فلما وقع الطاعون قلت: أخرج إلى ثغر من هذه الثغور، ثم رأيت أن احفر القبور فإذا بي ليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت وأنا متكئ على تراب قبر آخر إذ جيء بجنازة رجل حتى دفن في ذلك وسووا عليه، فأقبل طائران أبيضان من المغرب مثل البعيرين حتى سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله، ثم أثاراه، ثم تدلى أحدهما في

القبر والآخر على شفيره فجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلاً لا يملأ جوفي شيء قال: فسمعتة يقول: ألسن الزائر أصهارك في ثوبين ممصرين تسحبهما كبراً تمشى الخيلاء؟ فقال: أنا أضعف من ذلك، قال: فضربه ضربة امتلأ القبر حتى فاض ماءً ودهناً، ثم عاد فأعاد إليه القول حتى ضربه ثلاث ضربات كل ذلك يقول ذلك، ويذكر أن القبر يفيض ماءً ودهناً، قال: ثم رفع رأسه فنظر إلى فقال: انظر أين هو جالس بلسه الله، قال: ثم ضرب جانب وجهي، فسقطت فمكثت لبليتي حتى أصبحت قال: ثم أخذت انظر إلى القبر فإذا هو على حاله.

فهذا الماء والدهن في رأي العين لهذا الراي هو نار تأجج للميت، كما أخبر النبي عن الدجال أنه يأتي معه بهاء ونار، فالنار ماء بارد والماء نار تأجج.

وذكر ابن أبي الدنيا أن رجلاً سأل أبا إسحاق الفزاري عن النباش هل له توبة؟ فقال: نعم إن صحت نيته وعلم الله منه الصدق.

فقال له الرجل: كنت أنبش القبور وكنت أجد قوماً وجوههم لغير القبلة فلم يكن عند الفزاري في ذلك شيء، فكتب إليه الأوزاعي يخبره بذلك، فكتب إليه الأوزاعي: تقبل توبته إذا صحت نيته وعلم الله الصدق من قلبه، وأما قوله أنه كان يجد قوماً وجوههم لغير القبلة فأولئك قوم ماتوا على غير السنة.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى القيسي أنه قيل لنباش قد تاب: ما أعجب ما رأيت؟

قال: نبشت رجلاً فإذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده ومسمار كبير في رأسه وآخر في رجله.

قال: وقيل لنباش آخر: ما أعجب ما رأيت؟

قال: رأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاصًا.

قال: وقيل لنباش آخر: ما كان سبب توبتك؟

قال: عامة من كنت أنبش كنت أراه محول الوجه عن القبلة.

قلت: وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن مساب السلامي وكان من خيار عباد

الله وكان يتحرى الصدق قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير

صغار المسمار برأسين، فأخذها الحداد وجعل يحمي عليها فلا تلين معه حتى عجز

عن ضربها، فطلب البائع فوجده فقال: من أين لك هذه المسامير؟

فقال: لقيتها، فلم يزل به حتى أخبره أنه وجد قبرًا مفتوحًا وفيه عظام ميت

منظومة بهذه المسامير، قال: فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر، فأخذت حجرًا

فكسرت عظامه وجمعتها.

قال: وأنا رأيت تلك المسامير قلت له: فكيف صفتها؟

قال المسمار صغير برأسين.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني أبي، عن أبي الحريش، عن أمه قالت: لما حفر أبو

جعفر خندق الكوفة حول الناس موتاهم، فرأينا شابًا ممن حول عاصًا على يده.

وذكر عن سهاك بن حرب قال: مر أبو الدرداء بين القبور فقال: ما أسكن

ظواهرك وفي داخلك الدواهي!

وقال ثابت البناني: بينا أنا أمشي في المقابر، وإذا صوت خلفي وهو يقول: يا ثابت

لا يغرنك سكونها فكم من مغموم فيها، فالتفت فلم أر أحدًا.

ومر الحسن على مقبرة فقال: يا لهم من عسكرا! ما أسكنهم وكم فيهم من مكروب!

وذكر ابن أبي الدنيا: أن عمر بن عبد العزيز قال لمسلمة بن عبد الملك: يا مسلمة من دفن أباك؟

قال: مولاي فلان.

قال: فمن دفن الوليد؟

قال: مولاي فلان.

قال: فأنا أحدثك ما حدثني به: أنه لما دفن أباك والوليد فوضعهما في قبورهما، وذهب ليحل العقد عنهما وجد وجوهما قد حولت في أفقيتهما، فانظر يا مسلمة إذا أنا مت فالتمس وجهي، فانظر هل نزل بي ما نزل بالقوم؟ أو هل عوفيت من ذلك؟ قال مسلمة: فلما مات عمر وضعته في قبره، فلمست وجهه فإذا هو مكانه.

وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف قال: ماتت ابنة لي فأنزلتها القبر فذهبت أصلح اللبنة، فإذا هي قد حولت عن القبلة، فاغتممت لذلك غمًا شديدًا فرأيته في النوم فقالت: يا أبت اغتممت لما رأيت، فإن عامة من حولي محولين عن القبلة. قال: كأنها تريد الذين ماتوا مصرين على الكبائر.

وقال عمرو بن ميمون: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: كنت من دلى الوليد بن عبد الملك في قبره، فنظرت إلى ركبتيه قد جمعتا في عنقه، فقال ابنه: عاش أبي ورب الكعبة، فقلت: عوجل أبوك ورب الكعبة، فاتعظ بها عمر بعده.

وقال عمر بن عبد العزيز ليزيد بن المهلب لما استعمله على العراق: يا يزيد اتق الله،
فإني حين وضعت الوليد في لحده فإذا هو يركض في أكفانه.

وقال يزيد بن هارون: أخبر هشام بن حسان، عن واصل مولى أبي عيينة، عن عمر
ابن زهدم، عن عبد الحميد بن محمود قال: كنت جالساً عند ابن عباس، فأتاه قوم
فقالوا: إنا خرجنا حجاجاً ومعنا صاحب لنا إذ أتينا فإذا الصفاح مات فهيأناه، ثم
انطلقنا فحفرنا له ولحدنا له، فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد،
فحفرنا له آخر فإذا به قد ملأ لحده، فحفر ناله آخر فإذا به، فقال ابن عباس: ذاك
الغل الذي يغل به، انطلقوا فادفنوه في بعضها، فوالذي نفسي بيده لو حفرتم
الأرض كلها لوجدتموه فيه، فانطلقنا فوضعناه في بعضها، فلما رجعنا أتينا أهله
بمتاع له معنا، فقلنا لامراته: ما كان يعمل زوجك؟

قالت: كان يبيع الطعام فيأخذ منه كل يوم قوت أهله، ثم يقرض الفضل مثله
فيلقيه فيه.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني أبو إسحاق صاحب
الشاط قال: دعيت إلى ميت لأغسله، فلما كشفت الثوب عن وجهه إذا بحية قد
تطوقت على حلقه، فذكر من غلظها قال: فخرجت فلم أغسله، فذكروا أنه كان
يسب الصحابة رضي الله عنهم.

وذكر ابن أبي الدنيا عن سعيد بن خالد بن يزيد الأنصاري عن رجل من أهل
البصرة كان يحفر القبور قال: حفرت قبراً ذات يوم ووضعت رأسي قريباً منه فأتتني
امرأتان في منامي فقالت إحداهما: يا عبد الله نشدتك بالله إلا صرفت عنا هذه المرأة

ولم تجاورنا بها، فاستيقظت فزعًا، فإذا بجنازة امرأة قد جيء بها، فقلت: القبر ورائكم فصرفتهم عن ذلك القبر، فلما كان بالليل إذا أنا بالمرأتين في منامي تقول إحداهما: جزاك الله عنا خيرًا فلقد صرفت عنا شرًا طويلاً، قلت: ما لصاحبك لا تكلمني كما تكلميني أنت؟

قالت: إن هذه ماتت عن غير وصية، وحق لمن مات عن غير وصية ألا يتكلم إلى يوم القيامة.

وهذه الأخبار وأضعافها وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها الكتاب مما أراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عيانًا.

وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار، ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب المنامات لابن أبي الدنيا، وكتاب البستان للقيرواني، وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك، وليس عند الملاحدة والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه.

فصل: الأمر السابع/ أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك، فهذا جبريل كان ينزل على النبي ويتمثل له رجلًا، فيكلمه بكلام يسمعه، ومن إلى جانب النبي لا يراه ولا يسمعه، وكذلك غيره من الأنبياء، وأحيانًا يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين، وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم، وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم، ولا يسمعون كلامهم، والله سبحانه قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدثه

في الأرض وهو بينهم، وقد كان جبريل يقرئ النبي ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعون.

وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه، ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم؛ لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصرًا وسمعًا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر، وكثيرًا ممن أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه، ولم ينتفع بالعيش زمناً، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات؟

فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً؟

ثم إن العبد قادر على أن يزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يرده بسرعة، فكيف يعجز عنه الملك؟ وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير؟ وكيف تعجز قدرته عن إبقائه في عينيه وعلى صدره لا يسقط عنه؟ وهل قياس أمر للبرزخ على ما يشاهده الناس في الدنيا إلا محض الجهل والضلال، وتكذيب أصدق الصادقين، وتعجز رب العالمين، وذلك غاية الجهل والظلم.

وإذا كان أحدنا يمكنه توسعة القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضاً وعمقاً، ويستر توسيعه عن الناس، ويطلع عليه من يشاء، فكيف يعجز رب العالمين أن يوسع ما يشاء على من يشاء؟ ويستر ذلك عن أعين بني آدم، فيراه بنو آدم ضيقاً وهو أوسع شيء، وأطيبه ريحاً، وأعظمه إضاءة ونوراً، وهم لا يرون ذلك.

وسر المسألة أن هذه السعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم، والله سبحانه إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان سبباً لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً فلو كان الميت بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويحييها من غير أن يسمعوا كلامه، ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه، وهذا الواحد منا ينام إلى جنب صاحبه، فيعذب في النوم ويضرب ويألم، وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة وقد سرى أثر الضرب والألم إلى جسده.

ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملك الأرض والحجر، وقد جعلها الله سبحانه له كالهواء للطير، ولا يلزم من حجبها للأجسام الكثيفة أن تتولج حجبها للأرواح اللطيفة، وهل هذا إلا من أفسد القياس، وبهذا وأمثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

فصل: الأمر الثامن/ أنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق، ونحن لا نشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء، وأرواحهم معهم، ولا تشعر بحياتهم، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجهادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به، وتسقط الحجارة من خشيته وتسجد له الجبال والشجر، وتسبحه الحصى والمياه

والنبات، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُثِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].
والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبا: ١٠].

والدلالة لا تختص معيته وحده، وكذب على الله من قال: التأويب رجع الصدى؛
فإن هذا يكون لكل مصوت .

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، والدلالة على الصانع لا تختص بكثير من الناس، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: ٤١]، فهذه صلاة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وإن جحدتها الجاهلون المكذبون، وقد أخبر تعالى عن الحجارة أن بعضها يزول عن مكانه، ويسقط من خشيته، وقد أخبر عن الأرض والسماء أنها يأذنان له وقولهما ذلك - أي يستعمان كلامه - وأنه خاطبهما فسمعا خطابه وأحسننا جوابه، فقال لهما: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل، وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور، فالأجسام التي كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك.

وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن قد فارقته الروح، فتكلم، ومشى، وأكل وشرب، وتزوج وولد له، ك﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وكقتيل بنى إسرائيل، أو كالذين قال لموسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأماهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم، وكأصحاب الكهف، وقصة إبراهيم في الطيور الأربعة، فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد إليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة يقضى بها ما أمره فيها ويستنطقها بها ويعذبها أو ينعمها بأعمالها؟

وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود، وبالله التوفيق.

فصل: الأمر التاسع/ أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق، فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي

تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادًا وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدي الله فسأله ما حملك على ما فعلت؟

فقال: خشيتك يا رب وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونيمة هذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ خطه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح في أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شيء أراده، بل هي طلوع مشيئته مذلة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين، وكفر به، وأنكر ربوبيته.

فصل: الأمر العاشر/ أن الموت معاد وبعث أول، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين، يجزى فيهما الذين أساءوا بها عملوا، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول. والبعث الثاني يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثاني، ولهذا في الحديث الصحيح: «وتؤمن بالبعث الآخر».

فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هاتين القيامتين، وهما الصغرى والكبرى في سورة المؤمنين، وسورة الواقعة، وسورة القيامة، وسورة المطففين، وسورة الفجر، وغيرها من السور، وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلها داري جزاء المحسن والمسيء، ولكن توفية الجزاء إنما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى، وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم، وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك.

وأما البرزخ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار، وتقضى الحكمة إظهاره فإذا كان يوم القيامة الكبرى وفي أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستجقونه من نعيم الأبدان والأرواح وعذابها.

فعذاب البرزخ ونيمة أول عذاب الآخرة ونيمة، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك، كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة، كقوله: «يفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونيمة»، وفي الفاجر: «يفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها»، ومعلوم قطعاً أن البدن

يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله، وهذان البابان يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محبوب بالشواغل والغواشي الحسية، والعوارض، ولكن يحس به كثير من الناس، وإن لم يعرف سببه، ولا يحسن التعبير عنه، فوجود الشيء غير الإحساس به والتعبير عنه، فإذا مات كان وصول ذلك الأثر إليه من ذنك البابين أكمل، فإذا بعث كمل وصل ذلك الأثر إليه، فحكمة الرب تعالى منتظمة لذلك أكمل انتظام في الدور الثلاث اهـ.

قوله: (وقد استعاذ النبي ﷺ من عذاب القبر، وأمر به في كل صلاة):

أما أمره ﷺ ففي «صحيح مسلم» برقم (٥٨٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال».

وأما فعله ففي «صحيح البخاري» (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٥ و ٥٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو، ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

وفي «صحيح البخاري» برقم (٦٣٦٤)، ومسلم (٥٨٦) - ١٢٦ عن عائشة قالت: دخلت عليَّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم، فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين وذكرين له، فقال: «صدقنا، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها»، فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر.

ومن تعليمه للصحابة رضي الله عنهم ما رواه مسلم برقم (٥٩٠) عن طاووس، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

قال مسلم بن الحجاج: بلغني أن طاووساً قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا. قال: أعد صلاتك؛ لأن طاووساً رواه عن ثلاثة أو أربعة، أو كما قال. قوله: (وفتنة الأجداث وضغطتها):

الأجداث جمع جدث وهو القبر، والأجداث القبور، وقال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المارج: ٤٣].

والضغطه قال ابن منظور في لسان العرب (٦٧ / ٨):

الضغط والضغطه: عصر شيء إلى شيء ضغطه يضغطه ضغطاً زحمه إلى حائط ونحوه، ومنه ضغطه القبر. اهـ

وضغطه القبر ثابتة بصحيح السنة.

رواه الإمام أحمد المسند (٥٥/٦) قال: حدثنا يحيى وهو ابن سعيد القطان وإسحاق بن راهوية في مسنده في مسند عائشة رقم (١١١٤) قال: أخبرنا وهب بن جرير، والطحاوي في شرح مشكل الآثار رقم (٢٧٣) من طريق وهب بن جرير. كلاهما عن شُعْبَةَ حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ نَافِعٍ قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ».

ورواه أحمد (٥٥/٦-٩٨) قال: حدثنا محمد بن محمد بن جعفر عن شيبه وزاد: (عن إنسان) بين نافع وعائشة.

ورواه الطبري في تهذيب الآثار برقم (٨٩٧) من طريق آدم بن إياس. والبغوي في مسند علي بن الجعد برقم (١٠٦١) من طريق علي. والطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم (٢٧٤-٢٧٥) من طريق عبد الرحمن ابن زياد، ويحيى بن أبي بكر الكرماني. وابن حبان كما في الإحسان برقم (٣١١٢) من طريق عبد الملك بن الصباح كلهم عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع، عن امرأة عبد الله بن عمر (صفية) عن عائشة به.

وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٤٦٢٤)، والبيهقي في عذاب القبر من طريق ابن لهيعة، عن عقيل أنه سمع سعد بن إبراهيم يخبر عن عائشة بنت سعد أنها حدثته عن عائشة أم المؤمنين فذكره.

وهذه الطريق ضعيفة لضعف ابن لهيعة.

وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٧٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٣/٣-١٧٤) من طريق أبي حذيفة، عن سفيان، عن سعد، عن نافع بن عمر مرفوعاً، فذكره.

وقال أبو نعيم عقبه: كذا رواه أبو حذيفة، عن الثوري، عن سعد.

ورواه غندر، وغيره عن شعبة، عن سعد، عن نافع، عن سنان،^(١) عن عائشة رضي الله تعالى عنها مثله. اهـ.

فالراجح طريق الجماعة التي فيه زيادة (صفية زوج ابن عمر)، وزوج ابن عمر وهي صفية بنت أبي عبيد الثقفية، روى عنها جماعة، وأخرج لها مسلم ووثقها العجلي، وذكرها ابن حبان في الثقات، وأقر الحافظ في التقريب توثيق العجلي. فالحديث صحيح.

وجاء عن ابن عمر رواه ابن سعد في الطبقات (٤٣٠/٣)، والنسائي في (١٠٠-١٠١/٤) من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً فذكر نحوه. وهو صحيح.

وله طريق أخرى عند الحاكم (٢٠٦/٣) من طريق محمد بن فضيل، عن عطاء ابن السائب، عن مجاهد، عن ابن عمر.

وعطاء اختلط، ورواية محمد بن فضيل عنه بعد الاختلاط، لكنه في الباب، وقد صح بما تقدم، وجاء من حديث جابر مرفوعاً.

(١) كذا، وصوابه إنسان وقد تقدم.

رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٦٠) و (٣/ ٣٧٧)، والطبراني في الكبير (٦/ ٥٣٤٦)

وهو صحيح.

قوله: (وسؤال منكر ونكير حق):

سؤال منكر ونكير هو اختبار المملكين للرجل كما سيأتي في تخريج الأحاديث، وأما تسميتها بمنكر ونكير فقد ثبت عند الترمذي برقم (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٨٤٦)، وابن حبان كما في الإحسان برقم (٣١١٧)، والآجري في الشريعة (٨٥٨) من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ - أَوْ قَالَ - أَحَدُكُمْ أَنَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنُومَةَ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ التَّيْمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَمِمْ عَلَيْهِ فَتُخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَدَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

هذا حديث حسن.

قوله: (والناس يفتنون في قبورهم، فيقال: من ربك؟ وما دينك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ق).

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها لصعق.

ثم بعد هذه الفتنة، إما نعيم، وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى):
ورد هذا في حديث صحيح، صح عن عدة من الصحابة:

الأول: حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣١٠ و ٣٧٤-٣٧٥)، وهناد في «الزهد»،
والمروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك رقم (١٢١٩)، وأحمد في «المسند»
(٤/ ٢٨٧- ٢٨٨ و ٢٩٥-٢٩٦)، والدرامي في «الرد على الجهمية» (ص ٢٩)،
والطيالسي كما في «مسنده» برقم (٧٥٣)، وأبو داود برقم (٤٧٥٣)، والطبري في
«التفسير» برقم (٢٠٧٦٣-٢٠٧٦٨ و ٢٠٧٨ و ٢٠٧٨٧)، وفي «تهذيب الآثار»
برقم (٧١٨-٧٢٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» برقم (١٧٥)، والآجري في
«الشرعية» برقم (٨٦٤-٨٦٦)، وابن منده في «الإيمان» برقم (١٠٦٤)، والحاكم في
«المستدرک» (١/ ٣٧-٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة
والجماعة» برقم (٢١٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣٩٥).

من طريق المنهال بن عمرو، عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكان على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان»، قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كاطيب نفحة منك وجدت على وجه الأرض»، قال: «فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملا من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى»، قال: «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربِّي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل

الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ق. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ.

فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ.

فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ؛ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكٌ مِنَ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: آتَيْتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: «فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ فَيَتَنَزَّعُهَا كَمَا يَتَنَزَّعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمُبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا فَلَا يَمْرُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُتَهَيَّ بِهَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يَفْتَحُ لَهُ» ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ [الحج: ٣١]، «فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي. فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَبْحُ الْوَجْهَ فَيَبْحُ الثِّيَابَ مُتَتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعِدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجُهِكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ».

ورواه أحمد (١٠/١٩٤)، وابن أبي شيبة (٢٨٨ و ٢٩٧)، وأبو داود (٣٢١٢)،

والنسائي (٢٠٠٣)، وابن ماجه (١٠٤٩) مختصرًا من طريق المنهال، به.

والمنهال بن عمرو وهو الأسدي: صدوق.

فالحديث حسن.

وقد توبع المنهال عند الطبري في «تهذيب الآثار» برقم (٧٢٣)، والبيهقي في

«الشعب» برقم (٣٩٦) من طريق عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء فذكره.

وعيسى بن المسيب، وهو البجلي الكوفي: ضعيف، كما في ترجمته من «لسان

الميزان» (٤/٤٧٣-٤٧٤).

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه أحمد (٢/ ٣٦٤-٣٦٥)، وابن ماجه برقم (٤٢٦٢ و ٤٢٦٨)، والنسائي في «الكبرى» برقم (١١٤٤٢)، والطبري في «تفسيره» برقم (٢٠٧٧٠)، وابن مندة في «الإيمان» برقم (١٠٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ».

قَالَ: «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ. فَيَقُولُونَ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غَضْبَانَ».

قَالَ: «فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوُّ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي دَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَعَسَاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ، فَلَا يَزَالُ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ. فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ازْجِعِي دَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكَ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيَجْلِسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ، وَيجلسُ الرَّجُلُ السَّوُّ فَيُقَالُ لَهُ مِثْلُ مَا قِيلَ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ».

هذا حديث صحيح.

ورواه النسائي (١٨٣٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٣٠١٤)، والطبراني في «الأوسط» برقم (٧٤٦)، والحاكم في «المستدرک» (٣٥٢-٣٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/١٠٤-١٠٥) من طريق قتادة عن قسامة بن زهير عن أبي هريرة... فذكره.

وهو صحيح.

ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، والترمذي برقم (١٠٧١) من طريق سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال. فذكره.

ورواه البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٨٧٤) من طريق أبي حازم عن أبي هريرة أحسبه رفعه.

الثالث: حديث عائشة رضي الله عنها:

رواه إسحاق بن راهويه برقم (١١٧٠)، وأحمد في «مسنده» (١٣٩-١٤٠)، وابن مندة في «الإيمان» برقم (١٠٦٧).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ فَاسْتَطَعَمَتْ عَلَى بَابِي فَقَالَتْ أَطْعِمُونِي أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ: فَلَمْ أَرَلْ أَحْسِهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟

قَالَ: «وَمَا تَقُولُ؟» قُلْتُ: تَقُولُ أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَالِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ

حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَاحَذَرُكُمْوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيُّ أُمَّتِهِ؛ إِنَّهُ أَغَوْرٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَغَوْرٍ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ.

فَإِذَا فَتِنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تَفْتِنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرَجٍ وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ. فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَدَّقْنَاهُ. فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَّاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَرَجًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَذْرِي. فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا. فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُعَذَّبُ.

حديث صحيح.

الرابع: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤)، والبخاري في «كشف الأستار» (٨٧٢)، وابن

أبي عاصم برقم (٨٦٥)، والطبري في «التفسير» برقم (٢٠٧٧٢).

من طريق أبي عامر عبد الملك بن عمرو عن عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نصره عن أبي سعيد الخدري قال: شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: صَدَقْتَ. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ. فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ. وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ.

وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَدَلَكَ بِهِ هَذَا، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ».

فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَحَدٌ يَقُومُ عَلَيْهِ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ إِلَّا هَبِلَ عِنْدَ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُيَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» [إبراهيم: ٢٧].

وعباد بن راشد: صدوق له أوهام.

فالحديث حسن.

الخامس: حديث أنس رضي الله عنه:

رواه البخاري برقم (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَنَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ قَتَادَةُ وَذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ:

«وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصْبِحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ».

قوله: بمرزبة من حديد.

«المرزبة»: قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/٢١٩):

المرزبة بالتحفيف: المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد.

قوله: (إلى أن تقوم القيامة الكبرى):

قال الله عز وجل: «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» [غافر: ٦٤].

وقال تعالى: «اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ» [الأنبياء: ١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ خَلٍ خَلْها وَتَرى النَّاسُ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

وقد تقدمت الأدلة أنفاً على قيام الساعة.

قوله: (فتعاد الأرواح إلى الأجساد):

قال ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح (ص ٥٧-٥٨):

الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها/ تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني/ تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث/ تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع/ تعلقها به في البرزخ؛ فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة، وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس/ تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً.

وأما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْها الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، فإمساكه

سبحانه التي قضى عليها الموت لا ينافي ردها إلى جسدها الميت في وقت ما ردًا عارضًا لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا.

وإذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة المستيقظ فإن النوم شقيق الموت، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة اهـ.

وأما تعريف الروح فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: وقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من شأنه وما استأثر بعلمه دونكم، ولهذا قال: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، أي ما أطلعكم من علمه إلا على القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى، والمعنى أن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى، وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر نقرة أي شرب منه بمنقاره، فقال يا موسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر، أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقال السهيلي: قال بعض الناس: لم يجبهن عما سألوها لأنهم سألوها على وجه التعنت.

وقيل أجا بهم، وعول السهيلي على أن المراد بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي من شرعه، أي فأدخلوا فيه، وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع، وفي هذا المسلك الذي طريقه وسلكه نظر، والله أعلم.

ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها، وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر، وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم، فهي إما نفس مطمئنة، أو أمارة بالسوء.

قال: كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسمًا خاصًا، فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطارًا أو خمرًا، ولا يقال له: ماء حيثئذ إلا على سبيل المجاز، وكذا لا يقال للنفس: روح إلا على هذا النحو، وكذا لا يقال للروح: نفس إلا باعتبار ما تقول إليه.

فحاصل ما نقول: إن الروح هي أصل النفس ومادتها، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن، فهي هي من وجه لا من كل وجه، وهذا معنى حسن، والله أعلم.

قلت: وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها، وصنفوا في ذلك كتبًا، ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ بن منده في كتاب سمعناه في الروح. اهـ

قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير عند (٣/ ٢٥٤):

وقد حكى بعض المحققين أن أقوال المختلفين في الروح بلغت إلى ثمانية عشر مائة قول، فانظر إلى هذا الفضول الفارغ والتعب العاقل عن النفع بعد أن علموا أن الله

سبحانه قد استأثر بعلمه، ولم يطلع عليه أنبياءه، ولا أذن لهم بالسؤال عنه، ولا البحث عن حقيقته فضلاً عن أهمهم المقتدين بهم، فيا لله العجب حيث تبلغ أقوال أهل الفضول إلى هذا الحد الذي لم تبلغه ولا بعضه في غير هذه المسألة مما أذن الله بالكلام فيه، ولم يستأثر بعلمه، ثم ختم سبحانه هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي أن علمكم الذي علمكم الله ليس إلا المقدار القليل بالنسبة إلى علم الخالق سبحانه، وإن أوتي حظاً من العلم وافراً، بل علم الأنبياء عليهم السلام ليس هو بالنسبة إلى علم الله سبحانه إلا كما يأخذ الطائر في منقاره من البحر كما في حديث موسى والخضر عليهما السلام. اهـ

هل الروح تموت أم الموت للبدن وحده:

قال العلامة ابن القيم في كتابه (الروح ص ٤٥-٤٨):

فقد اختلف الناس في هذا، فقالت طائفة: تموت الروح وتذوق الموت بأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت.

قالوا: وقد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله وحده قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت، قالوا: وقد قال تعالى عن أهل النار أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. فالموتة الأولى هذه المشهودة وهي للبدن، والأخرى للروح.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح؛ فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دلت على هذا الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

هذا مع القطع بأن أرواحهم قد فارقت أجسادهم، وقد ذاق الموت. والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم، أو في عذاب كما سيأتي إن شاء الله تعالى بعد هذا، وكما صرح به النص أنها كذلك حتى يردها الله في جسدها.

وقد نظم أحمد بن الحسين الكندي هذا الاختلاف في قوله:

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب
فقل تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فإن قيل: فعند النفخ في الصور هل تبقى الأرواح حية كما هي أو تموت، ثم تحيا؟ قيل: قد قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فقد استثنى الله سبحانه بعض من في السموات ومن في الأرض من هذا الصعق.

ف قيل: هم الشهداء هذا قول أبي هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير.
وقيل: هم جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وهذا قول مقاتل
وغیره.

وقيل: هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم، ومن في النار من أهل العذاب
وخزنتها، قاله أبو إسحق بن شاقلا من أصحابنا.

وقد نص الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور،
وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان:
٥٦]، وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك المنة الأولى، فلو ماتوا مرة ثانية
لكانت موتتان، وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

فتفسير هذه الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا
فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ فكانوا أمواتا وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي
أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في
ذلك إماتة أزواجهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات، وصعق الأرواح
عند النفخ في الصور، ولا يلزم منه موتها، ففي الحديث الصحيح: «أن الناس
يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا
أدرى أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور؟»

فهذا صعق في موقف القيامة إذا جاء الله تعالى لفصل القضاء وأشرقت الأرض
بنوره فحيثئذ تصعق الخلائق كلهم قال تعالى: ﴿فَدَرَّهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ
يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥].

ولو كان هذا الصعق موتاً لكانت موتة أخرى، وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء، فقال أبو عبد الله القرطبي: ظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لاصعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور.

قال: وقد قال شيخنا أحمد بن عمرو: وظاهر حديث النبي يدل على أن هذه الصعقة إنما هي بعد النفخة الثانية نفخة البعث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق.

ولما كان هذا قال بعض العلماء: يحتمل أن يكون موسى ممن لم يمت من الأنبياء، وهذا باطل.

وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون المراد بهذه صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والأرض، قال فتستقل الأحاديث والآثار.

ورد عليه أبو العباس القرطبي فقال: يرد هذا قوله في الحديث الصحيح «أنه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذاً بقائمة العرش». قال: وهذا إنما عند نفخة الفزع.

قال أبو عبد الله: وقال شيخنا أحمد بن عمرو: الذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى أن الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا. اهـ

هل تعاد الروح في القبر:

هل تعاد روح الإنسان في قبره وقت السؤال ؟

الجواب: نعم، وقد تقدم الدليل حديث البراء المتقدم قريباً.

هل عذاب القبر ونعيمه للروح والبدن أم لا؟

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه الروح (ص ٦٩):

فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى. اهـ

مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح (ص ١٢١-١٢٣):

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهى إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك.

فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يجلسهم عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبى هريرة، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.

وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونيعيمها ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله: أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة.

وقال أبو عبد الله بن مندة: وقال طائفة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين عند الله عز وجل، ولم يزدوا على ذلك.

قال: روى عن جماعة من الصحابة والتابعين: أرواح المؤمنين بالجابية، وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضر موت.

وقال صفوان بن عمرو: سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟

فقال: إن الأرض التي يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

قال: هي الأرض التي يجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث.

وقالوا: هي الأرض التي يورثها الله المؤمنين في الدنيا.

وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت جند إبليس.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين بيئر زمزم، وأرواح الكفار بيئر برهوت.

وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكفار في سجين.

وفي لفظ عنه: نسمة المؤمن تذهب في الأرض حيث شاءت.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

وقالت طائفة أخرى منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها،

وقال: والذي نقول به في مستقر الأرواح هو ما قاله الله عز وجل ونبيه لا نتعداه،

فهو البرهان الواضح، وهو أن الله عز وجل قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا

لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١].

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة، وكذلك أخبر: أن الأرواح جنود مجندة،

فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وأخذ الله عهدا وشهادتها له

بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن

يدخلها في الأجساد، والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ

الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في

الأجساد المتولدة من المنى.

إلى أن قال: فصح أن الأرواح أجساد حاملة لأغراضها من التعارف والتناكر،

وأنها عارفة مميزة، فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فيرجع إلى البرزخ الذي

رآها فيه رسول الله ليلة أسرى به عند سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم،

وأرواح أهل الشقاوة عن يساره، وذلك عند منقطع العناصر، ويعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه.

قال: وعلى هذا أجمع أهل العلم.

قال: ابن حزم وهو قول جميع أهل الإسلام.

قال: وهذا هو قول الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٨-١٤]، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] إلى آخرها، فلا تزال الأرواح هنالك حتى يتم عدد الأرواح إلى أجسادها ثانية، وهى الحياة الثانية يحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين أبداً انتهى.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

ونحن نذكر كلامه وما احتج به ونبين ما فيه.

وقال ابن المبارك عن ابن جريج فيما قرىء عليه من مجاهد ليس هي في الجنة، ولكن يأكلون من ثمارها ويمجدون ريحها.

وذكر معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين، فقال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها في كل يوم تسلم عليه.

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح حديث ابن عمر: «أن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة»

قال: وقد استدل به من ذهب إلى أن الأرواح على أفنية القبور، وهو أصح ما ذهب إليه في ذلك، والله أعلم

إلى أن قال رحمه الله: (ص ١٥٤-١٥٦):

فإن قيل قد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقه؟

قيل الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملا الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره، كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبي فقال: يا رسول الله مالي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «الجنة»، فلما ولى قال: «إلا الذين سارني به جبريل أنفا».

ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة، كما في الحديث الآخر: «رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة».

ومنهم من يكون محبوسًا في قبره، كحديث صاحب الشملة التي غلها، ثم استشهد فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارًا في قبره».

ومنهم من يكون مقره باب الجنة، كما في حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية». رواه أحمد، وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لم تعل روحه إلى الملاء الأعلى؛ فإنها كانت روحًا سفلية أرضية؛ فإن الأنفس الأرضية لا تجتمع الأنفس السماوية كما لا تجتمعها في الدنيا، والنفوس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه بل هي أرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والقرب إليه والأنس به تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها، فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد، كما تقدم في الحديث، ويجعل روحه -يعنى المؤمن- مع النسم الطيب -أي الأرواح الطيبة المشاكلة- فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك.

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني.

وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، بل روح في أعلى عليين، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض. وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب، وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً؛ فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً، وأنها تنقسم إلى مرسله ومحبوسة، وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير، فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق، وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أمه، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار.

فلهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها.

الدار الأولى/ في بطن الأم، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

والدار الثانية/ هي الدار التي نشأت فيها والفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة/ دار البرزخ، وهي أوسع من هذه الدار وأعظم، بل نسبتها إليه كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة/ دار القرار، وهي الجنة أو النار، فلا دار بعدها.

والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها، ولا يليق بها سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها. ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشئها، ومميّتها ومحبيها، ومسعدّها ومشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها، وقواها وأخلاقها.

فمن عرفها كما ينبغي شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، وله القوة كلها، والقدرة كلها، والعز كله، والحكمة كلها، والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأن الذي جاءوا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتقر به الفطر وما خالفه هو الباطل، وبالله التوفيق اهـ.

قوله: (وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه على لسان رسوله وأجمع عليه المسلمون):

تقدم ما يتعلق بالقيامة.

الحشر:

قوله: (فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين):

قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩-١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٤-٥].

قوله: (حفاة عراة):

روى البخاري برقم (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ! فَقَالَ: «الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَهْمَهُمْ ذَلِكَ».

وينحوه عن ابن عباس عند البخاري برقم (٦٥٢٤)، ومسلم (٢٨٦٠)-٥٧.

والحفاة قال الحافظ في الفتح (١١ / ٣٩٠) في شرح الحديث:

قوله: حفاة بضم المهملة وتخفيف الفاء جمع حاف، أي بلا خوف ولا نعل.

وقوله: مشاة لم أر في رواية قتيبة هنا مشاة، وثبت في رواية مسلم عنه وعن غيره.

وأما قوله: عراة، ففي رواية للبخاري برقم (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠-٥٨)

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَامَ فِيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةَ عُرَاةَ غُرْلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الْآيَةَ، «وَأَنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّوَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدْكَ، فَأَقُولُ: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨].

قَالَ: «فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَغْقَابِهِمْ». اهـ

ومعنى عراة: أي ليس عليهم ملابس تسترهم، حتى عوراتهم ليس عليها شيء.

والجمع بين هذه الأدلة أما شرح عند أبي داود برقم (٣١١٤)، وابن حبان برقم (٧٣١٦)، والحاكم (١ / ٣٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٣ / ٣٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ دَعَا بِثِيَابٍ جُدُدٍ فَلَبَسَهَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا».

هذا حديث حسن.

قال الحافظ في الفتح (٣٩١ / ١١):

قال البيهقي: وقع في حديث أبي سعيد- يعني الذي أخرجه أبو داود وصححه بن حبان- أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها، وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها».

ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عاريًا وبعضهم كاسيًا، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة، ثم يكون أول من يكسى إبراهيم.

وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحملة على العموم.

ومن حملة على عمومهم معاذ بن جبل، فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل، فأمر بها فكفنت في ثياب جدد، وقال: «أحسنوا أكفان موتاكم، فإنهم يحشرون فيها».

قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل.

وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنِيَابُكَ فَطَهَّرْ﴾ [المدثر: ٤]، على أحد الأقوال، وهو قول قتادة، قال: معناه وعملك فأخلصه.

ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

أخرجه مسلم، وحديث فضالة بن عبيد: «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة». الحديث أخرجه أحمد.

ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر، ويتأيد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وإلى ذلك الإشارة في حديث الباب بذكر قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] عقب قوله: «حفاة عراة» قال: فيحمل ما دل عليه حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم يدفنون بشياهم فيبعثون فيها تمييزاً لهم عن غيرهم، وقد نقله ابن عبد البر عن أكثر العلماء.

ومن حيث النظر إن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة مما كان في الدنيا، ولأن الذي بقي النفس مما تكره في الآخرة ثواب بحسن عملها، أو رحمة مبتدأة من الله، وأما ملابس الدنيا فلا تغني عنها شيئاً، قاله الحلبي.

وذهب الغزالي إلى ظاهر حديث أبي سعيد، وأورده بزيادة لم أجدها أصلاً وهي: «فإن أمتي تحشر في أكفانها، وسائر الأمم عراة».

قال القرطبي: إن ثبت حمل على الشهداء من أمته حتى لا تتناقض الأخبار. اهـ. وقوله: غرلاً، قال ابن الأثير الجزري في «النهاية» (٣/ ٣٦٢):

الغرل جمع الأغرل، وهو الأقلف، والغرلة: القلفة. اهـ

أي: غير مختونين.

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٩١-٣٩٢):

قوله: غرلاً بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل، وهو الأقلف وزنه ومعناه وهو من بقيت غرلته وهي الجلد التي يقطعها الخائن من الذكر.

قال أبو هلال العسكري لا تلتقي اللام مع الراء في كلمة إلا في أربع: أرل اسم جبل، وورل اسم حيوان معروف، وحرل ضرب من الحجارة، والغرلة. واستدرك عليه كلمتان: هرل ولد الزوجة، وبرل الديك الذي يستدير بعنقه، والسته حوشية إلا الغرلة.

قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: حشفة الأقلف موقاة بالقلفة، فتكون أرق، فلما أزالوا تلك القطعة في الدنيا أعادها الله تعالى ليزيقها من حلاوة فضله. اهـ

وقال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الرقاق: ٤٥ - باب الحشر.

٦٥٢٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيُحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ ثَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاثُوا، وَتُضَبِّحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

٦٥٢٣ - عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «الَّذِي أَمْسَأَهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قَالَ قَتَادَةُ بَلَى وَعِزَّةُ رَبَّنَا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٣٨٦/١١):

قال القرطبي: الحشر الجمع، وهو أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة. فالذي في الدنيا أحدهما: المذكور في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

والثاني: الحشر المذكور في أشراط الساعة الذي أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رفعه أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكره.

وفي حديث ابن عمر عند أحمد وأبي يعلى مرفوعاً: «تخرج نار قبل يوم القيامة من حضر موت فتسوق الناس» الحديث، وفيه فيما تأمرنا قال: «عليكم بالشام»، وفي لفظ آخر: «ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس إلى المحشر» قلت: وفي حديث أنس في مسائل عبد الله بن سلام لما أسلم: «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»، وقد قدمت الإشارة إليه في باب طلوع الشمس من مغربها وأنه مذكور في بدء الخلق.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند الحاكم رفعه: «تبعث نار على أهل المشرق فتحشروهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم، وتختلف تسوقهم سوق الجمل الكسير».

وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله: تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار

أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائماً من المشرق كما سيأتي تقريره في كتاب الفتن.

وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب، ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلهب النار، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه، وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مراراً من المغل من عهد جنكيزخان ومن بعده، والنار التي في الحديث الأخر على حقيقتها، والله أعلم.

والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف، قال الله عز وجل: ﴿وَحْشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار. انتهى ملخصاً بزيادات.

قلت: الأول ليس حشراً مستقلاً، فإن المراد حشر كل موجود يومئذ.

والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة، وقد وقع نظيره مراراً تخرج طائفة من بلدها بغير اختيارها إلى جهة الشام، كما وقع لبنى أمية أول ما تولى ابن الزبير الخلافة فأخرجهم من المدينة إلى جهة الشام، ولم يعد ذلك أحد حشراً. اهـ

وقال في الفتح (١١/ ٣٨٧):

قوله: (تقيل معهم حيث قالوا) الخ فيه إشارة إلى ملازمة النار لهم إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر، وهذه الطريقة الثالثة.

قال الخطابي: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها، وإنما هو على ما ورد في حديث ابن عباس في الباب: «حفاة عراة مشاة».

قال: وقوله: (واثنان على بعير، وثلاثة على بعير) إلخ، يريد أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعض، ويمشي بعض.

قلت: وإنما لم يذكر الخمسة والسته إلى العشرة إيجازاً واكتفاء بما ذكر من الأعداد مع أن الاعتقاب ليس مجزوماً به، ولا مانع أن يجعل الله في البعير ما يقوى به على حمل العشرة.

ومال الحلبي إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور. وجزم به الغزالي.

وقال: الإسماعيلي ظاهر حديث أبي هريرة يخالف حديث ابن عباس المذكور بعد، أنهم يحشرون (حفاة عراة مشاة) قال: ويجمع بينهما بأن الحشر يعبر به عن النشر لاتصاله به، وهو إخراج الخلق من القبور حفاة عراة، فيساقون ويجمعون إلى الموقف للحساب، فحينئذ يحشر المتقون ركباناً على الإبل.

وجمع غيره بأنهم يخرجون من القبور بالوصف الذي في حديث ابن عباس، ثم يفرق حالهم من ثم إلى الموقف على ما في حديث أبي هريرة.

ويؤيده ما أخرجه أحمد والنسائي والبيهقي من حديث أبي ذر حدثني الصادق المصدوق: «أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم» الحديث.

وصوب عياض ما ذهب إليه الخطابي، وقواه بحديث حذيفة بن أسيد، وبقوله في آخر حديث الباب: (تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسي)، فإن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا.

وقال بعض شراح المصابيح: حمله على الحشر من القبور أقوى من أوجه: أحدها/ أن الحشر إذا أطلق في عرف الشرع إنما يراد به الحشر من القبور ما لم يخصه دليل.

ثانيها/ أن هذا التقسيم المذكور في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام؛ لأن المهاجر لا بد أن يكون راغباً أو راهباً أو جامعاً بين الصفتين، فإما أن يكون راغباً راهباً فقط، وتكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها فلا.

ثالثها/ حشر البقية على ما ذكر، وإلجاء النار لهم إلى تلك الجهة وملازمتها حتى لا تفارقهم، قول لم يرد به التوقيف، وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل السنة من غير توقيف.

رابعها/ أن الحديث يفسر بعضه بعضاً، وقد وقع في الحسان من حديث أبي هريرة وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن علي بن زيد عن أوس بن أبي أوس عن أبي هريرة بلفظ (ثلاثاً على الدواب، وثلاثاً ينسلون على أقدامهم، وثلاثاً على وجوههم)

قال: ونرى أن هذا التقسيم الذي وقع في هذا الحديث نظير التقسيم الذي وقع في تفسير الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] الآيات.

فقوله في الحديث: (راغبين راهبين) يريد به عوام المؤمنين، وهم من خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فيترددون بين الخوف والرجاء يخافون عاقبة سيئاتهم، ويرجون رحمة الله بأيمانهم، وهؤلاء أصحاب الميمنة.

وقوله: (واثنان على بعير) الخ السابقين، وهم أفاضل المؤمنين يحشرون ركبانًا. وقوله: (وتحشر بقيتهم النار) يريد به أصحاب المشأمة.

وركوب السابقين في الحديث يحتمل الحمل دفعة واحدة تنبيهًا على أن البعير المذكور يكون من بدائع فطرة الله تعالى حتى يقوى على ما لا يقوى عليه غيره من البعران، ويحتمل أن يراد به التعاقب.

قال الخطابي: وإنما سكت عن الواحد إشارة إلى أنه يكون لمن فوقهم في المرتبة كالأنبياء ليقع الامتياز بين النبي ومن دونه من السابقين في المراكب كما وقع في المراتب انتهى ملخصًا.

وتعقبه الطيبي، ورجح ما ذهب إليه الخطابي، وأجاب عن الأول: بأن الدليل ثابت فقد ورد في عدة أحاديث وقوع الحشر في الدنيا إلى جهة الشام، وذكر حديث حذيفة بن أسيد الذي نهت عليه قبل، وحديث معاوية بن حيدة جد بهز بن حكيم رفعه: «إنكم محشورون - ونحا بيده نحو الشام - رجالًا، وركبانًا، وتجرؤن على وجوهكم» أخرجه الترمذي والنسائي، وسنده قوي.

وحديث: «ستكون هجرة بعد هجرة، وتنحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ولا يبقى في الأرض إلا شرارها تلفظهم أرضوهم، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقليل معهم إذا قالوا» أخرجه أحمد، وسنده لا بأس به.

وأخرج عبد الرزاق عن النعمان بن المنذر عن وهب بن منبه قال: قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس: «لأضعن عليك عرشي، ولأحشرن عليك خلقي».

وفي تفسير ابن عيينة عن بن عباس من شك أن المحشر ها هنا يعني الشام فليقرأ أول سورة الحشر قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ: «أخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»، وحديث: «ستخرج نار من حضرموت تحشر الناس» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «عليكم بالشام».

ثم حكى خلافاً هل المراد بالنار نار على الحقيقة أو هو كناية عن الفتنة الشديدة، كما يقال: نار الحرب لشدة ما يقع في الحرب، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وعلى كل حال فليس المراد بالنار في هذه الأحاديث نار الآخرة، ولو أريد المعنى الذي زعمه المعارض لقليل: تحشر بقيتهم إلى النار.

وقد أضاف الحشر إلى النار؛ لكونها هي التي تحشرهم، وتختطف من تخلف منهم، كما ورد في حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد عند أحمد وغيره.

وعلى تقدير أن تكون النار كناية عن الفتنة فنسبة الحشر إليها سببية كأنها تفشو في كل جهة، وتكون في جهة الشام أخف منها في غيرها، فكل من عرف ازديادها في الجهة التي هو فيها أحب التحول منها إلى المكان الذي ليست فيه شديدة، فتتوفر الدواعي

على الرحيل إلى الشام، ولا يمتنع اجتماع الأمرين، وإطلاق النار على الحقيقة التي تخرج من قعر عدن وعلى المجازية وهي الفتنة إذ لا تنافي بينهما، ويؤيد الحمل على الحقيقة ظاهر الحديث الأخير.

والجواب عن الاعتراض الثاني: أن التقسيم المذكور في آيات سورة الواقعة لا يستلزم أن يكون هو التقسيم المذكور في الحديث؛ فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر، ويسرة في الزاد راغباً فيما يستقبله راهباً فيما يستدبره، وهؤلاء هم الصنف الأول في الحديث.

ومن توانى حتى قل الظهر، وضاق عن أن يسعهم لركوبهم اشتركوا، وركبوا عقبة فيحصل اشتراك الاثنين في البعير الواحد، وكذا الثلاثة، ويمكنهم كل من الأمرين، وأما الأربعة في الواحد فالظاهر من حالهم التعاقب، وقد يمكنهم إذا كانوا خفافاً أو أطفالاً، وأما العشرة فبالتعاقب، وسكت عما فوقها إشارة إلى أنها المنتهى في ذلك، وعما بينها وبين الأربعة إيجازاً واختصاراً، وهؤلاء هم الصنف الثاني في الحديث.

وأما الصنف الثالث: فعبّر عنه بقوله: (تحشر بقيتهم النار)، إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فراراً من النار التي تحشرهم، ويؤيد ذلك ما وقع في آخر حديث أبي ذر الذي تقدمت الإشارة إليه في كلام المعارض وفيه أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فقال: «يلقى الله الآفة على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر حتى أن الرجل ليعطي الحديقة المعجبة بالشارف ذات القتب» أي يشتري الناقة المسن لأجل كونها تحمله على القتب بالبستان الكريم لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه وعزة الظهر الذي

يوصله إلى مقصوده، وهذا لائق بأحوال الدنيا ومؤكد لما ذهب إليه الخطابي، ويتنزل على وفق حديث الباب يعني من المصاييح وهو أن قوله: (فوج طاعمين كاسين راكبين) موافق لقوله: (راغبين راهبين)، وقوله: (وفوج يمشون) موافق للصنف الذين يتعاقبون على البعير؛ فإن صفة المشي لازمة لهم، وأما الصنف الذين تحشرهم النار فهم الذين تسحبهم الملائكة.

والجواب عن الاعتراض الثالث: أنه تبين من شواهد الحديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نار تخرج في الدنيا أنذر النبي ﷺ بخروجها وذكر كيفية ما تفعل في الأحاديث المذكورة.

والجواب عن الاعتراض الرابع: أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد مع ضعفه لا يخالف حديث الباب؛ لأنه موافق لحديث أبي ذر في لفظه، وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف إذ لا حقيقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر حتى يعز ويقل، ووقع في حديث علي بن زيد المذكور عند أحد أنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك، وقد سبق أن أرض الموقف أرض مستوية لا عوج فيها ولا أكمة ولا حذب ولا شوك.

وأشار الطيبي إلى أن الأولى أن يحمل الحديث الذي من رواية علي بن زيد على من يحشر من الموقف إلى مكان الاستقرار من الجنة أو النار، ويكون المراد بالركبان السابقين المتقين وهم المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، أي ركبانا كما تقدم في تفسير سورة مريم.

وأخرج الطبري عن علي في تفسير هذه الآية فقال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقاً، ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة، والمراد سوق ركائبهم إسراعاً بهم إلى دار الكرامة كما يفعل في العادة بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك.

قال ويستبعد أن يقال: يجيء وفد الله عشر على بعير جميعاً أو متعاقبين، وعلى هذا فقد روى أبو هريرة حال المحشورين عند انقراض الدنيا إلى جهة أرض المحشر وهم ثلاثة أصناف، وحال المحشورين في الأخرى إلى محل الاستقرار انتهى كلام الطيبي عن جواب المعارض ملخصاً موضعاً بزيادات فيه.

لكن تقدم مما قررته أن حديث أبي هريرة من رواية علي بن زيد ليس في المحشورين من الموقف إلى محل الاستقرار، ثم ختم كلامه بأن قال: هذا ما سنح لي على سبيل الاجتهاد، ثم رأيت في صحيح البخاري في باب المحشر (يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق) فعلمت من ذلك أن الذي ذهب إليه الإمام التوربشتي هو الحق الذي لا محيد عنه، قلت: ولم أقف في شيء من طرق الحديث الذي أخرجه البخاري على لفظ يوم القيامة لافي صحيحه ولا في غيره، وكذا هو عند مسلم والإسماعيلي وغيرهما ليس فيه يوم القيامة، نعم ثبت لفظ يوم القيامة في حديث أبي ذر المنبه عليه قبل، وهو مؤول بأن المراد بذلك أن يوم القيامة يعقب ذلك، فيكون من مجاز المجاورة ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقي عليه من الآفة، وأن الرجل يشتري الشارف

الواحد بالحديقة المعجبة، فإن ذلك ظاهر جدًا في أنه من أحوال الدنيا لا بعد المبعث، وقد أبدى البيهقي في حديث الباب احتمالين:

فقال: قوله: (راغبين) يحتمل أن يكون إشارة إلى الأبرار.

وقوله: (راهبين) إشارة إلى المخلطين الذين هم بين الخوف والرجاء، والذين تحشرهم النار هم الكفار، وتعقب بأنه حذف ذكر قوله: (واثنان على بعير) الخ. وأجيب بأن الرغبة والرغبة صفتان للصنفين الأبرار والمخلطين، وكلاهما يحشر اثنان على بعير الخ.

قال: ويحتمل أن يكون ذلك في وقت حشرهم إلى الجنة بعد الفراغ، ثم قال بعد إيراد حديث أبي ذر: يحتمل أن يكون المراد بالفوج الأول الأبرار وبالفوج الثاني الذين خلطوا، فيكونون مشاة والأبرار ركبانًا، وقد يكون بعض الكفار أعيا من بعض، فأولئك يسحبون على وجوههم، ومن دونهم يمشون ويسعون مع من شاء الله من الفساق وقت حشرهم إلى الموقف، وأما الظهر فلعل المراد به ما يحيه الله بعد الموت من الدواب فيركبها الأبرار ومن شاء الله، ويلقى الله الآفة على بقيتها حتى يبقى جماعة من المخلطين بلا ظهر.

قلت: ولا يخفى ضعف هذا التأويل مع قوله في بقية الحديث: (حتى أن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف).

ومن أين يكون للذين يبعثون بعد الموت عراة حفاة حدائق حتى يدفعوها في الشوارف؟

فالراجح ما تقدم، وكذا يبعد غاية البعد أن يحتاج من يساق من الموقف إلى الجنة إلى التعاقب على الأبرة، فرجح أن ذلك إنما يكون قبل المبعث، والله أعلم. اهـ
قوله: (وتدنو منهم الشمس):

في صحيح مسلم برقم (٢٨٦٤) عَنِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تُذْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ». قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِئُهُ الْعَرَقُ إِلَى الْجَمَا».

قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ.
قوله: (ويلجئهم العرق):

رواه البخاري برقم (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم من الأرض سبعين ذراعاً، ويلجئهم حتى يبلغ آذانهم».

ورواه البخاري برقم (٤٩٣٨) ومسلم (٢٨٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه».

قال الحافظ في الفتح (١١/٤٠١-٤٠٢): في شرح حديث رقم (٦٥٣٢):

قوله: (يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم العرق حتى يبلغ أذانهم): في رواية الإسماعيلي من طريق بن وهب عن سليمان بن بلال: سبعين باعًا.

وفي رواية مسلم من طريق الدراوردي عن ثور: (وأنه ليبلغ إلى أفواه الناس، أو إلى أذانهم) شك ثور.

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص: (أن الذي يلجمه العرق الكافر) أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه قال: (يشد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق) قيل له: فأين المؤمنون؟ قال: (على الكراسي من ذهب، ويظلل عليهم الغمام).

وبسند قوي عن أبي موسى قال: (الشمس فوق رؤوس الناس يوم القيامة، وأعمالهم تظلمهم).

وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف، واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال: (تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين، فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم ترتفع حتى يغرغر الرجل)، زاد ابن المبارك في روايته: (ولا يضر حرها يومئذ مؤمنًا ولا مؤمنة).

قال الخطابي: المراد من يكون كامل الإيمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم.

وفي حديث ابن مسعود عند الطبراني والبيهقي: (أن الرجل ليفيض عرقاً حتى يسبح في الأرض قائمة، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه)، وفي رواية عنه عند أبي يعلى وصححها بن حبان: (أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار).

وللحاكم والبزار من حديث جابر نحوه، وهو كالصريح في أن ذلك كله في الموقف، وقد ورد أن التفصيل الذي في حديث عقبة والمقداد يقع مثله لمن يدخل النار، فأخرج مسلم أيضاً من حديث سمرة رفعه: (أن منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته) - وفي رواية - إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى عنقه) وهذا يحتمل أن يكون النار فيه مجازاً عن شدة الكرب الناشيء عن العرق، فيتحد الموردان، ويمكن أن يكون ورد في حق من يدخل النار من الموحدين؛ فإن أحوالهم في التعذيب تختلف بحسب أعمالهم، وأما الكفار فإنهم في الغمرات.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله، فأشدهم في العرق الكفار، ثم أصحاب الكبائر، ثم من بعدهم، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار كما تقدم تقريره في حديث بعث النار.

قال: والظاهر أن المراد بالذراع في الحديث المتعارف.

وقيل: هو الذراع الملكي.

ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدني الشمس من الرؤوس قدر ميل، فكيف تكون حرارة تلك الأرض؟ وماذا يرونها من العرق حتى يبلغ منها سبعين ذراعاً مع أن كل واحد لا يجد إلا قدر موضع قدمه؟ فكيف تكون حالة هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه؟

إن هذا لما يبهر العقول، ويدل على عظيم القدرة، ويقتضى الإيثار بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة، وإنما يؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيثار بالغيب، ومن توقف في ذلك دل على خسارته وحرمانه.

وفائدة الإخبار بذلك أن يتنبه السامع فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونته على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه. اهـ

ويكون الناس حفاة عراة غرلاً في المحشر.

والحشر في اللغة: الجمع، ومنه يوم المحشر، والحشر جمع الناس يوم القيامة. والمحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشر إلى بلد، أو معسكر، أو نحوه، قال الله عز وجل: ﴿لَأَوَّلُ الْحُشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ [الحشر: ٥] نزلت في بنى النضير. اهـ بتصرف من لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٨٤).

وأما معنى الحشر في الاصطلاح فتقدم كلام الحافظ.

والمراد هنا الحشر الثالث مما ذكرها أنفأ.

أرض المحشر: هي الشام:

جاء عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «الشام أرض المحشر والمنشر».

وجاء عن ميمونة بنت سعد قالت: يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس؟ فقال:

«أرض المحشر والمنشر».

وصححه العلامة الألباني في فضل الشام الحديث الرابع.

مواقف في الحشر يوم القيامة بعد قيام الناس من قبورهم:

الأول: حشر الناس كلهم حفاة عراة غرلاً، كما تقدم.

الثاني: حشر الكافر على وجهه:

لما في صحيح البخاري برقم (٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦) عَنْ قَتَادَةَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى الرَّجُلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمَشِّيهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ

سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

الثالث: حشر السائلين ليس في وجوههم مزرعة لحم:

في صحيح البخاري (١٤٧٥)، ومسلم (١٠٤٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَزْرَعَةٌ لَحْمٍ».

ومعنى مزعة لحم: أي قطعة لحم.

الرابع: حشر المتكبرين على هيئة الذر:

قال الإمام أحمد (١٧٩/٢) حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ ابْنِ عَجَلَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ النَّاسِ يَغْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولَسُ، فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ عَصَاةَ أَهْلِ النَّارِ».

وهذا إسناده حسن.

الخامس: يحشر صاحب الغلول وهو يحمل ما غله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

وفي صحيح البخاري برقم (٣٠٧٣)، ومسلم (٩٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ قَالَ: «لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثَغَاءٌ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حُمَحْمَةٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنِنِي فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ».

السادس: يحشر الشهداء وجراحهم كهئتها يوم جرحت:

روى البخاري برقم (٢٣٧) ومسلم (١٨٦٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ يُكَلِّمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذْ طُعِنَتْ تَفْجَرُ دَمًا لَلْوُنُ لَوْنُ الدِّمِّ وَالْعَرْفُ عَرَفُ الْمِسْكِ».

السابع: حشر مانع الزكاة:

روى مسلم برقم (٩٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

وروى مسلم أيضًا برقم (٩٨٨) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ إِبِلٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ قَطُّ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرَ تَسْتَنُّ عَلَيْهِ بِقَوَائِمِهَا وَأَخْفَافِهَا، وَلَا صَاحِبٍ بَقَرٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرَ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَوُّهُ بِقَوَائِمِهَا، وَلَا صَاحِبٍ غَنَمٍ لَا يَفْعَلُ فِيهَا حَقَّهَا إِلَّا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ، وَقَعَدَ لَهَا بِقَاعٍ قَرَقِرَ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَوُّهُ بِأَظْلَافِهَا لَيْسَ فِيهَا جِمَاءٌ وَلَا مُنْكِسِرٌ قَرْنُهَا، وَلَا صَاحِبٍ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ فَإِذَا أَنَاءَهُ فَرَّ مِنْهُ، فَيَتَّيِدُ بِهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَأْتَهُ فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ، فَيَقْضُمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ».

الثامن: حشر ذي الوجهين وله لسانان من نار:

عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار».

رواه أبو داود (٤٨٧٣)، وغيره، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم (٨٩٢).

التاسع: حشر أهل الوضوء غرًا محجلين:

روى البخاري برقم (١٣٦) ومسلم (٢٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًا مُحْجَلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ».

العاشر: حشر الغادر يحمل الواء عند استه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه مسلم برقم (١٧٣٨).

طول يوم القيامة:

قال الله عز وجل: ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٤-٧].

وقال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥].

فهو في حق المؤمنين ألف سنة وفي حق الكافرين خمسين ألف سنة.

الشفاعة الكبرى العظمى:

تكون يوم القيامة، وقد تقدمت.

بعض من ينجيهم الله من أهوال يوم القيامة:

فمنهم السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

روى البخاري برقم (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ،
وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا
عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ،
وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ
خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

وغير هؤلاء السبعة.

وفي يوم القيامة في أرض المحشر والحوض والميزان والرؤية، وسيأتي الكلام
على هذه الأقسام كل منها في موضعه حيث يذكره المؤلف إن شاء الله تعالى.

القصاص يوم القيامة:

في صحيح مسلم برقم (٢٥٨١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ
مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا،
وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ

حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ.

وعند مسلم أيضًا برقم (٢٥٨٢) عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَوُذَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقُرْنَاءِ».

وتحشر البهائم، وجميع المخلوقات فيقتصر لبعضها من بعض بنص هذا الحديث، ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وغيرها من الأدلة.

أول من يحاسب:

وأول ما يحاسب عليه الإنسان فيما بينه وبين المخلوقين الدماء، لحديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ».

رواه البخاري (٦٨٦٤)، ومسلم (١٦٧٨).

وأول ما يبعثوا للخصومة بين يدي الرحمن علي بن أبي طالب لما روى البخاري برقم (٣٩٦٥) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْجُثُ بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أَنزَلْتُ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، قَالَ: هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ حَمَزَةً، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ، وَسَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ ابْنُ عُتْبَةَ. اهـ

أما فيما بين العبد وربّه فعند الترمذي برقم (٤١٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ.

فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ».

وهو حديث صحيح بطرقه.

الميزان

قوله: (فصل. وتنصب الموازين):

الموازين جمع ميزان، قال ابن منظور في لسان العرب (٢٩٠ / ١٥):

واحدها ميزان، وهي المثاقيل واحدتها مثقال، ويقال للأدلة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضًا.

قال الجوهري: أصله موازن، انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها، وجائز أن تقول

للميزان الواحد بأوزانه: موازين، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

قوله: (فيوزن فيها أعمال العباد من الحسنات والسيئات كما يشاء الله أن يوزن:

﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]:

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً

يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وقال تعالى عن لقمان وابنه في وصيته له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ

خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ

خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

وفي صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

وهذه الأدلة وغيرها صريحة في أن عمل الإنسان يوزن.

فإن قيل: كيف يوزن العمل وهو ليس جسماً؟

فالجواب: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٥٠١):

إن الله سبحانه وتعالى يجعل هذه الأعمال أجساماً، وليس هذا بغريب على قدرة الله عز وجل وله نظير وهو الموت؛ فإنه يجعل على صورة كبش، ويذبح بين الجنة والنار مع أن الموت معنى وليس بجسم، وليس الذي يذبح ملك الموت، ولكنه نفس الموت حيث يجعله الله تعالى جسماً يشاهد ويرى كذلك الأعمال يجعلها الله أجساماً توزن بهذا الميزان الحسي.

وهناك أدلة أخرى تدل أن العامل هو الذي يوزن، فمنها:

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وعند الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٢٠-٤٢١) وغيره عن ابن مسعود أَنَّهُ كَانَ يَجْنِي سَوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ».

وهو حديث حسن.

في حديث البطاقة أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمْتُكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَلَكْ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ! فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ قَالَ: فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

رواه أحمد (٢/ ٢١٣) وهو حديث حسن.

قال ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (ص ٤١٩):

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال. اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرح الواسطية (ص ٥٠٢-٥٠٣):

قال العلماء: إن الجمع بينهما أن يقال: إن من الناس من يوزن عمله، ومن الناس من يوزن صحائف عمله، ومن الناس من يوزن هو بنفسه.

وقال بعض العلماء: الجمع بينهما أن يقال: إن المراد بوزن العمل أن العمل يوزن وهو في الصحائف، ويبقى وزن صاحب العمل فيكون لبعض الناس.

ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل ويخص بعض الناس فتوزن صحائف أعماله أو يوزن هو نفسه.

وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث البطاقة فقد يكون هذا أمرًا يخص الله به من يشاء من عباده. اهـ

قال القرطبي عليه رحمة الله في التذكرة (ص ٣٨١):

فإن قيل: أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن.

الكافر لا يكون له حسنات فما الذي يقابله بكفره وسيئاته؟ وأنى يتحقق في أعماله الوزن؟!

فالجواب: إن ذلك على وجهين:

أحدهما: أن الكافر يحضر له ميزان، فيوضع كفره أو كفره وسيئاته في إحدى كفتيه، ثم يقال له: هل لك من طاعة تضعها في الكفة الأخرى؟ فلا يجدها، فيشال الميزان فترتفع الكفة الفارغة وتقع الكفة المشغولة، فذلك خفة ميزانه، وهذا ظاهر الآية؛ لأن الله تعالى وصف الميزان بالخفة لا الموزون، وإذا كان فارغاً فهو خفيف.

والوجه الآخر: أن الكافر يكون منه صلة الأرحام، ومواساة الناس، وعتق المملوك ونحوها مما كانت من المسلم لكانت قرابة وطاعة، فمن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنه تجمع وتوضع في ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها بها ورجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب الذي فيه الخيرات من غير ميزانه خفيفاً ولو لم يكن له إلا خير واحدًا أو حسنة واحدة لأحضرت ووزنت كما ذكرنا .. إلخ كلامه.

وهل الوزن لكل الناس:

قال القرطبي في التذكرة (ص ٣٧٩-٣٨٠):

الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام: فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه الحديث^(١)، وقوله تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، وقد يكون للكافر على ما ذكرنا. اهـ

ومما تقدم من الأدلة أن في بعضها ميزان على الأفراد وفي بعض موازين بالجمع. قال ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]:

(١) تقدم تخريجه في موضعه في باب الشفاعة.

الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه. اهـ

وقال عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية (ص ٢٢٨):

الصحيح أنه ميزان واحد، وجمعه قيل: لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعها، ويحتمل أن يجمع للتفخيم كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد، وقيل: يجوز أن يكون لفظه جمعاً ومعناه واحداً، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ [المؤمنون: ٥١]. اهـ

وهو مستفاد من كلام الحافظ في الفتح (١٣/ ٥٣٧-٥٣٨).

قوله: (والميزان له كفتان ولسان):

أما الكفتان فلحديث البطاقة المتقدم آنفاً، وقد رواه أحمد في المسند (١٧٠/ ٢) - (٢٢٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ أَمْرُكَ بِائْتِنَيْنِ، وَأَنْتَ تَنْتِنِ أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مَبْهَمَةً قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْتَ عَنْ الشُّرْكِ، وَالْكِفْرِ الْحَدِيثُ.

هذا حديث صحيح .

قال ابن أبي العز شرح الطحاوية (ص ٤١٧):

والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان . اهـ
وأما سعة الكفتين ففي زوائد الزهد لابن المبارك برقم (١٣٥٧)، والشرعية
للآجري برقم (٨٩٥) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، وفي الشريعة برقم (٨٩٤)
من طريق معاذ بن جبل كلاهما عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان
النهدي، عن سلمان قال: يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وضع فيه السماوات
والأرض لوسعت.

وهو موقوف (من قول سلمان).

ورواه الحاكم في المستدرک (٥٨٦/٤) من طريق المسيب بن زهير ثنا هذبة بن
خالد ثنا حماد بن سلمة به فذكره مرفوعاً، وهو خطأ فاللذين وقفاه أرجح .
وذكر له السيوطي في الدر المنثور (٣٢٥/٦) ط مركز هجر للبحوث شاهد عن
عائشة، وعزاه لابن مردويه، ولم نر سنده حتى يحكم عليه.

أما اللسان فقد قال في لوامع الأنوار البهية (١٨٥/٢):

وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن

عباس رضي الله عنهما قال: الميزان له لسان وكفتان . اهـ

وذكره أيضًا عن الحسن.

وذكر السيوطي في الدر المنثور (٣٢٢/٦) أثر ابن عباس.

فأما أثر ابن عباس فمن طريق الكلبي وهو محمد بن السائب كذاب.

وقد رواه البيهقي في الشعب (١/ برقم ٢٨٢).

أما أثر الحسن فرواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٢١٠) وما يدرية، وينظر في سنده إليه.

لكن نقل الإجماع غير واحد أن للميزان لساناً، راجع التنبيهات السنية (ص ٢٢٨) وغيرها.

ومعنى لسان الميزان: أي عذبه وأنشد ثعلب:

ولقد رأيت لساناً عدل حاكم يقضي الصواب به ولا يتكلم
أهـ من لسان العرب.

مراتب المعاد:

قال في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٤):

اعلم أن مراتب المعاد: البعث والنشور، ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان للثواب أي ثواب الأعمال الصالحة وعن السيئات الفاضحة. اهـ

وقال القرطبي في التذكرة (ص ٣٣٧):

قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿[الأنبياء: ٤٧]﴾. اهـ

والإيمان بالميزان واجب لأدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة أنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان.

قال الحافظ في الفتح (٥٣٨ / ١٣):

قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال. اهـ
وقال في لوامع الأنوار (١٨٤ / ٢):

والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ
وقال عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية (ص ٢٢٨):

تكاثرت أدلة الكتاب في إثبات الميزان كما تواترت بذلك الأحاديث.

وأجمع أهل الحق على ثبوته ووجوب الإيمان به، وأنه ميزان حقيقي حسي له لسان وكفتان كما هو صريح الأدلة. اهـ

ولذلك فترى المصنفين في أبواب الاعتقاد يجعلون فصلاً أو باباً لإثبات الميزان، ومثال ذلك صنيع الإمام البخاري في أصح الكتب المصنفة.

قال في كتاب التوحيد وآخر باب في صحيحه رحمه الله:

باب قول الله تعالى: ﴿وَنُزِعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن... إلخ.

وأنكر أهل البدع الميزان كالمعتزلة والخوارج ومنهم الإباضية^(١).

قال الحافظ رحمه الله تعالى في الفتح (١٣ / ٥٣٨):

وأنكرت المعتزلة الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال يري العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين.

وقال ابن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها. اهـ

قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين (٢ / ١٦٤):

واختلفوا في الميزان:

الأول/ فقال أهل الحق: له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي الأخرى سيئاته، فمن رجحت حسناته دخل الجنة، من رجحت سيئاته دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة.

الثاني/ وقال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات وألسن، ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزناً بوزن، وأنكروا الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض؛ لأن الأعراض لا ثقل لها ولا خفة.

الثالث/ وقال قائلون بإثبات الميزان، وأحالوا توازن^(٢) الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته ورجحت إحدى الكفتين على

(١) وقد كتبت فيهم جزءاً مفرداً بعنوان «الطوفان على إباضة عُمان»، وهو مطبوع، والله الحمد.

(٢) أي قالوا: وزن الأعراض في كفتين مستحيلاً، ولم يثبتوه.

الأخرى، فكان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل النار.

الرابع/ وحقيقة قول المعتزلة في الموازنة: أن الحسنات تكون محبطة للسيئات وتكون أعظم منها، وأن السيئات تكون محبطة للحسنات وتكون أعظم منها. اهـ
قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٧٠-٧٢) ط مركز البحوث:

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عن وجهته، وقال: وكيف توزن الأعمال والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلّة؟

قيل له في قوله: وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها وزن ذلك نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة به إليه؟ ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت، قبل كونه وبعد وجوده؟

بل ليكون ذلك حجة على خلقه؛ كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٨-٢٩] الآية، فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم إما بالتقصير في طاعته والتضييع وإما بالتكميل والتميم.

وأما وجه جواز ذلك: فإنه كما حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال: ثنا جعفر بن عون قال: ثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان فيوضع في الكفة، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً فيها خطاياهم وذنوبهم.

قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ قال فتوضع في الكفة فترجح بخطاياهم وذنوبهم.

فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان وكتب سيئاته في الكفة الأخرى، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى احتياجاً من الله بذلك على خلقه، كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهاداً بذلك عليهم وما أشبه ذلك من حججه.

ويسئل من أنكر ذلك فيقال له: إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة ويخفف موازين آخرين، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بتحقيق ذلك فما الذي أوجب لك إنكار الميزان أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته الذي يتعارفه الناس أحجة عقل؟

فقد يقال: وجه صحته من جهة العقل وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان، خروج من حكمة ولا دخول في جور في قضية فما الذي أحال ذلك عندك من حجة أو عقل أو خبر إذ كان لا سبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لا يدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل إلى ذلك.

وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك.

وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته إذ كان قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ولولا ذلك لقرنا إلى ما ذكرنا نظائره وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله، وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه إن شاء الله . اهـ كلامه.

ويأتي بعض المتأخرين من أفراخ المعتزلة وهو محمد رشيد رضا في تفسيره المنار (٣٢١-٣٢٣) بعد ذكر مذهب أهل الحق فيه، ومذهب أهل الباطل كالمعتزلة والجهمية فلا يتجاسر على رد كل تلك الأدلة وينكر الميزان، ولكنه أنكر كيفيته وصفته فيقول: (ص ٣٢٣):

ولا نحكم رأينا في صفته وكيفيته فنؤمن إذاً بأن في الآخرة وزناً للأعمال قطعاً، ونرجح أنه ميزان يليق بذلك العالم يوزن به الإيمان والأخلاق والأعمال، لا نبحت عن صورته وكيفيته، ولا عن كفته إن صح الحديث . اهـ
والرد عليه ما ذكره ابن جرير رحمه الله تعالى في الرد على أسلافه .

مرجحات الميزان:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ».

رواه أحمد (٤٤٦/٦) وأبو داود برقم (٤٧٩٩) والترمذي برقم (٢٠٠٢).

هذا حديث صحيح.

وهذا بعد توحيد الله سبحانه وتعالى لحديث البطاقة السالف الذكر وفيه: «فلا
يثقل مع اسم الله شيء».

وكل أعمال البر والخير إذا توفرت فيها الإخلاص والمتابعة، وصدرت من مؤمن
تثقل ميزان صاحبها.

الدواوين

قوله: (وتنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، ومن وراء ظهره):

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً [الإسراء: ١٣-١٤].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

والدواوين قد فسرهما المصنف بصحائف الأعمال^(١) وهي التي كتبها ملائكة الرحمن، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

(١) وهي عبارة شيخ الإسلام في الواسطية بحروفها.

وقال جل في علاه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]..

وفي صحيح البخاري برقم (٩٢٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ، وَمَثَلُ الْمُهَجَّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وغيرها من الأدلة.

قال الشيخ عبد العزيز الرشيد رحمه الله في التنبيهات السننية (ص ٢٣٠):

قوله: (وتنشر الدواوين) جمع ديوان وهو الدفتر الذي يكتب فيه أعمال العباد، والصحائف جمع صحيفة وهي الورقة يكتب فيها من الرزق، والقرطاس والمراد بها هنا الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله القولية والفعلية. اهـ

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً﴾ [الحاقة: ١٩-٢٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢].

قال الرشيد في التنبيهات (ص ٢٣٠): فيما نقله عن الثعلبي:

فيجب الإيثار بنشر الصحف، وأخذها بالأيمان أو بالشمال؛ لثبوت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ

قال السفاريني في لوامع الأنوار (٢/ ١٨٣):

وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه، ثم حكى قولاً بالوقف، قال: ولا قائل بأنه يأخذه بشماله. وقال يوسف بن عمر من المالكية: اختلف في عصاه الموحدين فقيل: يأخذون كتبهم بأيانهم، وقيل: بشمالهم.

وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيانهم قيل: يأخذونها قبل الدخول إلى النار فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها.

وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها، والله أعلم. اهـ

وفي لوامع الأنوار (٢/ ٢٠٦) قال:

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

أي التي فيها أعمال بني آدم نشرت للحساب، وإنما يؤتى بالصحف إلزاماً للعباد، ورفعاً للجدل والعناد.

وأنكرت المعتزلة زعمًا منهم أنه عبث.. إلخ.

وما المعتزلة بالذين يبالي بمخالفتهم، فكم ردوا من مسائل جاء بها صريح القرآن والسنة، وأجمعت عليها الأمة.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

الحساب

قوله: (ويحاسب الله الخلق):

قال الله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكَرًا﴾ [الطلاق: ٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

أما معنى المحاسبة في اللغة، فقال الأزهري في تهذيب اللغة (٤/ ٣٣٣):

وقال الليث: الحساب، والحسابه عدك الشيء، تقول حسبت الشيء أحسبه حسابًا وحسابه وحسبة .

وقال النابغة:

وأسرعت حسبة في ذلك العدد.

وقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُرْزِقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وأما في الاصطلاح فقد قال السفاريني في لوامع الأنوار (٢/ ١٧٢):

وقد اختلف في معنى محاسبته تعالى عباده على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يعلمهم ما لهم وما عليهم كما تقدم.

قال بعض العلماء: بأن يخلق الله في قلوبهم علومًا ضرورية بمقادير أعمالهم من

الثواب والعقاب.

الثاني: ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوقف الله تعالى عباده بين يديه، ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم، فيقول: هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم .

الثالث: أن يكلم الله عباده في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب، وفي هذا من صحيح الأخبار وصريح الآثار ما يقلع شرور من في قلبه نوع اختلاج أصل كل شبة وبدعة. اهـ.

والقول الثالث فيما يظهر أقرب؛ لدلالة الأدلة عليه منها:

حَدِيثُ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيِّكَلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

رواه البخاري برقم (٧٥١٢) ومسلم برقم (١٠١٦).

ومنها ما رواه البخاري برقم (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذْبٌ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ [الانشقاق: ٨].

قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكُ».

قال الحافظ رحمه الله:

قوله: نوقش بالقاف المعجمة من المناقشة، وأصلها الاستخراج، ومنه نقش الشوكة إذا استخرجها، والمراد هنا المبالغة في الاستيفاء، والمعنى أن تحرير الحساب يفضي إلى استحقاق العذاب؛ لأن حسنات العبد موقوفة على القبول، وإن لم تقع الرحمة المقتضية للقبول لا يحصل النجاء. اهـ

وبهذا يجمع بين الأدلة الدالة على المحاسبة وهذا الدليل.

والذي يتولى الحساب هو الله سبحانه وتعالى لحديث عدي السابق آنفاً، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَاتِمَّا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

من يحاسب ومن لا يحاسب:

قال القرطبي في التذكرة (١/ ٣٥١):

قال بعض العلماء: ذكر الله تعالى الحساب جملة، وجاءت الأخبار بذلك، وفي بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذاً ثلاث فرق:

فرقة لا يحاسبون أصلاً، وفرقة تحاسب حساباً يسيراً وهما من المؤمنين، وفرقة تحاسب حساباً شديداً، يكون منها مسلم وكافر إذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله فلا يبعد أن يكون الكفار من هو أدنى إلى غضب الله فيدخله النار بغير حساب. اهـ

فمن الأدلة أن فريقاً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب ما روى البخاري برقم (٥٧٥٢) ومسلم برقم (٢٢٠) عن ابن عباسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيظُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ الْآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاصَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وَلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا الَّذِي تَخَوْضُونَ فِيهِ؟» فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَزُقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصَنِ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

ومن باب أولى الأنبياء فإنها يسأل عنهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

فقد قال ابن كثير عند الآية:

فيسأل الله الأمم يوم القيامة عما أجابوا رسله فيما أرسلهم به، ويسأل الله أيضًا عن إبلاغ رسالاته. اهـ

وهذا هو الحق لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٤٨٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبَّ فَيَقُولُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيَقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا آتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ».

وأما الكفار فقد اختلف أهل العلم في ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٥-٣٠٦) لما سئل عن الكفار هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟

فأجاب: هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم فممن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز أبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى وغيرهم.

ومن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي.

وفصل الخطاب أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات والسيئات .

فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار .
وإن أريد المعنى الثاني فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة فهذا خطأ ظاهر .

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب .

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٨].

والنار دركات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد من بعض لكثرة سيئاته وقلة حسناته كان الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخولهم الجنة . اهـ

قوله: (ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما ورد في الكتاب والسنة):

قال عبد العزيز الرشيد رحمه الله في التنبيهات السنية (ص ٢٣٢):

أي ينفرد سبحانه بعبده ويقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟

يقال: قرره بكذا جعله يعترف به . اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الواسطية (ص ٥١٣):

أي يقوله له: عملت كذا، وعملت كذا حتى يقر ويعترف. اهـ

وفي صحيح البخاري برقم (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرْهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

قوله: (وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبته من توزن حسناته وسيئاته، فإنه لا حساب لهم، ولكن تعد أفعالهم فتحصى، فيوقفون عليها ويقرون بها ويخبرون بها):
تقدم ما يتعلق بها قريباً في موضعين.

قوله: (وأصناف ما تتضمنه الدار الأولى والآخرة من أشراف القيامة والحساب والكتاب):

تقدم الكلام على هذه المسائل في مواضعها.

قوله: (والثواب والعقاب):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي

وَقَاتِلُوا وَقْتُلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿آل عمران: ١٩٥﴾.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَذْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَيِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

فلهذه الأدلة وغيرها نؤمن بأن جزاء الأعمال الصالحة ممن أخلص فيها من المؤمنين واقع يوم القيامة، وأن الله يجازيهم ويشيهم بحصول حسنات تؤهلهم لدخول جناته، وقبلها حلول رضوانه عليهم.

كما يعاقب العصاة والمجرمين بجزاء السيئة قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قوله: (والجنة والنار حق):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». رواه البخاري برقم (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩).

وسياقي الكلام إن شاء الله على الجنة والنار في موضعه الأليق به فيما يأتي.

الصُّور

قوله: (وكذلك الصور حق؛ ينفخ فيه إسرافيل فيموت الخلق ثم ينفخ الأخرى):

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبا: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَمَحِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣-١٤].

وفي صحيح البخاري برقم (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزُضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، أَوْ لَمْ يَرْضَهُ شَكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَالَ: لَا وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا وَقَالَ: فَلَنْ لَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي اضْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحْوَسَبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٩٤٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَيْنَ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيَهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمُكُّثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عِدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِثْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ».

قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَحْيُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لَيْتًا، وَرَفَعَ لَيْتًا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَضَعُوهُ، وَيَضَعُوهُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ، أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوْ الظَّلُّ فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم، وحنأ جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ؟»
 قيل: قلنا: يا رسول الله، ما نقول يومئذ؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا».

رواه أبو يعلى برقم (١٠٨٤) وهو صحيح.
 وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَيْتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ».

قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنْبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه البخاري برقم (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

ومعنى نفخ قال ابن منظور في لسان العرب (٢٢٧/١٤):

النفخ معروف نفخ فيه فانتفخ.

ابن سيده: نفخ بضمه ينفخ نفخًا إذا أخرج منه الريح يكون ذلك في الاستراحة والمعالجة ونحوهما إلى أن قال:

والنفخة نفخة يوم القيامة، وفي التنزيل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [المؤمنون: ١٠١]،

وفي التنزيل: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، [آل عمران: ٤٩].

ويقال نفخ الصور ونفخ فيه. اهـ.

وأما الصور فهو قرن كما صح عند الإمام أحمد في المسند (١٦٢/٢-١٩٢)،

وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الصُّورِ فَقَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ».

وهذا هو الصحيح في تفسير الصور أنه القرن لورود الدليل.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره عند الأنعام (٧٣):

واختلف المفسرون في قوله: (ينفخ في الصور) فقال بعضهم: المراد بالصور هنا

جمع صورة أي يوم ينفخ فيها فتحيا.

قال ابن جرير: كما يقال: سور لسور البلد وهو جمع سورة.

والصحيح أن المراد بالصور القرن الذي ينفخ فيه إسرائيل عليه السلام قال ابن جرير: والصواب عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ اهـ.

قال القرطبي في التذكرة (١/٢٢٧):

الصور: بالصاد قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء، وهي نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المندر: ٨] أي في الصور، فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أشد وأعظم اهـ.

وقال رحمه الله (١/٢٢٨-٢٢٩):

وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أي ينفخ صور الموتى بدليل الأحاديث المذكور، والتنزيل يدل على ذلك قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ أُخْرَى﴾ [الزمر: ٦٨]، ولم يقل: فيها، فعلم أنه ليس جمع صورة... وإلى هذا التأويل في أن الصور بمعنى الصور جمع صورة ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو مردود بما ذكرنا.

وأيضاً لا ينفخ في الصور للبعث مرتين، بل ينفخ مرة واحدة.

وإسراfil عليه السلام ينفخ في الصور الذي هو القرن، والله سبحانه يحیی الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى: ﴿فَنفُخُنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقال القرطبي في التفسير (٧/٢٠):

قال أبو الهيثم: من أنكر أن يكون الصور قرناً فهو كمن ينكر العرش والميزان والصراط وطلب لها تأويلات.

قال ابن فارس: الصور الذي في الحديث كالقرن ينفخ فيه، والصور جمع صورة.

وقال الجوهري: الصور القرن.

قال الراجز:

لقد نطحناهم غداة الجمعين نطحًا شديدًا لا كنطح الصورتين

ومنه قول: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [النمل: ٨٧].

قال الكلبي: لا أدري ما هو الصور.

ويقال: هو جمع صورة مثل بسرة وبسر، أي ينفخ في صور الموتى والأرواح.

وقرأ الحسن: يوم ينفخ في الصور.

والصور (بكسر الصاد) لغة في الصور جمع صورة والجمع صوار، وصيار (بالياء) لغة فيه.

وقال عمرو بن عبيد: قرأ عياض يوم ينفخ في الصور فهذا يعني به الخلق، والله أعلم.

قلت: ومن قال إن المراد بالصور في هذه الآية جمع صورة أبو عبيدة.

وهذا وإن كان محتملاً فهو مردود بها ذكرناه من الكتاب والسنة.

وأيضاً لا ينفخ في الصور للبعث مرتين، بل ينفخ فيه مرة واحدة، فإسرافيل عليه

السلام ينفخ في الصور الذي هو القرن والله عز وجل يحيي الصور، وفي

التنزيل: ﴿فَتَنفَخُنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل قال القرطبي رحمه الله في التذكرة

(ص ٢٢٩/١):

قال علمائنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه

السلام اهـ.

وكذا قال في التفسير (٢٠ / ٧): والأمم مجمعة على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام اهـ.

عدد النفخات في الصور:

اختلفوا في عدد النفخات على أقوال:

الأول: أنها نفختان، فالنفخة الأولى هي نفخة الفزع والصعق؛ لأن الفزع والصعق متلازمان، فإذا فزع الناس صعقوا فماتوا.

والنفخة الثانية نفخة البعث، وهو الحق وهو الذي تدل عليه الأدلة، وهو الذي رجحه أبي هريرة وعبد الله بن عمرو والسالفين آنفًا، وهو الذي رجحه القرطبي في التذكرة والمصنف وغيرهما.

الثاني: أنها ثلاث نفخات، وهؤلاء فرقوا بين الفزع والصعق فقالوا: النفخة الأولى نفخة الصعق، والثانية نفخة الفزع.

وهذا قول جماعة منهم ابن كثير، واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال:

«إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل عليه السلام، فهو واضعه على فيه، شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر».

فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله وما الصور؟

قال: «القرن». قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماوات»، وقال غيره إنه قال: «والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول له: انفخ نفخة الفزع، فيفزع له من في السماوات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيديمها ويطولها، فلا يفتر وهي التي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥].

فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب، ثم تكون ترابًا، وترتج الأرض بأهلها رجا، وهي التي يقول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٦-٨]، فتكون الأرض كالسفينة المرتفعة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فيبيد الناس عن ظهرها فتذهل المراضع، وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها، ويولي الناس مدبرين، فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض فأنصدعت من قطر إلى قطر، فرأوا أمرا عظيما، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت من قطر إلى قطر ثم انخسفت شمسها، وقمرها، وتناثرت نجومها، ثم كسحت السماء عنهم، قال رسول الله ﷺ: والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك....» الحديث بطوله.

رواه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٢١-٨٣٩ برقم ٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨) والطبراني في الطوالات وهو في آخر الجزء المطبوع (٢٥/ ٢٦٦-٢٧٧) وغيرهما، وذكره الحافظ ابن كثير عند تفسيره الآية (٧٣) من الأنعام ثم عقبه بقوله:

هذا حديث مشهور وهو غريب جدًا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه فممنهم من وثقه، وممنهم من ضعفه.

ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل، وأبي حاتم الرازي، وعمر بن علي الفلاس، وممنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء، قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جدًا، ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزري يقول: أنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم اهـ.

فإسماعيل بن رافع ضعيف، وقد أنكر الحديث عليه، وفيه محمد بن زيد بن أبي زياد روى عنه جماعة، وقال البخاري في حديثه هذا: لم يصح. وقال أبو حاتم: مجهول.

وسئل أحمد عن حديثه فقال: رجاله لا يعرفون.

وقال ابن حبان: لست أعتمد على إسناد خبره.

وقال الأزدي: ليس بالقائم في إسناده نظر.

وقال الدارقطني: إسناده لا يثبت، ومحمد، وأيوب والراوي عنه مجهولون.

اهـ من تهذيب التهذيب بتصرف يسير.

فالقول بأن النفخات ثلاث ضعيف، ولا يدعمه دليل، والأدلة الصحيحة بخلافه، ولو لم يكن إلا هذا لكان كافياً في توهينه.

راجع لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٦١-١٦٦).

القول الثالث: قول من زعم أن النفخات أربع، وهو ابن حزم، وهي:

الأولى/ نفخة إماتة يموت فيها من بقي حياً على الأرض.

الثانية/ نفخة إحياء يقوم بها كل ميت، وينشرون من القبور، ويجمعون.

الثالثة/ نفخة فرع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد.

الرابعة/ نفخة إقامة من ذلك الغشي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٦/ شرح حديث رقم ٣٤٠٨):

وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعاً ليس بواضح، بل هما نفختان فقط،

ووقع التغاير في كل واحد منهما باعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كل من كان

حياً ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله.

والثانية: يغشى بها من مات، ويفيق بها من غشي عليه، والله أعلم اهـ.

الذين استثناهم الله من الفرع:

الذين استثناهم الله سبحانه وتعالى من الفرع في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي

الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ

دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

ذكر ابن الجوزي في زاد المسير عند هذه الآية ثلاث أقوال:

الأول: أنهم الشهداء عزاء لأبي هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير.

الثاني: أنهم جبريل، وميكائيل، وملك الموت، ثم إن الله يميّتهم بعد ذلك،

وعزاه لمقاتل.

الثالث: أنهم الذين في الجنة من الحور، وغيرهن، وكذلك من في النار؛ لأنهم

خلقوا للبقاء، وقال: ذكره أبو إسحاق بن شاقلا من أصحابنا.

قوله: (فيقومون من الأجداث إلى الحساب):

الأجداث هي القبور، وتقدم الكلام على الموت، وعلى الحساب.

قوله: (وفصل القضاء):

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا الثَّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ

* وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ وَقَّتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا

أَذْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَنِلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٧-١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَبَّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ

أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٦٩-٧٠].

وفي صحيح مسلم برقم (٢٥٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلَحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ».

وقد تقدم في أحاديث الشفاعة موقفهم في ذلك الموقف، وشفاعة النبي ﷺ،

وتقدم ذكر الحساب والميزان.

اللوّح

قوله: (واللوّح المحفوظ تستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من المقادير والقضاء):

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

قال ابن كثير رحمه الله: أي هو في الملاء الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل.

قال القرطبي في التفسير (١٩ / ٢٩٨):

أي مكتوب في لوح، وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين.

وقيل: هو أم الكتاب ومنه انتسخ القرآن والكتب. اهـ.

قال شيخ الإسلام في الواسطية:

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.

فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن

إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال الشيخ عبد العزيز الرشيد في التنبيهات السنية (ص ٢٥٠) معلقاً على هذا

الكلام:

هذه المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الكتابة، وهي أن الله

كتب مقادير الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، فأعمال العباد

تجري على ما سبق في علمه وكتابته، والأدلة من الكتاب والسنة على إثبات هذه

المرتبة كثيرة جدًا^(١) وأجمع على إثباتها الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث اهـ.

قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ص ٣٠٧):

اللوح: كل صحيفة عريضة خشبًا أو عظمًا اهـ.

قال ابن عثيمين في شرح الواسطية (ص ٥٤٧):

اللوح المحفوظ: لا نعرف ماهيته من أي شيء؟ أمن خشب أم من حديد أم من ذهب أم فضة أم زمرد؟ فالله أعلم بذلك؛ إنما نؤمن أن هناك لوحًا كتب الله فيه مقادير كل شيء، وليس لنا الحق في أن نبحت وراء ذلك، لكن لوجاء في الكتاب والسنة ما يدلنا على شيء فالواجب أن نعتقده.

ووصف بكونه محفوظًا؛ لأنه محفوظ من أيدي الخلق، فلا يمكن أن يلحق أحد به شيئًا، أو يغير به شيئًا أبدًا.

ثانيًا: محفوظ من التغيير، فالله عز وجل لا يغير فيه شيئًا؛ لأنه كتبه عن علم منه.

القلم

قوله: (والقلم حق كتب الله به كل شيء وأحصاه في الذكر، وتفاصيل ذلك المذكور في الكتاب العزيز المنزل من السماء، والسنة المطهرة، والمأثور عن سيد الأنبياء، وفي العلم المورث عن محمد ﷺ والحديث المأثور عنه ﷺ من ذلك ما يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجده):

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

وقال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

وثبت عند الإمام أحمد في مسنده (٣٠٧/١)، والترمذي برقم (٢٥١٦) من حديث ابن عباس قال: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَوْ يَا غُلِيمُ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: «أَحْفَظْ اللَّهُ يَحْفَظْكَ أَحْفَظْ اللَّهَ تَحِذْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

وحديث «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَلَمَ، ثُمَّ قَالَ اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وهو صحيح، وقد جاء عن جماعة من الصحابة:

الأول: حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

رواه أحمد (٣١٧/٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (١١٤/١٤) وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧) وأبو داود الطيالسي كما في مسنده برقم (٥٧٧) والترمذي برقم (٣٣١٩ و ٢١٥٥).

وهو صحيح.

ورواه الشاشي في مسنده برقم (١١٩٢) بلفظ: «من أول ما خلق الله القلم» ولفظة «من» منكرة، زادها عبد الواحد بن سليم السلمي وهو ضعيف وتارة، يذكرها وتارة لا يذكرها.

الثاني حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي عاصم في السنة برقم (١٠٦)، والآجري في «الشرعية» برقم (٣٣٩) وفي سنده بقية بن الوليد، يدلس تدليس التسوية، ولم يصرح في شيخه.

الثالث: حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

رواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» برقم (٢٣٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٠٨)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٨٥٩-٨٦٠)، وابن جرير في «التفسير» (١٦/٢٩ و ١٧) و«التاريخ» (١/١٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٨٥٤).

و الراجح في حديث ابن عباس الوقف، وهو صحيح.

الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه الآجري في «الشرعية» برقم (١٧٩ و ٣٤٥) وفي سنده الحسن بن يحيى الخشنى ضعيف.

فحديث أبي هريرة حديث ضعيف.

فالحاصل أن الحديث جاء عن عبادة صحيح، وعن ابن عمر حسن، وعن ابن عباس صحيح موقوفاً، وعن أبي هريرة ضعيف.

فالحديث صحيح والحمد لله، وقد تقدم تخريجه بأوسع من هذا الموضع.
وفي صحيح مسلم برقم (٢٦٤٨) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ لَنَا دِينَتَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ».

قَالَ: فَقِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ».

قال ابن منظور في لسان العرب (١١ / ٢٩٠):

القلم الذي يكتب به، والجمع أقلام وقلام.

قال ابن بري: وجمع أقلام أقاليم اهـ.

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ص ١٤٨٥):

والقلم محركة البراعة. اهـ.

والأقلام أربعة وهي:

الأول: القلم العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي كتب به مقادير كل

شيء، وهذا هو المراد هنا، وهو أول الأقلام وأفضلها وأجلها.

الثاني: الذي يكتب به الملك رزق الجنين، وعمله، وشقي أو سعيد، وهو المراد

في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ الْبَخَارِيِّ برقم (٦٥٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٤٣)

قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، فَوَاللَّهِ إِنْ أَحَدَكُمْ أَوْ الرَّجُلُ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا».

الثالث: خبر خلق آدم، وهو قلم عام أيضًا، لكن لبني آدم، وورد هذا في آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وسعادتهم وعقوب خلق أبيهم.

الرابع: القلم الموضوع على العبد عند البلوغ الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم.

وكذا المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ.

راجع التنبيهات السنية (ص ٢٥١)، والكواشف الجليلة (٣٥٧-٣٥٩) نقلا من كلام ابن القيم عليهم رحمة الله.

الخامس: قلم الوحي وهو الذي يكتب به وحي الله أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم، والأقلام كلها خدام لأقلامهم، وقد رُفِعَ النبي ﷺ ليلة أُسْرِيَ به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام.

فهذه الأقلام هي التي يكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها أمر العالم العلوي والسفلي.

انتهى من كلام ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٢٦٥-٢٦٦).

والحديث الذي ذكره هو من حديث أبي ذر في الصحيحين وقد تقدم.

قوله: (والموت يؤتى به يوم القيامة فيذبح كما روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: هذا الموت، كلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]:

والحديث رواه البخاري برقم (٤٧٣٠) ومسلم برقم (٢٨٤٩).

وقوله: «فيشرئبون»: قال ابن لأثير في النهاية (٢/ ٤٥٥):

أي يرفعون رؤوسهم لينظروا إليه، وكل رافع رأسه مشرب. اهـ

والأملح هو الأبيض الذي خالطه سواد. قاله الكسائي. وقال ابن الأعرابي: هو الأبيض الخالص.

وهذا الحديث ذكره أهل السنة في كتب العقائد ردًا على أهل البدع الذين ينكرون

هذا، قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ١٨٢-١٨٣):

قال المازري: الموت عند أهل السنة عرض يضاد الحياة، وقال بعض المعتزلة: ليس بعرض، بل معناه عدم الحياة، وهذا خطأ؛ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢]، فأثبت الموت مخلوقًا، وعلى المذهبين ليس الموت بجسم في صورة كبش أو غيره فيتأول الحديث على أن الله يخلق هذا الجسم ثم يذبح مثلاً لأن الموت لا يطرأ على أهل الآخرة.

الحوض

قوله: (فصل. وفي عرصة القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آتيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر، وعرضه شهر، ومن يشرب منه شربة لا يظمأ بعده أبدًا):

قوله: (عرصة القيامة): تقدم الكلام عليها.

وقوله: (الحوض):

الحوض في اللغة: قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٣٩٥):

حاض الماء وغيره حوضًا وحوضه: حاطه وجمعه.

وحضت أحوض: اتخذت حوضًا.

واستحوض الماء: اجتمع.

والحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض.

واصطلاحًا: هو الماء المجتمع المذكور في الأحاديث أنه للنبي ﷺ يوم القيامة.

وهذا الحوض موجود الآن كما في صحيح البخاري برقم (٦٥٩٠)

ومسلم (٢٢٩٦) عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى الْمُنْبِرِ فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٨)، ومسلم (١٣٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨١) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ الدَّرِّ الْمَجُوفِ قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ أَوْ طَبِيبُهُ مِنْكَ أَذْفَرُ».

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١-٢].

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٧٨) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: الْكَوْثَرُ الْحَيَرُ الْكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَزْبَاءَ وَأَذْرَحَ».

وغيرها من الأدلة.

صفات الحوض:

الأولى / أشد بياضاً من اللبن.

الثانية / أنيته عدد نجوم السماء.

الثالثة / من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

الرابعة / أحلى من العسل.

الخامسة / طوله شهر وعرضه شهر.

لحديث عبد الله بن عمرو عند البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) وهذا لفظه قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرِ مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».

وعند البخاري برقم (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُم عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَئِذَا دَنَّا عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».

وروى الإمام مسلم برقم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَكَوَاكِبِهَا إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِحَةِ آيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَأْوُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

وفي البخاري برقم (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٩) عَنْ جُنْدَبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُم عَلَى الْحَوْضِ».

وفي صحيح البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) عَنْ أَسْمَاءِ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤْخَذُ

أُنَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ، وَاللَّهِ مَا بَرَحُوا بِعَدِّكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بِعَدِّكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ: هَلُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بِعَدِّكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَم».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٢٩٤) عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَصْحَابِي: «إِنِّي عَلَى الْخَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ فَلَأَقُولَنَّ: أَيُّ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٢٩٥) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَذْكُرُونَ الْخَوْضَ، وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا كَانَ يَوْمًا مِنْ ذَلِكَ وَالْجَارِيَةُ تَمْشِي بِي، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ» فَقُلْتُ لِلْجَارِيَةِ: اسْتَأْخِرِي عَنِّي. قَالَتْ: إِنَّمَا دَعَا الرَّجَالَ وَلَمْ يَدْعُ النِّسَاءَ فَقُلْتُ: إِنِّي مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْخَوْضِ، فَإِذَا يَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ

فَيَذْبُ عَنِّي كَمَا يَذْبُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمَا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا.

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٧٦)، ومسلم برقم (٢٢٩٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيْزَفَعَنَّ مَعِيَ رَجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لِيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُمَا بَعْدَكَ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٣٠١) عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَبِعْقُرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ»، فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ».

وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَخْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُثُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يُمَدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ».

وفي صحيح مسلم برقم (٢٣٠٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بَعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ».

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٧٧-٢٧٨):

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً رضي الله عنهم، ولقد استقصى طرفها شيخنا الكبير عماد الدين ابن كثير تغمدته الله برحمته في آخر تاريخه الكبير المسمى بـ(البداية والنهاية) اهـ.

قلت: هو النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير رحمه الله انظر (١/ ١٨٨-٢٠٩).

وراجع كتاب مرويات الصحابة رضي الله عنهم في الحوض الكوثر جمعها عبد القادر بن محمد عطا وجمع فيها ثلاث رسائل.

وأما الجمع بين الروايات المختلفة في مسافة الحوض، فقال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٥٧/١٥):

قوله ﷺ: «وإن عرضه ما بين أيلة إلى الجحفة»، وفي رواية «ما بين ناحيته كما بين جرباء وأذرح».

قال الراوي: هما قريبان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال، وفي رواية عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة، وفي رواية من مقامي إلى عمان، وفي رواية قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وفي رواية ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة أما أيلة فبفتح الهمزة وإسكان المثناة تحت وفتح اللام وهي مدينة معروفة في عراف الشام على ساحل البحر متوسطة بين مدينة رسول الله ﷺ ودمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق نحو ثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين مصر نحو ثمان مراحل.

قال الحازمي: قيل: هي آخر الحجاز، وأول الشام، وأما الجحفة فسبق بيانها في كتاب الحج، وهي بنحو سبع مراحل من المدينة بينها وبين مكة.

وأما جرباء فبجيم مفتوحة ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم ألف مقصورة هذا هو الصواب المشهور أنها مقصورة، وكذا قيدها الحازمي في كتابه المؤتلف في الأماكن، وكذا ذكرها القاضي وصاحب المطالع والجمهور وقال القاضي وصاحب المطالع: ووقع عند بعض رواة البخاري ممدودًا قالوا: وهو خطأ.

وقال صاحب التحرير: هي بالمد وقد تقصر.

قال الحازمي: كان أهل جربا يهودًا كتب لهم النبي ﷺ الأمان لما قدم عليه لحية بن ربيعة صاحب أيلة يقوم منهم ومن أهل أذرح يطلبون الأمان.

وأما أذرح فبهزمة مفتوحة ثم ذال معجمة ساكنة ثم راء مضمومة ثم حاء مهملة هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور.

قال القاضي وصاحب المطالع: ورواه بعضهم بالجيم قالوا: وهو تصحيف لا شك فيه، وهو كما قالوا وهي مدينة في طرف الشام في قبلة الشوبك بينها وبينه نحو نصف يوم وهي في طرف الشراط بفتح الشين المعجمة في طرفها الشمالي وتبوك في قبلة أذرح بينهما نحو أربع مراحل وبين تبوك ومدينة النبي نحو أربع عشرة مرحلة، وأما عمان فبفتح العين وتشديد الميم وهي بلدة بالبلقاء من الشام.

قال الحازمي: قال ابن الأعرابي: يجوز أن يكون فعلا من عم يعم فلا تنصرف معرفة وتنصرف نكرة، قال: ويجوز أن يكون فعلا من عمن فتنصرف معرفة ونكرة إذا عني بها البلد هذا كلامه والمعروف في روايات الحديث وغيرها ترك صرفها.

قال القاضي عياض: وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبا للاضطراب؛ فانه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة فبهذا تجمع الروايات.

هذا كلام القاضي.

قلت: وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة، والله أعلم اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في النهاية (٢٠٩/١):

اختلاف تحديد الرسول ﷺ لحجم الحوض طوًلاً وعرضاً لاختلاف المخاطبين، فحدد لكل بالأمكنة التي يعرف اهـ.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم (٥٣/١٥-٥٤):

قوله ﷺ: «لأننا أفرطكم على الحوض» قال أهل اللغة: الفرط بفتح الفاء والراء، والفرط هو الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم والحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء، فمعنى فرطكم على الحوض سابقكم إليه كالمهيء له. اهـ.

هل الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط؟

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٤٦٦/١١):

قوله: (باب الحوض) أي حوض النبي ﷺ، وجمع الحوض أحواض، وهو مجمع الماء، وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الميزان إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه.

وقد أخرج أحمد والترمذي من حديث النضر بن أنس عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال: «أنا فاعل» فقلت: أين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك قال: «أنا عند الميزان» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «أنا عند الحوض».

وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط بما سيأتي في بعض أحاديث هذا الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يكادوا يردون، ويذهب بهم إلى النار ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار، فكيف يرد إليها؟!

ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون النار، فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط.

وقال أبو عبد الله القرطبي في التذكرة: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط.

وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرًا.

قلت: وفيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة كما تقدم، ويأتي وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمد منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط؛ فإن الناس يردون الموقف عطاشى، فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال: ألا تردون؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها، وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة. اهـ.

وهذا - أعني كون الحوض قبل الصراط - ترجيح ابن كثير في كتاب النهاية (١/٢٠٨)، وقال رحمه الله جوابًا عن حديث أنس الذي ذكره الحافظ ابن حجر وهو عند أحمد (٣/١٧٨)، والترمذي برقم (٢٤٣٣) وهو حسن:

والمقصود أن ظاهر الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضًا، وهذا لا أعلم به قائلًا، اللهم إلا أن يكون ذلك حوضًا ثانيًا لا يزداد عنه أحد، والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ.

ويقوي قول الإمامين ابن حجر وابن كثير في كما رواه البخاري برقم (٦٥٨٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، فَلَا أَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَم».

وأيهما قبل الحوض أم الميزان؟

قال القرطبي في التذكرة (١/ ٣٦٨):

واختلف الناس في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟

ف قيل: الميزان قبل الحوض، وقيل: الحوض.

قال أبو الحسن القاسبي: والصحيح أن الحوض قبل.

قلت-القائل القرطبي:-

والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم قبل

الصراط والميزان، والله أعلم.

وقال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة: وحكى بعض السلف من أهل التصنيف: أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله... إلخ.

فائدة: قال ابن كثير في النهاية (١/ ٢٠٩):

وإذا كان الظاهر كونه - أي الحوض - قبل الصراط، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل أو بعد ذلك؟
هذا مما يحتمل كلا الأمرين، ولم أرى في ذلك شيئاً فاصلاً، فالله أعلم أي ذلك يكون اهـ.

أين يكون الحوض؟

قال القرطبي في التذكرة (١/ ٣٧١):

ولا يخطر ببالك، أو يذهب وهمك إلى أن الحوض على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مسافة هذه الأقطار، أي في المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض اهـ.

أول من يرد الحوض على النبي ﷺ:

جاء في حديث ثوبان ابن ماجه برقم (٤٣٠٣)، وأحمد (٢٧٦-٢٧٧) عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حَوْضِي مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى أَيْلَةَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، أَكَاوِيْبُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَرِدُهُ عَلَيَّ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الدُّنُسُ ثِيَابًا، وَالشُّعْتُ رُءُوسًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُنْعَمَاتِ، وَلَا يُفْتَحُ لَهُمُ السُّدُودُ».

قَالَ: فَبَكَى عُمَرُ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، ثُمَّ قَالَ: لَكِنِّي قَدْ نَكَحْتُ الْمُنْعَمَاتِ، وَفُتِحَتْ لِي السُّدُودُ لَا جَرَمَ أَنِّي لَا أَغْسِلُ ثَوْبِي الَّذِي عَلَى جَسَدِي حَتَّى يَتَسَخَّ، وَلَا أَذْهَنُ رَأْسِي حَتَّى يَشَعَثَ.

وهذا حديث ضعيف، فإن العباس بن سالم الدمشقي يقول: نبئت عن أبي سلام، كذا عند ابن ماجه، وعند أحمد لم يبينه.

وأبو سلام وهو ممطور الأسود الحبشي لم يسمع من ثوبان.

قاله يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل كما في تحفة التحصيل (ص ٣١٥-٣١٦):

وجزم هؤلاء الأئمة مقدم على تصريح بعضهم بسماعه منه.

وأيضاً حديث ثوبان في صحيح مسلم برقم (٢٣٠١)، وليس في هذا اللفظ، وهذا يقوى ضعف هذا اللفظ، فالله أعلم من هو أول من يرد الحوض على النبي ﷺ، وإن وجد دليل ثابت قلنا به والحمد لله.

هل لكل نبي حوض؟

لم أرى دليلاً في ذلك، وأحسن ما رأيت في ذلك مرسل الحسن البصري، ومراسيله من أضعف المراسلين، وحديث أبي سعيد من طريق عطية العوفي وهو ضعيف يصلح في الشواهد، وبقيت طرقه لا يعرج عليها، فإن وجدت له طريق ولو ضعيفة تصلح في الشواهد.

والحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٥٨٩).

من يطرد عن الحوض:

تقدمت بعض الأدلة فيمن يطرد عن الحوض، وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَرَدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ».

وفي صحيح البخاري برقم (٦٥٨٦)، ومسلم (٢٣٠٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَرُدُّ عَلَى الْحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيَحْلَتُونَ عَنْهُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَخَذْتُوا بِعَدِّكَ إِنَّهُمْ ازْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى».

وفي مسند الإمام أحمد (٢٤٣/٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٢٥٩) عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةُ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعَةٌ أَحَدُ الْعَدَدَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْآخَرُ مِنَ الْعَجَمِ فَقَالَ: «اسْمَعُوا هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُعِثْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ».

وهو حديث صحيح.

وفي صحيح البخاري برقم (٣١٧١-٢٨٦٠) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَحْشُرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ أَلَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّامِلِ فَأَقُولُ: يَا رَبَّ أَصْحَابِي فَيَقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ فَأَقُولُ: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فَيَقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ.

قال القرطبي رحمه الله في التذكرة (٣٧٣/١):

قال علماءنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الخوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والرافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطمس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في الصفات وعلى هذا التقدير يكون النور نور الوضوء يعرفون به، ثم قال لهم: سحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يظهرن الإيثار ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا الكافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان اهـ.

الكوثر:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٩٦٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللَّوْلُؤِ مَجُوفًا فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ».

وفي البخاري أيضًا برقم (٤٩٦٥) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مَجُوفٌ آتِيَتْهُ كَعَدَدُ النُّجُومِ.

وفي البخاري برقم (٤٩٦٦) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بَشِيرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.

وفي صحيح مسلم برقم (٤٠٠) عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةُ سُورَةِ فَرَقَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَتَذَرُونَنِي مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ آتِيَتْهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَذَرِينِي مَا أَخَذْتُ بَعْدَكَ».

قال الحافظ في الفتح: (٧٣١ / ٨): الكوثر فوعل من الكثرة، سمي بها النهر لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره اهـ.

هل الكوثر هو الحوض أو غيره؟

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (٧٣٢ / ٨):

وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس إنه الخير الكثير لا يخالف قوله غيره إن المراد به نهر في الجنة لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعل سعيداً أوماً إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ فلا معدل عنه، وقد نقل المفسرون في الكوثر أقوالاً أخرى غير هذين تزيد على العشرة اهـ.

فالذي يظهر هو ترجيح أن الكوثر هو النهر الذي يصب في الحوض، والله أعلم.

المنكرون للحوض:

المنكرون للحوض هم المعتزلة، والخوارج ومنهم الإباضية.

ولذا يقول قائل الإباضية:

وما الصراط بجسر مثل ما زعموا وما الحساب بعد مثل من ذهلا
وفي الأدلة مقنع لمن بصره الله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

قال الحافظ في الفتح (١١/٤٦٧) فيما نقله عن القرطبي في المفهم:

وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من المبتدعة، وأحالوه على ظاهره، وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهرة وحقيقته، ولا حاجة تدعو إلى تأويله، فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف قلت القائل الحافظ - أنكره الخوارج وبعض المعتزلة، وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية وولده. اهـ.

ونقول لأولئك المبتدعة المنكرين للحوض:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا لأصبح الصخر مثقال بدينار والأدلة وإجماع السلف رد عليهم، وكذا كما قال القرطبي: لا يمنع منه العقل والعادة؛ ولكن لما فسدت عقولهم وفطرتهم فسد معتقدتهم فوقعوا في الزيغ والضلال البعيد فلا يعرفون إلا ما أشربت قلوبهم من البدع والضلال والانحراف، نسأل الله العافية وحسن الخاتمة.

الصراط

قوله: (والصراط منصوب على متن جهنم):

تعريف الصراط لغة تقدم في أوائل الكتاب.

أما تعريفه الاصطلاحي فهو ما عرفه الإمام البخاري بقوله: باب الصراط
جسر جهنم. راجع البخاري مع الفتح (١١/٤٤٤).

قال الحافظ في الفتح (١١/٤٤٦):

قوله: (باب الصراط جسر جهنم):

أي الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة، وهو بفتح الجيم،
ويجوز كسرهما. اهـ.

قال الله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

عَنْ أُمِّ مُبَشَّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ - إِنْ
شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،
فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا﴾ [مريم: ٧٢].

رواه مسلم برقم (٢٤٩٦).

قوله: (والصراط منصوب على متن جهنم):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَسْبِعْهُ، فَيَسْبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَسْبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَسْبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَسْبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعَا الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازِي حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَشُوا، فَيَصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ

الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا
الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَسَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي
ذُكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ
فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودِ
وَمَوَائِقِ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ
مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ
قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟ وَيَلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا
أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ
أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودِ وَمَوَائِقِ،
فَيَقْدِمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ
وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَذْخَلَنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا
أَعْطَيْتَ؟ وَيَلْكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا
يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ
الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّى. فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ مِنْ كَذَا
وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

رواه البخاري برقم (٨٠٦) ومسلم برقم (١٨٢).

صفة الصراط:

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُ مِنَ السَّيْفِ.

رواه مسلم برقم (١٨٣) وقد مرَّ في أحاديث الشفاعة، ويأتي قريباً إن شاء الله.
قوله: (يجوزه الأبرار)، وينزل عنه الفجار، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمرُّ الناس عليه على قدر أعماله، فمنهم من يمر كالمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو، ومنهم من يمشي شيئاً، ومنهم من يزحف ويخطف، ويلقى في جهنم):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا، ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغَبَرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ اللَّهِ فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَسَاقُطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يَقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيَقَالُ: اشْرَبُوا فَيَسَاقُطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ

فَاجِرٍ فَيَقَالُ لَهُمْ: مَا يَجْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَأَرْقَنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا! فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقِ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِبَاءً وَسَمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجُسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مِرْلَةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَالَلَيْبِ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقِيقَاءُ تَكُونُ يَنْجِدُ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مُخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشِدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمِيذٌ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيَحْرُمُ اللَّهُ صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَأَقْرُءُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيتَ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ، قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ: أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُنُقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ.

رواه البخاري برقم (٧٤٤٠)، ومسلم برقم (١٨٣).

وفي صحيح مسلم برقم (١٩٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحُذَيْفَةَ قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزَلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةٌ أَيْبِكُمْ آدَمُ؟ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، ااعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ، فَيُؤَذِّنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَّتِي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ»، قَالَ: قُلْتُ يَا أَبَا أُنْتِ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقُ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحَ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرَ، وَشَدَّ

الرَّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيكُمُ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعَجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيبٌ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوشٌ فِي النَّارِ».

وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنْ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.

قال البخاري رحمه الله في كتاب الرقاق: (باب الصراط جسر جهنم):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُجِيزُ».

رواه البخاري برقم (٦٥٧٣) من حديث طويل.

وكذا هو في صحيح مسلم (١/ ١٦١ برقم ١٨٢) بلفظ: «وَيُضْرَبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ».

قوله: (والجسر عليه كلاليب، يخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة):

تقدم دليله حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

قوله: (وإذا عبروا وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؛ فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ

مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي
نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا أَحَدَهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا.

رواه البخاري برقم (٦٥٣٥).

أول من يستفتح الجنة ويدخلها

قوله: (وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ، وأول من يدخل الجنة أمته ق):
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ الْأَخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» الحديث.

رواه مسلم برقم (٨٥٥).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي بَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ
قَبْلَكَ».

رواه مسلم برقم (١٩٧).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ».

رواه مسلم برقم (١٩٦).

وفي صحيح مسلم (١/ ١٦١ برقم ١٨٢) بلفظ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي
جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ».

وقد تقدم تخريجه قريباً من صحيح البخاري.

الجنة والنار

قوله: (والجنة والنار مخلوقتان اليوم، باقيتان، ولا يفنى أهلها، لقوله تعالى في حق الفريقين: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]:

تعريف الجنة في اللغة: مادة الجيم والنون تدل على الستر، مثل الجن، والجنين، والجنان، والجنة، والمجن، وكجن الليل وغيرها.

وهي في اللغة: الحديقة ذات الشجر، والنخل، وجمعها جنان.

راجع لسان العرب (٢/ ٣٨٥-٣٩٢).

أما أدلة الجنة فقال الله تعالى في شأنها: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وأما النار فقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

قال الطحاوي في عقيدته:

والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبديدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه. اهـ.

والأدلة كثيرة جدًا على أن الجنة، والنار قد خلقتا، وهما معدتان الآن، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٢٠-٤٢١):

فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئها الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله: وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا *

لِلطَّاغِينَ مَابًا﴾ [النبا: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ

الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣-١٥].

وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من

حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبرائيل حتى

أتى سدره المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: ثم دخلت الجنة فإذا هي جنابذة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

ثم استطرده رحمه الله في ذكر الأدلة، وهي كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ق. وحديث أنس الذي ذكره رواه البخاري برقم (٣٣٤٢) ومسلم برقم (١٦٣) يرويّه عن أبي ذر، وقد ذكرته بطوله في الإسراء والمعراج.

قوله: (والأصح أن الجنة في السماء، وجهنم في الأرض، ولم يصرح بتعيين مكانهما، بل حيث شاء الله تعالى).

والجنة دار أوليائه، والنار عقابه لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، والمجرمون في عذاب جهنم ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥].

وقد خلقت الجنة وما فيها، وخلقت النار وما فيها، خلقهما الله عز وجل قبل القيامة، وخلق لهما، ولا يفنيان أبداً.

فإن احتج مبتدع أو زنديق، بقول الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، أو نحو هذا من متشابه القرآن.

قيل له: كل شيء مما كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خُلِقَتَا للبقاء لا للفناء والهلاك، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والخور العين لا تَمُتُّنَ عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبداً؛ لأن الله تعالى خلقهن للبقاء، ولا للفناء، ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع، ضل عن سواء السبيل):

الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فهما خلقتا للبقاء لا للفناء، وهما من ثمانية أشياء مخلوقة لا تفنى جمعها الشاعر في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها من الخلق والباقي في حيز العدم
 العرش والكرسى ونار وجنة وعجب وأرواح واللوح والقلم
 راجع مقدمة كتاب الصنعاني رفع الأستار لأبطال أدلة القائلين بفناء النار للألباني
 (ص ١٨) وعزاها للكافية الشافية.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل
 السنة والجماعة على ذلك، كما في مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨).

رؤية المؤمنين لرَب العالمين يوم القيامة

قوله: (فصل. ويؤمن):

أي أهل السنة والجماعة (أهل الحديث).

قوله: (بأن المؤمنين يرونه سبحانه وتعالى يوم القيامة):

في موضعين:

الأول: في عرصات القيامة.

الثاني: في الجنة، كما ستأتي الأدلة على ذلك.

قوله: (عياناً بأبصارهم):

لفظة «عياناً» تعتبر شاذة، فالحديث في صحيح البخاري برقم (٤٨٥١) ومسلم برقم (٦٣٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله، قال: كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةَ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

وعند مسلم قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، بدل الآية التي في صحيح البخاري من سورة [ق: ٣٩].

بدون ذكر لفظة «عياناً».

وهذه اللفظة رواها البخاري برقم (٧٤٣٥)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٤١٣ برقم ٢٤٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٣٠ برقم ٤١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٠١ برقم ٤٦١)، والطبراني في الكبير (٢/٢٩٦) برقم (٢٣٣)، وابن منده في الإبان (٢/٧٨٣ برقم ٨٠٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٧٥ برقم ٨٢٥)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٨)، والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٣٨).

كلهم من طريق أبي شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير فذكره.

وقال الطبراني عقبه: في هذا الحديث زيادة لفظة قوله: «عيانًا» تفرد بها: أبو شهاب، وهو حافظ متقن من ثقات المسلمين. اهـ
ونقل كلامه الحافظ في الفتح (١٣/٤٢٧).

وأبو شهاب هو: عبد ربه بن نافع الكتاني الحناط، أبو شهاب الأصغر، قال الحافظ في التريب: صدوق يهم.

وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة عند ابن منده (٢/٧٨٣ برقم ٧٩٩)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٧٥ برقم ٨٢٦)، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٨) بلفظ: «إنكم ستعاينون ربكم».

وهذان الراويان قد خالفا أكثر من ستين راويًا.

قال الحافظ رحمه الله في الفتح (١٣/٤٢٧):

وذكر شيخ الإسلام الهروي في كتابه الفاروق: أن زيد بن أبي أنيسة رواه أيضًا عن إسماعيل بهذا اللفظ، وساقه من رواية أكثر من ستين نفسًا، عن إسماعيل بلفظ واحد كالأول. اهـ

وقد سرد بعضهم ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٤٠٧-٤١٢)، فراجعه إن شئت.

فلفظة: «عيانًا» شاذة.

لكن الأدلة تدل على أن الرؤية بالأبصار، بوضوح وجلاء.

ومن رد هذا الحديث فهو جهمي، قال وكيع:

من طعن في حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير فهو جهمي.

رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤١٨) وعلقه البخاري في خلق أفعال العباد برقم (٢٥) وهو حسن.

ويعني وكيع حديث الرؤية هذا.

قوله: (كما يرون الشمس صحواً، ليس دونها سحب، وكما يرون القمر ليلة

البدر، لا يضامون في رؤيته، يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ

شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ،
وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاعِيتَ الطَّوَاعِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ
اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ:
نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي
صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ
الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ جَهَنَّمَ، فَكَوْنُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا
الرُّسُلُ، وَدَعَا الرُّسُلُ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ مِثْلُ شَوْكِ
السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ
السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدَرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ
الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمَجَازِي حَتَّى يُنَجَّى، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ
الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بَرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ
مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ
حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدْ امْتَحَسُوا، فَيَصَبُّ
عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ
الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا
الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَصْرَفَ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي
ذِكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوهُ. ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ
فَعَلْتَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبُّهُ مِنْ عُهُودِ

وَمَوَائِقَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَأَاهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عَهْدَكَ وَمَوَائِقَكَ لَا تَسْأَلْنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطَيْتَكَ، وَبِئْسَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ. وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطَيْتَكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عَهْدٍ وَمَوَائِقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ أَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عَهْدَكَ وَمَوَائِقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطَيْتَ، وَبِئْسَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَتَّه. فَيَسْأَلُ رَبُّهُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيَذْكُرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأُمَانِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

رواه البخاري برقم (٨٠٦) ومسلم برقم (١٨٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِمَا».

ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ، أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبْرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى

بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّمَا سَرَابٌ، فَيَقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عَزِيرَ ابْنِ
الله، فَيَقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ اللهُ صَاحِبَهُ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ
اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا
نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيَقَالُ: كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ اللهُ صَاحِبَهُ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ:
نُرِيدُ أَنْ تَسْقِينَا، فَيَقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ
أَوْ فَاجِرٍ، فَيَقَالُ لَهُمْ مَا يَحْسِبُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ
مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ
رَبَّنَا قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا
رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا؟ فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ يَبْنِيكُمْ وَيَبْنِيهِ آيَةٌ
تَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ».

رواه البخاري برقم (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

ويروى الحديث «تضارون»: أي لا يلحقكم ضرر.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٢٠/٣):

قوله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر»، وفي الرواية الأخرى: «هل تضامون»،
وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما، ومعنى المشدد: هل
تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخلفائه، كما تفعلون
أول ليلة من الشهر.

ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير، وهو الضرر.

وروى أيضًا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها، فمن شددتها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد هل تضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته، ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب.

قال القاضي عياض رحمه الله: وقال فيه بعض أهل اللغة تضارون أو تضامون بفتح التاء وتشديد الراء والميم، وأشار القاضي بهذا إلى أن غير هذا القائل يقولهما بضم التاء سواء شدد أو خفف، وكل هذا صحيح ظاهر المعنى، وفي رواية للبخاري لا تضامون أو لا تضارون على الشك، ومعناه لا يشبهه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضًا في رؤيته. والله أعلم.

قوله: سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ «فإنكم ترونه كذلك» معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف.

وراجع الاعتقاد للبيهقي (ص ١٣٦-١٣٧) والنهاية لابن الأثير (٣/ ١٠١).

قوله: (ثم يرونه بعد دخول الجنة، كما يشاء الله سبحانه فيكرمهم):
عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ سَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ تَنْجِنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ».

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ لَا هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

رواه مسلم برقم (١٨١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَتَانٍ مِنْ فِضَّةٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَتَانٍ مِنْ ذَهَبٍ أُنِيَتْهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

رواه البخاري برقم (٤٨٧٨) ومسلم برقم (١٨٠).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

رواه البخاري برقم (٦٥٤٩) ومسلم برقم (٢٨٢٩).

قوله: (ويتجلى لهم من فوقهم):

عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ فَقَالَ: نَجِيءٌ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا انْظُرْ أَيُّ ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْتَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسِبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَاءِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحُلُّ الشَّفَاعَةُ

وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِنَاءَ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ وَيَذْهَبُ حَرَّاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا.
رواه مسلم برقم (١٩١).

ورواه أحمد (٤/٤٠٧) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً وفي
سنده علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

وهذا في حق أهل الجنة أما وصفه تعالى بالتجلي فقد دل عليه القرآن، قال الله جل في
علاه:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قوله: (ولا يراه الكافرون، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]):

قال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه
في الرضى. اهـ من شرح الطحاوية (ص ١٩١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٥/٩١):

يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

انتهى ما نقله عن الأشعري في مقالات الإسلاميين.

قال النووي في شرح مسلم في الكلام على حديث أبي سعيد السابق (٢٧/٣):

ثم اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين، وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاه ابن فورك، لقوله ﷺ: «وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تعالى»، وهذا الذي قالوه باطل، بل لا يراه المنافقون بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين.

وليس في هذا الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى، وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة، ثم بعد ذلك يرون الله تعالى، وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم، وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى والله أعلم.

قلت: وفي نقل الإجماع نظر، فقد ذكر ابن القيم في حادي الأرواح (ص ٣٥٥) خلافاً في ذلك لأهل السنة أنفسهم، والله أعلم.

قوله: (وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

الشاهد في الآية الثانية، أما الآية الأولى فالمراد بهاء الوجوه؛ فالنضارة البهاء والحسن، ومنه قول رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَحَفَظَهَا، وَوَعَاَهَا، وَأَدَاَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فُقِهٍ غَيْرِ فُقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فُقِهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

رواه أحمد (٤٣٧/١)، والترمذي برقم (٢٦٥٧ و ٢٦٥٨)، وابن ماجه برقم (٢٣٢٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

وجاء من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه، رواه أحمد (١٨٣/٥)، وأبو داود برقم (٣٦٦٠)، والترمذي برقم (٢٦٥٦)، وابن ماجه برقم (٢٣٠ و ٤١٠٥). وهو حديث صحيح.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى وجه الله تعالى.

حسن، رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٨٩).

وعن حذيفة في قول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى الله تعالى.

حسن، رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٩١).

وعن الحسن في قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، قال: النضرة: الحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: نظرت إلى ربها عز وجل فنضرت لنوره.

صحيح، رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤٧٩)، والآجري في الشريعة برقم (٥٨٥)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٨٠٠). وعن عكرمة في قول الله عز وجل: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، قال: من النعيم، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، قال: تنظر إلى ربها عز وجل نظرًا.

حسن، رواه عبد الله بن أحمد في السنة برقم (٤٨١) والآجري في الشريعة برقم (٥٨٦).

وعن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله تعالى لا يرى في الآخرة، فغضب غضباً شديداً ثم قال: من قال بأن الله تعالى لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله، وغضبه، من كان من الناس، أليس الله عز وجل قال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله تعالى.

صحيح، رواه الأجرى في الشريعة برقم (٥٧٧).

وعن أبي عبد الله أحمد بن حنبل قال: قالت الجهمية: إن الله لا يرى في الآخرة، وقال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلا يكون هذا إلا أن الله تعالى يرى، وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣]، فهذا النظر إلى الله تعالى، والأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ: «إنكم ترون ربكم»، برواية صحيحة^(١)، وأسانيد غير مدفوعة، والقرآن شاهد أن الله تعالى يرى في الآخرة.

صحيح، رواه الأجرى في الشريعة برقم (٥٧٨).

وعن أبي داود السجستاني قال: سمعت أحمد بن حنبل: وذكر عنده شيء من الرؤية فغضب وقال: من قال: إن الله تعالى لا يرى، فهو كافر. صحيح، رواه الأجرى في الشريعة برقم (٥٨٠).

وعن العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: وذكر عنده هذه الأحاديث في الرؤية فقال: هذه عندنا حق، نقلها الناس بعضهم عن بعض.

صحيح، رواه الآجري في الشريعة برقم (٥٨١).

وقال محمد بن الحسين الآجري رحمه الله عقب هذا الكلام:

فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة الذين لا يستوحش من ذكرهم، وخالف الكتاب والسنة، ورضي بقول جهنم وبشر المريسي وبأشباههما، فهو كافر، فأما ما تأدى إلينا من التفسير في بعض ما تلوته، مما حضرني ذكره: فأنا أذكره إن شاء الله، ثم أذكر السنن الثابتة في النظر إلى الله تعالى، مما يقوى به قلوب أهل الحق، وتقر به أعينهم، وتذل به نفوس أهل الزيغ، وتسخر به أعينهم في الدنيا والآخرة.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ١٨٩-١٩٠):

قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وهي من أظهر الأدلة.

وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

وهذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية؟

فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد، وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين، والحرّة، وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد. وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة «إلى» الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافة حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

١ - فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار: ﴿انْظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ الحديد: [١٣].

٢ - وإن عدي بـ «في» فمعناه التفكير والاعتبار كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

٣ - وإن عدي بـ «إلى» فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر. اهـ

قوله: (وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]:

عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ تُنَجِّنَا

مِن النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ.

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

رواه مسلم برقم (١٨١).

قوله: (وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه تبين له طريق الحق):

قال الله جل في علاه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال الله جل في علاه: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقال الله جل في علاه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [المتحنة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٣٥٥):

وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى و المانع اقتضى المعاينة، والرؤية.

ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ [التوبة: ٧٧]، فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة، بل والكفار أيضًا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة.

وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة:

أحدها: أن لا يراه إلا المؤمنون.

والثاني: يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار، فلا يرونه بعد ذلك.

والثالث: يراه المنافقون دون الكفار.

والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه. اهـ.

وقول الله تبارك وتعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، يدل أن غيرهم من المؤمنين غير محجوب.

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله: أكلنا يرى ربه عز وجل يوم

القيامة؟ قال: « نعم » قلت: وما آية ذلك في خلقه ؟ قال: « يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر مخليًا به؟ » قلت: بلى قال: « فالله أعظم » وذكر الحديث.

حسن، رواه أحمد (١٣/٤)، وابن أبي عاصم برقم (٥٢٤) والأجري في الشريعة برقم (٦٠٥).

عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: بينا هو يعلمهم شيئًا من أمر دينهم: إذ شخصت أبصارهم فقال: « ما أشخص أبصاركم؟ » قالوا: نظرنا إلى القمر قال: « فكيف بكم إذا رأيتم الله عز وجل جهرة ».

حسن، رواه الأجري في الشريعة برقم (٦٠٩).

وأحاديث الرؤية بلغت حد التواتر، قال الشاعر:

ماتواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتًا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١٩٤):

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها، ولولا أني التزمت الاختصار لسقت ما في الباب من الأحاديث.

ومن أراد الوقوف عليها فليواظب سماع الأحاديث النبوية؛ فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمع من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق! وكيف تعلم أصول دين الاسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله ق؟ وكيف يفسر

كتاب الله بغير ما فسر به رسوله ﷺ، وأصحابه رضوان الله عليهم الذين نزل القرآن بلغتهم؟ اهـ.

ونحن إذ نذكر المتوتر لا كما تفعل المعتزلة حيث زعموا أنهم لا يقبلون الأحاد في العقيدة، وإنما من باب إلزامهم أن هذا متواتر وهم يردونه. وإلا فنحن لا نؤمن بمسألة تقسيم الحديث إلى آحاد ومتواتر؛ بل إذا ثبت الحديث وجب قبوله.

قوله: (وإن موسى عليه السلام سأل الله الرؤية في الدنيا، وأنه تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة):

قال الله جل في علاه: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

مذهب أهل السنة والجماعة بأجمعهم أن رؤية الله ممكنة غير مستحيلة عقلاً (١)، ولذلك سأل موسى ربه أن يراه؛ فلو كانت الرؤية مستحيلة لما سأل ربه ذلك، قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ١٩١-١٩٢):

فالاستدلال منها على ثبوت رؤيته من وجوه:

(١) راجع شرح النووي على صحيح مسلم (٣/١٨).

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاه ابنه أنكر سؤاله وقال: ﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].^(١)

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يقل إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوايين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمة حجر فظنه رجل طعامًا، فقال أطعمنيه، فالجواب الصحيح أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه الوجه.

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا، وذلك ممكن وقد علق به الرؤية، ولو كان محالًا لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل، وأشرب، وأنام، والكل عندهم سواء.

(١) الآية قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو حماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله، وأوليائه في دار كرامته، ولكن الله أعلم موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى، وناداه، وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرويته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما!

وأما دعواهم تأييد النفي بـ«لن» وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد فإنها لو قيدت بالتأييد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف اذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ولأنها لو كانت للتأييد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠].

فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد، قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا

قوله: (وما ذكر أهل الكلام في «مسألة الرؤية» من نفي جهة ومقابلة، واتصال شعاع، وقرب وبعد، وما يتصل بهذا، فليس في ذلك كله نص من الشارع، ولم يتفوه به أحد من سلف الأمة وأئمتها، وإنما أحدثه المتكلمون المتخبطون في براهين الفلاسفة، فمن طواه على غره):

أي: أعرض عنه ولم يلتفت إليه على أول أمره.

قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ٣٥٤): وغرة كل شيء: أوله. اهـ

وهذا هو الواجب تجاه تحريفات المحرفين وتأويلات المتكلفين، فكما هو الواجب الإعراض عن أهل البدع بجميع صورهم وأشكالهم فكذلك كلامهم، وإلا لم يُعرض عنهم!

قوله: (فقد أحسن واتبع، ومن خاض فيه بعقله الناقص، فقد أبعد وابتدع):

أي من أعرض عن كلامهم وافق الحق وقبلة؛ فلذلك صار متبعًا للحق فأحسن باتباع الحق.

ومن قبل كلامهم ودخل فيه بعقله القاصر، عارض الأدلة ورد الحق فأبعد وأبعد عن طريق الحق فصار مبتدعًا نسأل الله العافية.

قوله: (قال الشيخ ولي الله الدهلوي):

هو أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز الملقب شاه

ولي الله، فقيه، حنفي من المحدثين ولد سنة (١١١٠)، وتوفي سنة (١١٧٦).

ترجمته في «الأعلام» للزركلي (١/ ١٤٩).

قوله: (وهو مرئي للمؤمنين في يوم القيامة، لوجهين:

أحدهما: أن ينكشف عليهم انكشافًا تامًا بليغًا، أكثر من التصديق به عقلاً،

فكأنه الرؤية بالبصر، إلا أنه من غير موازنة، ومقابلة، وجهة، ولون، وشكل.

وهذا الوجه قال به المعتزلة وهو حق، وإنما خطئوهم في تأويلهم الرؤية بهذا

المعنى أو حصرهم الرؤية في هذا المعنى):

بل هو باطل بل هي رؤية بصرية حقيقة واضحة جلية بالعين، وليس بالكشف كما دلت الأدلة على ذلك، فمنها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ».

وقد تقدم الحديث بطوله قريباً.

فالشمس والقمر يُريان برؤية واضحة لا تنكشان انكشافاً تاماً أكثر من التصديق بهما عقلاً كما زعم!

وثم أمر وهو: أن التصديق بالله ليس عقلاً فحسب، نعم إن العقل السليم يصدق بالله، لكن لا يستقل العقل وحده بذلك، بل بالشرع، والعقل مخاطب بذلك.

ثم ماذا تصنع بحديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ».

رواه البخاري برقم (٤٨٧٨) ومسلم برقم (١٨٠).

وهذا وغيره من الأدلة صريح في النظر بالبصر لا مجرد الانكشاف.

قوله: (وثانيهما: أن يتمثل لهم بصور كثيرة):

الصورة ثابتة لله تعالى، كما تقدم في حديث أبي سعيد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوُجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ».

رواه البخاري برقم (٢٥٥٩) ومسلم برقم (٢٦١٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ النَّفَرِ وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعَ مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّمَا تَحِيَّتُكَ وَنَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ».

قَالَ: «فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، قَالَ: «فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ».

قَالَ: «فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الْآنَ».

رواه البخاري برقم (٣٣٢٦) ومسلم برقم (٢٨٤١).

أما القول على الله سبحانه وتعالى أنه له صور كثيرة فيفتقر إلى دليل.

وليس في ﷺ: «في أحسن صورة» أن الله تعالى له صورة حسنة، وصورة ليست بحسنة، بل المراد في صورته الحسنة.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْثًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وليس مع الله خالق تعالى الله أن يكون معه خالق آخر.

وما كان يحسن بالمؤلف بعد أن قرر عقيدة أهل السنة والجماعة أن ينقل كلام الدهلوي الذي فيه مناقضة ظاهرة لقول أهل السنة، وتقرير لقول الأشاعرة، ورد للأدلة، وانتصار لقول أهل البدع.

قوله: (ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «رأيت ربي في أحسن صورة»):

الحديث صحيح، وقد جاء عن ستة عشر صحابياً:

الأول: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وله طريقتان:

إحدهما: عند أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٥ و ٢٩٠)، وولده عبدالله في «السنة» (١١٦٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٤٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» برقم (٨٩٧-٨٩٩)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٧٧)، والآجري في «الشرعية» برقم (١٠٣٣)، وابن الجوزي في «العلل المنتهية» برقم (١٥١٨)

من طريق حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي تبارك وتعالى».

ورجاله ثقات، إلا أن حماد بن سلمة تغير بآخرة، وقال الإمام مسلم في «التمييز»: إنه يخطئ في حديث قتادة كثيراً، كما في «شرح علل الترمذي» لابن رجب (٥٠٨/٢).

والثانية: رواه أحمد (١/ ٣٦٨)، وعبد بن حميد في «المنتخب» برقم (٦٨١)، وعبدالرزاق في «التفسير» (٢/ ١٦٩)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن

مخلوق» برقم (٩١)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٤)، والترمذي برقم (٣٢٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» برقم (٣٢٠)

من طريق عبدالرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال.. فذكره.

وأبو قلابة، وهو: عبدالله بن زيد الجرمي روايته عن ابن عباس مرسله، كما في «تحفة التحصيل» و«الإصابة».

لكن رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٩)، وابن النجاد برقم (٧٦)، والترمذي برقم (٣٢٣٤)، وأبو يعلى الموصلي برقم (٢٦٨)

من طريق قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس.. فذكره.
وتصحف عند ابن أبي عاصم «أبو قلابة» إلى «أبي كلابة».

وقد تابع قتادة عباد بن منصور عند الآجري في «الشرعة» برقم (١٠٤٠) فرواه عن أيوب عن أبي قلابة عن خالد بن اللجلاج: أن ابن عباس حدثه.. فذكره.

فيتحصل من هذا أنه روى عن أيوب عن الوجهين، فرواه معمر بإسقاط خالد بن اللجلاج، ورواه عباد بن منصور بإثباته.

لكن قد قال الإمام أحمد إن قتادة أخطأ فيه، كما في «الإصابة» (٢٧٢/٤)، وكذا في «تحفة الأشراف» (٣٨٣/٤).

وقال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (١٠٥/٣) في ترجمة خالد: روى عن ابن عباس فيما قيل، والمحموظ عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي. اهـ

وقال الترمذي بعد ذكر حديث قتادة عن أبي قلابة خالد بن اللجلاج: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقد أعله أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (١/ ٢٠) ورجح في هذه الطريق أنها من رواية عبدالرحمن بن عائش مرسلًا.

فالأولى من طريقي حديث ابن عباس ضعيفة، والأخرى معلقة.
الثاني: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه:

رواه أحمد (٥/ ٢٤٣)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٧٤)، والترمذي في السنن برقم (٣٢٣٥)، ورواه في «العلل الكبير» (٢/ ٨٩٥-٨٩٦) مختصرًا، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٥٤٠-٥٤٢)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٢١ و ٢٣٠ و ٢٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم ٢١٦)، وابن الجوزي في «العلل» برقم (١٣)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٤٤)

من طريق يحيى ابن أبي كثير، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَائِشٍ الْحَضْرَمِيِّ: أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ مَالِكِ بْنِ يَحْيَى السَّكْسَكِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: اخْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا فُتُوبَ بِالصَّلَاةِ، وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ» ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: «إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمُ الْغَدَاةَ، إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيْتُ مَا قَدَّرَ لِي، فَتَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، يَا رَبِّ! قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟

قُلْتُ: لَا أَذْرِي، رَبِّ! فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ، وَعَرَفْتُ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ. قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكِرِيهَاتِ. قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ؟ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ، فَأَذْرُسُوهَا، وَتَعَلَّمُوهَا».

وصحح هذه الطريق أحمد كما في «تحفة الأشراف» (٣٨٣/٤)، والكامل لابن عدي (٢٣٤٤/٦). والبخاري كما ذكره الترمذي عقب الحديث.

ورجاله ثقات خلا عبدالرحمن بن عائش، وهو الحضرمي عُدَّ في الصحابة حتى جعل الحديث من حديثه كما سيأتي وهو خطأ.

وقال مغلطاي في «الإنباء إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة» (٣٢/٢): ولا تصح له صحبة. اهـ.

وهو الصواب، وهو مجهول حال. راجع «تهذيب التهذيب» (١٨٥-١٨٦)، و«الإصابة» (٢٧٠-٢٧٣).

ورواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٥٤٥/١)، والحاكم في «المستدرک» (٥٢١/١)، وابن النجاد برقم (٧٥)، والدارقطني في «الرؤية» (٢٢٨).

من طريق سعيد بن سويد القرشي عن أبيه عن عبدالرحمن بن إسحاق عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن معاذ... فذكره.

ولم يذكر ابن خزيمة «محمد» ولا «عن أبيه».

قال الحافظ في «إتحاف المهرة» (١٣/٦٦): لم يسمع محمد من أبيه، ولا ابن أبي ليلى من معاذ. اهـ

قلت: ومحمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ضعيف، ومحمد بن سعيد بن سويد وأبوه مجهولان، وعبدالرحمن بن إسحاق أبوشيبة الواسطي ضعيف جداً، كما في «تهذيب التهذيب».

ورواه الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٢٧) من طريق محمد بن صالح الواسطي عن الحجاج بن دينار عن الحكن بن عتيبة عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن معاذ.. فذكره.

وابن أبي ليلى لم يسمع من معاذ، كما تقدم كلام الحافظ.

والحجاج بن دينار، وهو الواسطي: صدوق.

ومحمد بن صالح الواسطي ترجمه البخاري في «التاريخ» (١/١١٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/٢٨٨) وغيرهما ولم يذكروا فيه جرْحاً ولا تعديلاً، وذكر ابن أبي حاتم من الرواة عنه راويين فهو مجهول حال. فحديث معاذ ضعيف.

وقد ذكر الإمام الدارقطني في «العلل» (٥٤/٦-٥٧) حديث معاذ وعبدالرحمن بن عائش وأنس وابن عباس، وحكم عليها بالاضطراب، وقد جاء الحديث عن صحابة آخرين، لم يذكرها الدارقطني رحمه الله.

وهو نفسه ذكر بعضها في كتاب «الرؤية» كما ستراه إن شاء الله تعالى.

الثالث: حديث عبد الرحمن بن عائش:

رواه الدارمي برقم (٢١٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٧)، وفي «الآحاد والمثاني» برقم (٢٥٨٥)، وابن النجاد برقم (٧٧ و ٨٠ و ٨١)، والمروزي في «مختصر قيام الليل» ص (٥٥-٥٦)، والآجري في «الشرعية» برقم (١٠٤١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٩٠١ و ٩٠٢)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٥/٤-٣٦)، وفي «التفسير» (٦٩/٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» برقم (٣١٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١١)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٣٣-٢٤٠).

من طريق عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن خالد بن اللجلاج، وسأله مكحول أن يحدثه، قال: سمعت عبدالرحمن بن عائش يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ فَقُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا رَبِّ. قَالَ: فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» وَتَلَا: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال ابن خزيمة عقبه: قوله في هذا الخبر: قال سمعت رسول الله ﷺ وهم؛ لأن عبد الرحمن بن عائش لم يسمع من النبي ﷺ هذه القصة، وإنما رواه عن رجل من أصحاب النبي ق، ولا أحسبه أيضًا سمعه من الصحابي؛ لأن يحيى بن أبي كثير رواه عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن الحضرمي عن مالك بن يخامر عن معاذ، وقال يزيد بن جابر عن اللجلج عن عبد الرحمن بن عائش عن رجل من أصحاب النبي ق. اهـ

وعبد الرحمن بن عائش الحضرمي مختلف في صحبته، كما في «الإصابة» (٢٧٠-٢٧٣). ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٨) من طريق ابن ثوبان، ثنا أبي عن مكحول وابن أبي زكريا عن عائش الحضرمي قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وابن ثوبان، هو: عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان فيه ضعف. ورواه يزيد بن يزيد بن جابر عند أحمد (٤/٦٦) و(٥/٣٧٨)، وابن خزيمة (١/٥٣٧-٥٣٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٤)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٢).

عن خالد بن اللجلج عن عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ فذكره.

وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر في السند الأول، ويزيد بن يزيد بن جابر في هذا السند أخوان كلاهما ثقة، لكن توبع عبد الرحمن في الطريق التي قبل هذه عند ابن أبي

عاصم، وهي ضعيفة تصلح في الشواهد، فترجحت طريق عبدالرحمن بن يزيد، وأن الحديث من حديث عبدالرحمن بن عائش، وتقدم إعلال ابن خزيمة له.
فحديث عبدالرحمن بن عائش ضعيف.

الرابع: حديث أبي أمانة الباهلي صدي بن عجلان رضي الله عنه:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٩٠ / ٨) برقم (٨١١٧)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٤٨-٢٥٠)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٨٧) من طريق ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي أمانة عن النبي ق.. فذكره.

وليث، هو: ابن أبي سليم ضعيف. وعبدالرحمن بن سابط ثقة يرسل، ولم يسمع من أبي أمانة. قاله ابن معين كما في «تحفة التحصيل» (ص ١٩٧).
فحديث أبي أمانة ضعيف.

الخامس: حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

رواه البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٢١٢٩) من طريق سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن ابن عمر.. فذكره.
وسعيد بن سنان متروك.

وله طريق أخرى عند الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٢) وفيه شعيب بن محمد الحضرمي، قال شيخنا مقبل رحمه الله في «تراجم رجال الدارقطني» ص (٢٥٢): لم نجده.

ومحمد بن عبدالرحمن بن البيهاني عن أبيه عن ابن عمر.

ومحمد بن عبدالرحمن منكر الحديث. كما في «تهذيب التهذيب».

وأبوه عبدالرحمن البيهقي ضعيف، ولم يسمع من أحد من الصحابة إلا من سرق.
كما في «تهذيب التهذيب».

فحديث ابن عمر ضعيف جداً.

السادس: حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٤٦٥) عن إبراهيم بن طهمان عن سماك بن
حرب عن جابر بن سمرة به مختصراً.

وهو حسن، وسماك بن حرب صدوق وقد تغير بآخرة، لكن احتج له مسلم
بحديث رقم (٢٢٧٧): «إني لأعرف حجراً بمكة..» الحديث، ذكره مسلم رحمه الله
بنفس سند هذا الحديث عند ابن أبي عاصم.

فحديث سمرة حسن على شرط مسلم.

السابع: حديث ثوبان رضي الله عنه:

رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٧٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/٥٤٣)،
وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/٣٨-
٣٩) برقم (٩٢٥)، والطبراني في «الدعاء» برقم (١٤١٧) من طريق عبدالله بن
صالح، ثنا معاوية بن صالح عن أبي يحيى عن أبي يزيد عن أبي سلام عن ثوبان..
فذكره.

وعبدالله بن صالح هو: المصري كاتب الليث ضعيف، وأبوسلام مخطوط لم يسمع
من ثوبان. قاله ابن معين وابن المديني وأحمد وأبو حاتم، كما في «تحفة التحصيل».

لكن تابعه ابن أبي مريم رواه ابن النجاد برقم (٨٣)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٥)

من طريق ميمون بن الأصبغ، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا معاوية به.. وابن أبي مريم وهو: سعيد بن الحكم ثقة، لكن السند إليه لا يثبت، فميمون بن الأصبغ روى عنه جماعة وذكره ابن حبان في «الثقات» ولم يوثق. فهو مجهول حال. لكن له متابعة صحيحة عند الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٦) تابعه ابن وهب عن معاوية به.

وخالفهم الليث بن سعد عند البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٢١٢٨) فرواه عن معاوية بن صالح عن أبي يحيى عن أبي أسماء عن ثوبان.. فذكره مطوّلًا. وقال البزار عقبه:

وقد روي هذا من وجوه فاقصرنا على حديث ثوبان لأن فيه ما ليس في حديث معاذ ولا حديث ابن عباس ولا عبد الرحمن بن عائش. اهـ.

فالثابت هو طريق ابن وهب، وهو عبدالله بن وهب، وهو ثقة حافظ عابد. والليث بن سعد ثقة ثبت فقيه إمام مشهور، كما قال الحافظ في «التقريب». فطريق الليث أرجح لأنه أرجح، وهي سالمة من الانقطاع وهي حسنة.

ومعاوية بن صالح هو: ابن حدير صدوق له أوهام. وأبو يحيى وإن قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٧/٧) أبو يحيى لا أعرفه. اهـ فقد سماه البغوي فقال: هو سليم بن عامر الخبائري.

وقال ابن منده: وهو سليم.

قلت: وهو ثقة، وأبو أسماء هو: عمرو بن مرثد الرحبي، وقيل اسمه: عبد الله ثقة. فحديث ثوبان حسن أيضًا.

الثامن: حديث أم الطفيل امرأة أبي بن كعب رضي الله عنها:

رواه ابن أبي عاصم في «السنّة» برقم (٤٧١)، والطبراني في «الكبير» (٢٥ / برقم ٣٤٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (٩)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٨٦) - (٢٨٧)

من طريق مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل.. فذكره.
وعند ابن الجوزي والطبراني: «في صورة شاب موقر» الخ.
وعند الدارقطني: «موفر» بدل: «موقر».

وعمارة بن عامر ترجمه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦ / ٥٠٠-٥٠١)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦ / ٣٧٦)، وابن حبان في «الثقات» (٥ / ٢٤٥) ولم يذكره فيه تعديلاً.

وقال البخاري: لا يعرف سماع عمارة من أم الطفيل. وقال ابن حبان: يروي عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي» حديثاً منكراً لم يسمع عمارة من أم الطفيل، وإنما ذكرته لكي لا يغتر الناظر فيه فيحتج به، من حديث أهل مصر. اهـ

ومروان بن عثمان أبو عثمان المدني، قال أبو حاتم: ضعيف. وذكره ابن حبان في «الثقات». وقال النسائي: مَنْ مروان بن عثمان حتى يصدق على الله عز وجل؟. وقال الحافظ في الحديث: وهو متن منكر. كما في «تهذيب التهذيب».

فحديث أم الطفيل منكر جدًا.

التاسع: حديث أبي رافع رضي الله عنه:

رواه الطبراني في «الكبير» (١/ برقم ٩٣٨) من طريق عبدالله بن إبراهيم بن الحسين بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبي رافع فذكره.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٣٧): وفيه عبدالله بن إبراهيم بن الحسين عن أبيه، ولم أر من ترجمهما. اهـ

العاشر: حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٥١ و ١٥٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٠)

من طريق عبدالرحمن بن سابط عن أبي ثعلبة عن أبي عبيدة بن الجراح.. فذكره.
وعبدالرحمن بن سابط ثقة كثير الإرسال. قال الحافظ المزي: وقيل: لم يدركه.
«تهذيب الكمال» (٣٣/ ١٦٨) و(١٧/ ١٢٤). فهو منقطع.

الحادي عشر: حديث طارق بن شهاب رضي الله عنه:

رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٥١ و ١٥٢)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٠) مقرونًا مع حديث أبي عبيدة بن الجراح

من طريق الثوري عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب. لكنها لم يسوقا لفظه،
وسنده حسن.

وقد ساق الطبراني لفظه في «المعجم الكبير» (٣٢٢/٨)، و«الأوسط» برقم (٥٤٩٢)، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ: «فيم يختصم الملاء الأعلى... الحديث. ولم يذكر فيه الرؤية.

لكنها من طريق أبي سعد سعيد بن المرزبان ضعيف جداً، وقد خالفه في الطريق الأولى سفيان وهو الثوري، وهو أرجح. فالطريق الأولى أصح، وهي حسنة.

الثاني عشر: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:

رواه ابن حبان في «المجروحين» (١٥٣/٣)، وابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٧٩)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٤٧) من طريق يوسف بن عطية عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ فذكره. ويوسف بن عطية الصفار أبوسهل: متروك.

وقد حكم عليه الدارقطني في «العلل» بالوهم (٥٥/٦).

وله طريق أخرى عند ابن الجوزي في «العلل المتناهية» برقم (١٩) من طريق فهد بن عوف عن حماد عن ثابت عن أنس.. فذكره.

وفهد بن عوف، قال علي بن المديني: هو كذاب. كذا عقبه ابن الجوزي، وكذا ذكر قول علي بن المديني في «لسان الميزان» (٥٤١/٤)، وزاد: وتركه مسلم والفلاس، وقال أبو زرعة: اتهم بسرقة حديثين.

وقال العجلي: كان من أروى الناس عن فضيل، ولا بأس به. اهـ. فحديث أنس ضعيف جداً.

الثالث عشر: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه ابن النجاد في «الرد على من يقول القرآن مخلوق» برقم (٨٢)، والدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» برقم (٧٢)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (٩١٩)، والطبراني في «الدعاء» برقم (١٤٢١)

من طريق عبيدالله بن أبي حميد عن أبي المليح الهذلي عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره.

وعبيدالله بن أبي حميد الهذلي أبو الخطاب البصري: متروك. وقد قال البخاري: يروي عن أبي المليح عجائب. وقال الحاكم وأبونعيم: يروي عن أبي المليح وعطاء مناكير. كما في «تهذيب التهذيب». فحديث أبي هريرة ضعيف جدًا.

الرابع عشر: حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما:

رواه الدارقطني في «الرؤية» برقم (٢٥١) من طريق عبيدالله، وهو ابن أبي حميد الهذلي عن أبي المليح عن عمران.. فذكره. وعبيدالله تقدم في الحديث قبله أنه متروك، وروايته عن أبي المليح أشد ضعفًا. فحديث عمران ضعيف جدًا.

الخامس عشر: حديث أخي أبي أمامة الباهلي رضي الله عنهما:

ذكر ابن عبد البر في «التمهيد» (٣٢١/٢٤) ولم يذكر له سندًا ولا عزوًا حتى نحكم عليه.

السادس عشر: حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه:

ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٢٠٥) وعزاه لابن مردويه، ولم يذكر سنده حتى نحكم عليه.

فالحديث صحيح، والحمد لله.

ولا تغتر بتضعيف محققي مسند أحمد للحديث فإنهم يصححون ما هو دونه في المرتبة، لكنه خالف معتقدهم الأشعري ضعفوه لهوى بين، وقد صححه شعيب مع عبد القادر في تحقيق «زاد المعاد» والله المستعان.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (١/ ٢٢٢):

واتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه الشفا اختلاف الصحابة، ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها هل رأى محمد ربه؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها، وهو المشهور عن ابن مسعود، وأبي هريرة، واختلف عنه.

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين، والفقهاء، والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ رآه بعينه، وروى عطاء عنه أنه رآه بقلبه.

ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع، ولا نص، والمعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيها مأثور، والاحتمال لهما ممكن، وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رحمه الله هو الحق؛ فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذا لو لم تكن ممكنة لما سأها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه رأى ربه بعين رأسه. اهـ.

قلت: أما إنكار عائشة فثبت في الصحيحين؛ عند البخاري برقم (٤٨٥٥) ومسلم برقم (١٧٧) عَنْ مَرْوَقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ! أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.

وأما أثر ابن عباس فالصريح منه عند ابن خزيمة (٢٧٥-٢٧٩) وقال العلامة الألباني في تخريج الطحاوية (ص ١٩٧): ضعيف أخرجه ابن خزيمة في التوحيد بألفاظ مضطربة عنه موقوفاً.

قال ابن كثير في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، بعد أن ذكر أثر ابن عباس الذي رواه مسلم برقم (١٥٨/١) قال: رآه بفؤاده مرتين.

قال: وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب؛ فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم، وقول البغوي في تفسيره: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة، فيه نظر، والله أعلم.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٠٨/٨) شرح حديث عائشة برقم (٤٨٥٥): وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب. اهـ.

قلت وقد ورد أيضًا عن أنس القول بالرؤية عند ابن خزيمة برقم (٢٨٠)، وهو ضعيف في سنده عبد الرحمن بن عثمان البكرائي، ضعيف.

فالراجح ما تقدم نقله عن ابن كثير أنه لا يصح عن الصحابة خلاف في الرؤية البصرية، وإن ورد عن غيرهم فلا عبرة به مع إجماعهم، وقد ذكر القاضي عياض في الشفا (١/٣٧٥-٣٨٨) جملة القائلين بالقولين، فالراجح الرؤية القلبية (بفؤاده)، وهو الذي لم يختلف الصحابة فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٢/٢٣٠):

وفي رؤية النبي ﷺ ربه كلام معروف لعائشة وابن عباس، فعائشة أنكرت الرؤية وابن عباس ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وكذلك

ذكر أحمد عن أبي ذر وغيره أنه أثبت رؤيته بفؤاده، وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة، ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا، كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة. اهـ

وأما الرؤية البصرية في الدنيا فلا دليل على ذلك، ولم يقل به أحد من الصحابة ولا من الأئمة المشهورين.

وانظر جامع المسائل (١/ ١٠٥) والله أعلم.

والحديث السابق يدل أن رؤية الله تعالى منامًا ممكنة، وغير مستحيلة.

قوله: (فيرون هنالك ما يرون في الدنيا منامًا):

هذا ليس بصحيح كما تقدم بل هي رؤية حقيقية في الآخرة.

وقد صح عن غير واحد من السلف أنه رأى الله تعالى في منامه.

قوله: (هذان الوجهان نفهمهما ونعتقدهما، وإن كان الله ورسوله أرادا بالرؤيا

غيرهما فنحن آمنّا بمراد الله تعالى ورسوله ﷺ، وإن لم نعلمه بعينه. انتهى):

معنى الرؤية واضح، وهذا الكلام الأخير فيه تفويض وهو من شر أقوال أهل

البدع والأهواء.

هل كانت هذه الرؤية ليلة المعراج:

الصحيح أن هذه الرؤية لم تكن ليلة المعراج كما يدل عليه الحديث السابق.

قال الإمام ابن القيم رحمه في الزاد (٣/ ٣٧):

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة أنه لم يره.

قال شيخ الإسلام - قدس الله روحه - وليس قول ابن عباس: إنه رآه مناقضاً لهذا، ولا قوله رآه بفؤاده، وقد صح عنه أنه قال: «رأيت ربي تبارك وتعالى»^(١) ولكن لم يكن هذا في الإسراء ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وقال: نعم رآه حقاً؛ فإن رؤيا الأنبياء حق، ولا بد.

ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى إنه رآه بعيني رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة: رآه، ومرة قال: رآه بفؤاده.

فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة، من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك. اهـ.

والحديث الذي يشير إليه المصنف ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في فتح الباري (٨/٦٠٨-٦٠٩) قال:

ومن أثبت الرؤية لنبينا ﷺ الإمام فروى خلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي شيء يدفع قولها؟

قال بقول النبي ﷺ: «رأيت ربي» قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

وقد أنكر صاحب الهدى على من زعم أن أحمد قال رأى ربه بعيني رأسه، قال: وإنما قال مرة رأى محمد ربه، وقال مرة بفؤاده. اهـ.

قلت: ولم أجد هذه من السنة للخلال، وكلام ابن القيم رحمه كافٍ، والله أعلم.

أقسام الناس في رؤية الله تبارك وتعالى:

انقسم الناس في رؤية الله تبارك وتعالى إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الذين أثبتوا رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، وهم الصوفية.

الطائفة الثانية: الذين أنكروا رؤية الله تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة، وهم الخوارج والجهمية النفاة والمعتزلة والإمامية.

وهاتان الطائفتان على طرفي نقيض وكلاهما أهدر الأدلة من جانب وأخذ بها من جانب آخر.

الطائفة الثالثة: الذين أخذوا بالأدلة من جوانبها جميعاً وهم أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: إن الله يُرى في الآخرة لا في الدنيا، وهذا ما دلت عليه الأدلة بل إجماع من يعتبر به على هذا.

قال النووي في شرح مسلم (١٨/٣):

اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً. وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين.

وزعمت طائفة من أهل البدع: المعتزلة، والخوارج، وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً.

وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة. اهـ.

وانظر شرح الطحاوية (ص ١٨٩).

شبهة وجوابها:

استدل المعطلة على نفي الرؤية بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد تقدم الجواب عن هذا.

واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والجواب ما ذكره البيهقي رحمه الله في الاعتقاد (١٢٧) قال:

قال بعض أصحابنا إنما نفى عنه الإدراك دون الرؤية، والإدراك هو الإحاطة بالمرئي دون الرؤية، فالله يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به علماً. اهـ

ومنه قوله تعالى عن موسى وقومه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، فهذا برهان أنهم رأوه ولم يدركوهم!

وراجع شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ١٩٢-١٩٣).

الملائكة

قوله: (فصل . والله تعالى ملائكة):

معنى ملك في اللغة: أي رسول، مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة، كما في لسان العرب (١٣/ ١٨٥)، وهذا قول الجمهور، كما في الفتح (٦/ ٣٠٦).

وليس المراد بذلك النبوة، فالملك لا يسمى نبياً، لكن هم رسل الله بينه وبين خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وفي الاصطلاح قال الحافظ في الفتح (٦/ ٣٠٦):

قال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات.

وقال المناوي في فيض القدير (١/ ١٠٥):

والملائكة عند عامة المتكلمين: أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، وعند الحكماء جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة.

قال الله جل في علاه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

قوله: (موكلون على كتابة الأعمال):

أي يكتبون أعمال المكلفين، خيرها وشرها، قال الله جل وعلا: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨].

فالمُتَلَقِّيَانِ هم الملكان مترصدان لأي كلمة يكتبانها، وكذا الأفعال، قال الله جل في علاه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمْتَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَلَيْكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟

فَيَبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: بَلَىٰ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كَفِّهِ قَالَ: فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

رواه أحمد (٢/ ٢١٣) وهو حديث صحيح.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي، فَاتَّكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلَهَا، فَاتَّكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ».

رواه البخاري برقم (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨).

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره في آية [ق] (٢٢٥/٤):

وقد اختلف العلماء، هل يكتب الملك كل شيء من الكلام؟ وهو قول الحسن وقتادة، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس، على قولين، وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقد قال الإمام أحمد^(١): حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، عن أبيه، عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغْتَ، يَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغْتَ، يَكْتُبُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ».

قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعه حديث بلال بن الحارث.

ورواه الترمذي^(٢) والنسائي^(٣) وابن ماجه^(٤)، من حديث محمد بن عمرو به.

(١) (٤٦٩/٣).

(٢) برقم (٢٣١٩).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٠٣/٢ و ١٠٤).

(٤) برقم (٣٩٦٩).

وقال الترمذي: حسن. اهـ.

قلت: هو حديث صحيح.

قوله: (وحفظ العباد عن الممالك والمهاوي):

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنَ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج، وعلي عيال، ولي حاجة شديدة قال: فخليت عنه.

فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود» فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «إنه سيعود» فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود، فرحمته، فخليت سبيله.

فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟» قلت: يا رسول الله شكاً حاجة شديدة، وعيالاً، فرحمته، فخليت سبيله. قال: «أما إنه قد كذبك، وسيعود».

فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، أنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيْسَ لَهُ كَفٌّ وَلَا يَئُسُ لَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَئِنْ سَأَلْتَهُ مَا فِي خُزُنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسُورَتِ الْعَرْشِ لَيَقُولَنَّ لَهُمْ سُبْحَانَكَ مَا يَشَاءُ لَكَ يَوْمَ ذَلِكَ خَيْرٌ مِّمَّا تُصَلِّيُونَ﴾.

إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» [البقرة: ٢٥٥] حتى تحتّم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخلّيت سبيله قال: «ما هي؟» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرا آية الكرسي من أولها حتى تحتّم الآية ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير. فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدّقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليل يا أبا هريرة؟» قال: لا. قال: «ذاك شيطان». رواه البخاري تعليقا برقم (٢٣١١)، وبرقم (٣٢٧٥ و ٥٠١٠) مختصرا، ووصله النسائي في «عمل اليوم والليلة» برقم (٩٥٩)، وابن خزيمة في «صحيحه» برقم (٢٤٢٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٢/٢) برقم (٢٣٨٨) وقد تقدم تخريجه أكثر في أول الكتاب، وهو صحيح.

وفي صحيح مسلم برقم (٢٧٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَّانٌ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعْفَرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَّأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ: فَمَا فَجَّحْتُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ، وَيَبْقَى بِيَدَيْهِ قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَحَدَقًا مِنْ نَارٍ وَهُوَ لَا وَاجِبَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ إِنَّ رَّبَّكَ الرَّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ

بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿[العلق: ٦-١٣] يَغْنِي أَبَا جَهْلٍ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى
كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا
تُطِيعُهُ﴾ [العلق: ١٤-١٩].

وفي مسند أحمد (٢٠٣/٣) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَمْشُونَ
أَمَامَهُ إِذَا خَرَجَ وَيَدْعُونَ ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ.
هذا حديث صحيح.

قوله: (والدعوة إلى الخيرات والحسنات، ويلمون للعبد بالخير والرشد):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ،
وَلِلْمَلِكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فإِبْعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبُ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فإِبْعَادُ بِالْخَيْرِ
وَتَصْديقُ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخَرَى
فَلْيَعْتَزَّ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، ثُمَّ قَرَأَ: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
بِالْفَحْشَاءِ» [الآية: البقرة: ٢٨٦].

رواه الترمذي برقم (٢٩٨٨)، والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٥١)، وأبو يعلى

(٤١٧/٨)، والبيهقي في الشعب (١٢٠/٤)، وابن حبان كما في الإحسان برقم

(٩٩٧)

كلهم من طريق أبي الأحوص، عن عطاء بن السائب، عن مرة، عن عبد الله به.

وَقَالَ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ عَقِبَهُ:

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَهُوَ حَدِيثُ أَبِي الْأَخْوَصِ لَا نَعْلَمُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ

حَدِيثِ أَبِي الْأَخْوَصِ.

وهذا الحديث به علتان:

الأولى: اختلاط عطاء، وأبو الأحوص روى عنه بعد الاختلاط.
 الثانية: مخالفة أبي الأحوص، فقد رواه غيره موقوفاً، وغمز روايته الترمذي.
 ورواه الطبري عند الآية (٨٩ / ٣) من طريق حماد بن سلمة.
 والطبراني في الكبير (١٠١ / ٩) من طريق حماد بن زيد.
 كلاهما عن عطاء به موقوفاً.
 ورواه ابن المبارك في الزهد برقم (١٤٣٥) عن فطر عن المسيب بن رافع عن
 عامر بن عبدة عن عبد الله بن مسعود به موقوفاً.
 فالراجح أنه موقوف على ابن مسعود، لا سيما وله طرق غير ما ذكرنا.
 فصح موقوفاً.
 قال ابن الأثير في «النهاية» (٢٧٣ / ٤):
 اللَّمَّةُ: الهمة والخطرة تقع في القلب، أراد إلام الملك، أو الشيطان به والقرب
 منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر فهو من
 الشيطان. اهـ.

قوله: (لكل واحد منهم مقام معلوم لا يتجاوز عنه):
 والملائكة الكرام لكل واحد منهم عمل يقوم به، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ
 اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ
 * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ
 الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨-١٦٦].

فكل ملكٍ من الملائكة له عمل يقوم به، فمن علمنا عمله آمننا بذلك، ومن لم نعلم عمله آمننا بذلك بالجملة.

ومن علمنا عمله منهم وعرفنا اسمه:

الأول: جبريل أمين الوحي:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

وقال المولى عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١-١٠].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧] قَالَ: جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ، وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ:

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَنَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ.

رواه البخاري برقم (٥)، ومسلم برقم (٤٤٨).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ يَقْدُومُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ ثَلَاثٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: «أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ أَنْفًا» قَالَ: جِبْرِيلُ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَتَارُ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرِيزَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهْتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ» فَقَالُوا: أَعَادَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَالُوا: شَرْنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

رواه البخاري برقم (٤٤٨٠).

الثاني: مالك خازن النار، قال الله جل وعلا: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «رَأَيْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهَا مُوسَى رَجُلًا آدَمَ طَوَالًا جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا مَرْبُوعَ الْخُلُقِ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ، وَالْجَبَّارَ فِي آيَاتِ آرَاهُنَّ اللَّهُ إِيَّاهُ: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة: ٢٣].

رواه البخاري برقم (٣٢٣٩)، ومسلم برقم (١٦٥).

عَنْ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ، وَهَذَا ميكائيلُ».

رواه البخاري برقم (٣٢٣٦).

الثالث: ملكا القبر منكر ونكير، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُتَوَرَّعُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كُنُومَةَ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُتَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَمِمْ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَرَأَى فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

رواه الترمذي برقم (١٠٧١) وهو حديث حسن.

الرابع: إسرائيل الذي ينفخ في الصور، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم، وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ؟ قيل: قلنا: يا رسول الله ما نقول يومئذ؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا».

رواه أبو يعلى برقم (١٠٨٤).

هذا حديث صحيح.

ولا دليل صريح أن إسرائيل هو الذي ينفخ في الصور، لكن نقل القرطبي إجماع الأمم على ذلك كما تقدم في موضعه عند ذكر الصور.

ومن علمنا عمله ولم نعلم اسمه:

الأول: ملك الموت:

قال الله جل في علاه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له: يضع يده على متن نور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن، فسأل الله أن

يُذِنُهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً بِحَجَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلَوْ كُنْتُ نَمَّ لَا رَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَخْضَرِ».

رواه البخاري برقم (١٣٣٩) ومسلم برقم (٢٣٧٢).

الثاني: ملك الجبال:

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ آتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ؟

قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِهِ فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْيِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ، فَتَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِيَتَأَمَّرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَتَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَحْشِيئِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

رواه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

الثالث: الملك الموكل بالآرحام:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمُصَدَّقُ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيَّ، أَوْ سَعِيدَ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ

مِنْكُمْ لِيَعْمَلَ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

رواه البخاري برقم (٣٢٠٨) ومسلم برقم (٢٦٤٣).

الرابع: حملة العرش:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

الخامس: ملكان ينزلان كل يوم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَفًا».

رواه البخاري برقم (١٤٤٢)، ومسلم برقم (١٠١٠).

السادس: ملائكة سيارة يتبعون خلق الذكر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ: فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟

قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجُّدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟

قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ: فِمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا خَافَةً قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فَلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

رواه البخاري برقم (٦٤٠٨)، ومسلم برقم (٢٦٨٩).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقَعْدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

رواه مسلم برقم (٢٧٠٠).

وغير هؤلاء ممن ورد به الدليل نؤمن به كما جاء.

قال المناوي في فيض القدير (١/ ١٠٥):

وهم قسمان:

قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق، والتنزه عن الشغل بغيره.

وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء، وجرى به القدر لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

قوله: (لا يتجاوز عنه، و: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].)

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فنزلت: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤].

رواه البخاري برقم (٤٧٣١).

والملائكة عدد كبير لا يحصيهم إلا الله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ - وذكر حديث الإسراء المتقدم وفيه - فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمُعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمُعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ».

رواه البخاري برقم (٣٢٠٧)، ومسلم برقم (١٦٢).

خَلَقَ الْمَلَائِكَةُ:

خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مَاءٍ وَصِفَ لَكُمْ».

رواه مسلم برقم (٢٩٩٦).

والملائكة لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة:

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ».

رواه البخاري برقم (٣٣٢٢)، ومسلم برقم (٢١٠٦).

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَاذَا أَذْنَبْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ؟» قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعَدَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيَقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّورُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ».

رواه البخاري برقم (٢١٠٥)، ومسلم برقم (٢١٠٧).

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: وَاعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ، وَلَمْ يَأْتِهِ، وَفِي يَدِهِ عَصَا فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: «مَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلَهُ، ثُمَّ التَفَتَ فَإِذَا جَرُّوْهُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ

هَذَا الْكَلْبُ هَاهُنَا؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَ جِرِيرٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَعِدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ فَقَالَ: مَنْعَنِ الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ».

رواه مسلم برقم (٢١٠٤).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخْبَرْتَنِي مَيْمُونَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا فَقَالَتْ: مَيْمُونَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ اسْتَكْرْتُ هَيْئَتَكَ مِنْذُ الْيَوْمِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ جِرِيرَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَلْقَنِي أَمْ وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي» قَالَ: فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرُؤُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى لَقِيَهُ جِرِيرٌ فَقَالَ: «لَهُ قَدْ كُنْتُ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِي الْبَارِحَةَ؟» قَالَ: أَجَلٌ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا صُورَةٌ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ حَتَّى إِنَّهُ يَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ وَيَتْرُكُ كَلْبَ الْحَائِطِ الْكَبِيرِ.

رواه مسلم برقم (٢١٠٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ تَمَاثِيلٌ، أَوْ تَصَاوِيرٌ».

رواه مسلم برقم (٢١١٢).

وَعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ جِرِيرٌ فَرَأَتْ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَقِيَهُ فَشَكَا إِلَيْهِ مَا وَجَدَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، وَلَا كَلْبٌ.

رواه البخاري برقم (٥٩٦٠).

أيهما أفضل الملائكة أم صالحو البشر:

قد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، ويُنسب إلى أهل السُّنة تفضيل صالحى البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً.

وحكى عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة.
وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السُّنة وبعض الصوفية.
وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة.
ومن الناس من فضّل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلّة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعنى، و: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١). والشيخ^(٢) رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفى ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصدًا، فإن الإمام أبا حنيفة

(١) الراجع فيه أنه من مراسيل علي بن الحسين، قال ابن رجب في الكلام على الحديث في جامع العلوم والحكم: وأكثر الأئمة قالوا: إنها المحفوظ هو عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن النبي ﷺ وبه أعلى جماعة من الأئمة.

(٢) يعني الطحاوي.

رحمه الله وقف في الجواب عنها على ما ذكره في مآل الفتاوى، فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعدّ منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء.

وهذا هو الحق، فإن الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبين، وليس علينا أن نعتقد أي الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجب لبيّن لنا نصّاً، وقد قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وفي «الصحيح»: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء -رحمة بكم غير نسيان- فلا تسألوا عنها»^(١).

فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيّاً وإثباتاً والحالة هذه أولى.

ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة؛ لأن الأدلة هنا متكافئة، على ما أشير إليه، إن شاء الله تعالى. وحملني على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادماً للنبي ﷺ أو: إن بعض الملائكة خدام بني آدم! يعنون الملائكة الموكّلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب، والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس، لا شك في رده، وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وجد فيها نص، وهو قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

(١) صحيح بشواهده، وسيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى؛ حيث يذكره المؤلف.

وقد تقدم الكلام في ذلك عند قول الشيخ: «وسيد المرسلين»، يعني النبي ﷺ. والمعتبر رجحانُ الدليل، ولا يُهجر القول لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفاً فيها بين أهل السنة. وقد كان أبو حنيفة يقول أولاً بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله. والأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا نزاع في ذلك. وللشيخ تاج الدين الفزاري رحمه الله مصنف سماه الإشارة في البشارة في تفضيل البشر على الملك، قال في آخره:

اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام^(١) التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير من المقاصد، ولهذا خلا عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخلُ كلامه عن ضعف واضطراب. انتهى، والله الموفق للصواب.

فما استدل به على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، وذلك دليل على تفضيله عليهم، ولذلك امتنع إبليس واستكبر وقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادة وانقياداً وطاعة له، وتكريماً لآدم وتعظيماً، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٤/٣٥٧):

وكنْتُ أحسب أن القول فيها مُحدَث حتى رأيتها أثرية سلفية صحابية، فانبعثت المهمة إلى تحقيق القول فيها.

يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم.

وأما امتناع إبليس، فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه، وهذه المقدمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول! وكلتا المقدمتين فاسدة: أما الأولى: فإن التراب يفوق النار في أكثر صفاته، ولهذا خان إبليس عنصره، فأبى واستكبر، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعونة، وإفساد ما تصل إليه ومحقة وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عنصره في التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله، والاعتراف وطلب المغفرة، فإن من صفات التراب الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخضوع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو، وينمي ويبارك فيه، ضد النار.

وأما المقدمة الثانية، وهي: أن الفاضل لا يسجد للمفضول، فباطلة، فإن السجود طاعة لله وامتثال لأمره، ولو أمر الله عباده أن يسجدوا للحجر لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجود له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله. قالوا: وقد يكون قوله: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، بعد طرده لامتناعه عن السجود له، لا قبله، فينتفي الاستدلال به.

ومنه: أن الملائكة لهم عقول وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل. وقال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة وتحمل العبادة

وترك الونى والفتور فيها، ما يفى بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة.

ومنه: أن الله تعالى جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم. وهذا الكلام قد اعتلّ به من قال: إن الملائكة أفضل، واستدلّاهم به أقوى، فإن الأنبياء المرسلين، إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي يكون رسولاً إلى الرسول البشري. ومنه: قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] الآيات.

قال الآخرون: وهذا دليل على الفضل لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما علمهم الله.

وليس الخضر أفضل من موسى، بكونه علم ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى الخضر، وتزوّد لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحاً، وقال له الخضر: إنك على علم من علم الله^(١)، إلى آخر كلامه. ولا الهدد أفضل من سليمان، بكونه أحاط بما لم يحيط به سليمان علماً. ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِكَ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

قال الآخرون: هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلّا لزم تفضيله على محمد ﷺ. فإن قلت: هو من ذريته، فمن ذريته البر والفاجر، بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: «ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار»، «يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة»^(٢)، فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط.

(١) رواه البخاري (٤٧٢٥) ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ومنه: قول عبدالله بن سلام رضي الله عنه: ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ.. الحديث^(١)

فالشأن في ثبوته، وإن صح عنه فالشأن في ثبوته في نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات.

ومنه: حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة قالت: يا ربنا، أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون، ونحن نُسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان»^(٢).

أخرجه الطبراني، وأخرجه عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل عن عروة بن رُويم، أنه قال: أخبرني الأنصاري، عن النبي ﷺ: «أن الملائكة قالوا»، الحديث، وفيه: «وينامون ويستريحون، فقال الله تعالى: لا، فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: لا»^(٣).

والشأن في ثبوتها، فإن في سنديهما مقالاً، وفي متنها شيئاً، فكيف يظن بالملائكة الاعتراض على الله مرات عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. وهل يظن بهم أنهم متبرِّمون بأحوالهم، متشوّفون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟ والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم

(١) موقوف صحيح، رواه البخاري في التاريخ (٧٦/٢)، والحاكم (٥٦٨/٤).

(٢) ضعيف، فيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢/١): وهو كذاب متروك.

(٣) ضعيف، رواه عبدالله بن أحمد في السنة برقم (١٠٦٥) فيه من لا يعرف.

يغبطونهم باللهو، وهو من الباطل؟ قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم ودلاه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكا بقوله: ﴿مَا تَهَاجِمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

فدل أن أفضلية الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركز في النفس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر على الأفعال الهائلة، خصوصا العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

ومنه: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال الآخرون: قد يذكر «العالمون»، ولا يقصد به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠].

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ

الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

والبرية: مشتقة من البرء، معنى الخلق، فثبت أن صالحى البشر خير الخلق.

قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيرًا من الملائكة، هذا على قراءة من قرأ «البرية» بالهمز وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى وهو التراب، كما قاله الفراء فينا نقله عنه الجوهري في الصحاح، يكون المعنى: أنهم خير من خلق من التراب، فلا عموم فيها، إذا لغير من خلق من التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل صالحى البشر إذا كملوا، ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة. ونالوا الرُفَى، وسكنوا الدرجات العلى، وحباهم الرحمن بمزيد قربه، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم. وقال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت أنهم يصيرون إلى حال يفوقون فيها الملائكة سَلَّمَ المدعى، وإلا فلا.

ومما استدل به على تفضيل الملائكة على البشر: قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وقد ثبت من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه؛ لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادماً للملك ولا الشرطي أو الحارس! وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير. ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره، إذ لم يقل أحد: إنهم أفضل من بعض الأنبياء

دون بعض. أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، وعيسى -عليه السلام- لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك لادّعت فوق منزلتي، ولست ممن يدعي ذلك. أجاب الآخرون: أن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب، لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه ما روى مسلم بإسناده، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»^(١).

ومعلوم أن قوة البشر لا تداني قوة الملك ولا تقاربها. قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر -والله أعلم- فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

ومنه ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»^(١) الحديث. وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد خيرًا منه للمذكور، لا الخيرية المطلقة. ومنه ما رواه إمام الأئمة محمد بن خزيمة، بسنده في كتاب التوحيد، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا جالس إذ جاء جبرائيل، فوكز بين كتفيّ، فقامت إلى شجرة مثل وكري الطير، فقعده في إحداهما، وقعدت في الأخرى، فسمت وارتفعت حتى سدّت الخافقين، وأنا أقلّب بصري، ولو شئت أن أمسّ السماء مسست، فنظرت إلى جبرائيل كأنه جلس لا طيء، فعرفت فضل علمه بالله عليّ» الحديث^(٢). قال الآخرون: في سنده مقال، فلا نسلم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته. وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رحمه الله في الجواب عنها، كما تقدم. والله أعلم بالصواب. انتهى بتصرف يسير.

هذا حاصل الكلام على الملائكة، ولولا أن موضوع الملائكة يحوي مؤلفًا مستقلًا - وقد كُتب فيه - لتوسعت فيه أكثر، لكن في هذا كفاية، والحمد لله.

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) ضعيف، رواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٧١)، والبخاري (٤٧/ ١) كما في كشف الأستار، وفي سنده الحارث بن عبيد الإيادي ضعيف.

الشیاطین

قوله: (ومن خلق الله سبحانه الشیاطین):

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١١-١٨].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَذَابٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٧١-٨٣].

والشیطان في اللغة: كلُّ عاتٍ مُتَمَرِّدٍ من إنسٍ، أو جنٍّ، أو غيرهما، كما في

القاموس المحيط (ص ١٥٦١).

قوله: (لهم لمة شر لابن آدم):

تقدم الكلام على هذا عند ذكر الملائكة.

قوله: (وتصرف فيهم):

هذا فيمن سلطه الله تعالى عليه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزَّاءَ﴾ [مريم: ٨٣]

وقال جل في علاه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧]

وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِمِشْرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرْبِئَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٢-٤٢].

فهذه الآية ونظائرها من الآيات دليل أنه ليس للشيطان تصرف في المؤمنين.

قوله: (ونجري من ابن آدم مجرى الدم):

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثَنِي، ثُمَّ قُمْتُ فَأَنْقَلَبْتُ فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي - وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ أَسْرَعَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا - أَوْ قَالَ -: شَيْئًا».

رواه البخاري برقم (٣٢٨١)، ومسلم برقم (٢١٧٥).

ورواه مسلم برقم (٢١٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

والجن مخلوقون من نار، كما تقدمت بعض الأدلة.

والشیاطین من الجن.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

أصحاب الكبائر من المسلمين

قوله: (فصل. ولا يخلد صاحب الكبيرة المسلم في النار.

والعفو عن الكبائر جائز، وكذلك عفوها عمن مات بلا توبة جائز، من باب خرق العوائد):

تقدم الكلام على هذا في باب الإيذان، وفي باب الشفاعة بما يغني عن إعادته، والله الحمد.

قوله: (وبعثة الرسل إلى الخلق):

قال الله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبا: ٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٦].

وقال الله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨].

قوله: (وتكليف الله عباده بالأمر والنهي عن ألسنتهم حق):

قد تقدم ما يتعلق بالرسول في الإيذان بالرسول.

قوله: (وهم معصومون من الكفر).

والإصرار على الكبائر يعصمهم الله عنها):

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل قال: إن الأنبياء عليهم الصلاة

والسلام معصومون من الكبائر دون الصغائر، فكفره رجل بهذه فهل قائل ذلك

مخطئ أو مصيب؟ وهل قال أحد منهم بعصمة الأنبياء مطلقاً؟ وما الصواب في

ذلك؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، ليس هو كافرًا باتفاق أهل الدين، ولا هذا من مسائل السب المتنازع في استتابة قائله بلا نزاع، كما صرح بذلك القاضي عياض وأمثاله، مع مبالغتهم في القول بالعصمة، وفي عقوبة الساب، ومع هذا فهم متفقون على أن القول بمثل ذلك ليس هو من مسائل السب والعقوبة فضلًا أن يكون قائل ذلك كافرًا أو فاسقًا فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الاسلام، وجميع الطوائف؛ حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية.

وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير، والحديث، والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول ولم ينقل عنهم ما يوافق القول

وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين.

وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا وأعظمهم قولًا لذلك: الرافضة فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل.

وينقلون ذلك إلى من يعتقدون إمامته، وقالوا بعصمة علي، والاثني عشر.

ثم الإسماعيلية الذين كانوا ملوك القاهرة، وكانوا يزعمون أنهم خلفاء علويون فاطميون، وهم عند أهل العلم من ذرية عبيد الله القداح، كانوا هم واتباعهم يقولون

بمثل هذه العصمة لأئمتهم ونحوهم، مع كونهم كما قال فيهم أبو حامد الغزالي في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم قال: ظاهر مذهبهم الرافض وباطنه الكفر المحض. وقد صنف القاضي أبو يعلى، وصف مذاهبهم في كتبه، وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين فهؤلاء وأمثالهم من الغلاة القائلين بالعصمة، وقد يكفرون من ينكر القول بها، وهؤلاء الغالية هم كفار باتفاق المسلمين. فمن كفر القائلين بتجويز الصغائر عليهم كان مضاهياً لهؤلاء الإسماعيلية والنصيرية، والرافضة، والاثني عشرية، ليس هو قول أحد من أصحاب أبي حنيفة ولا مالك ولا الشافعي، ولا المتكلمين المنتسبين إلى السنة المشهورين كأصحاب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، وأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وأبي عبد الله محمد بن كرام، وغير هؤلاء، ولا أئمة التفسير، ولا الحديث، ولا التصوف، ليس التكفير بهذه المسألة قول هؤلاء، فالمكفر بمثل ذلك يستتاب فإن تاب وإلا عوقب على ذلك عقوبة تردعه وأمثاله عن مثل هذا إلا أن يظهر منه ما يقتضى كفره وزندقته، فيكون حكمه حكم أمثاله.

وكذلك المفسق بمثل هذا القول يجب أن يعزر بعد إقامة الحجة عليه، فإن هذا تفسيق لجمهور أئمة الإسلام.

وأما التصويب والتخطئة في ذلك فهو من كلام العلماء الحافظين من علماء المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة.

وتفصيل القول في ذلك يحتاج إلى بسط طويل لا تحتمله هذه الفتوى، والله أعلم.

انتهى من مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩-٣٢١).

أما في باب التبليغ فهم معصومون اتفاقاً، كما في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢٨٩ / ١٠) و(٧ / ١٨).

وكذلك الأنبياء معصومون عن الإقرار على الخطأ، قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١١٤ / ١١):

ولهذا كان الذى عليه سلف الأمة وأئمتها أن الأنبياء إنما هم معصومون من الإقرار على الذنوب، وأن الله يستدركهم بالتوبة التى يحبها الله. اهـ.

قوله: (ودعوة نبينا ﷺ عامة لجميع الإنس والجن، لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ولحديث مسلم: «بعثت إلى الخلق كافة»:

رواه مسلم برقم (٥٢٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ».

ورواه البخاري عن جابر رضي الله عنهما برقم (٤٣٨)، وفيه: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً».

ورواه مسلم برقم (٥٢١) عن جابر، بلفظ: «وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرٍ وَأَسْوَدٍ». وقد تقدم الحديث.

قوله: (وفيه من العموم ما لا يقدر قدره):
تقدم الكلام على هذا.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قوله: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بشرط أن لا يؤدي إلى الفتنة، وأن يظن قبوله):

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد الواجبات العظيمة التي بضياهاها استطال الشر، وضعف الخير، قال الله جل في علاه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فعلق سبحانه خيرية الأمة بقيامها بهذا الواجب العظيم، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى عن لقمان وهو يوصي ولده: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ

عَلَيْهِمُ الْخُبَايِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال الله جل في علاه: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وصفة المنافقين عكس صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩].

وفي صحيح مسلم برقم (٤٩) عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: قَدْ تَرَكْتُ مَا هُنَالِكَ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

وهذا الحديث هو الميزان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الإمام النووي في شرح الحديث في شرح مسلم (١/٢١٣):

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقي، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر، ولا خوف.

ثم أنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته، أو ولده، أو غلامه على منكر، أو تقصير في المعروف.

قال العلماء رضى الله عنهم ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه، بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قدمنا أن الذى عليه الأمر والنهي لا القبول، وكما قال الله عز وجل: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

ومثل العلماء هذا بمن يرى إنساناً في الحمام، أو غيره مكشوف بعض العورة ونحو ذلك، والله أعلم.

قال العلماء: ولا يشترط في الأمر والناهى أن يكون كامل الحال ممثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما يأمر به وينهى، وإن كان متلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان:

أن يأمر نفسه وينهاها.

ويأمر غيره وينهاه.

فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر.

قال العلماء: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لأحد المسلمين.

قال إمام الحرمين والدليل عليه إجماع المسلمين، فإن غير الولاية في الصدر الأول، والعصر الذى يليه كانوا يأمرون الولاية بالمعروف، وينهونهم عن المنكر مع تقرير

المسلمين إياهم، وترك توبييخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من غير ولاية، والله أعلم.

ثم أنه إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء؛ فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها، فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء، ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب، وهذا هو المختار عند كثيرين من المحققين، أو أكثرهم، وعلى المذهب الآخر المصيب واحد والمخطيء غير متعين لنا، والإثم مرفوع عنه، لكن أن ندبه على جهة النصيحة إلى الخروج من الخلاف فهو حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق، فإن العلماء متفقون على الحث على الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بسنة، أو وقوع في خلاف آخر، وذكر أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي في كتابه الأحكام السلطانية خلافاً بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد أم لا يغير ما كان على مذهب غيره؟ والأصح أنه لا يغير لما ذكرناه، ولم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم رضي الله عنهم أجمعين، ولا ينكر محتسب ولا غيره على غيره، وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً، أو إجماعاً، أو قياساً جلياً، والله أعلم.

واعلم أن هذا الباب - أعنى باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد ضيَّع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم؛ به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فينبغي لطالب الآخرة، والساعى في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم، لا سيما وقد ذهب معظمه، ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه أيضًا لصداقته ومودته، ومداهنته، وطلب الوجاهة عنده، ودوام المنزلة لديه؛ فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته، وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وأن أدى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لنا لهذا.

وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم، وهدايتهم إليها، ونسأل الله الكريم توفيقنا، وأحبابنا، وسائر المسلمين لمرضاته، وأن يعمنّا بجوده ورحمته، والله أعلم.

وينبغي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سرّاً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

ومما يتساهل أكثر الناس فيه من هذا الباب ما إذا رأى إنساناً يبيع متاعاً معيياً، أو نحوه فإنهم لا ينكرون ذلك، ولا يُعرّفون المشتري بعيبه، وهذا خطأ ظاهر. وقد نص العلماء على أنه يجب على من علم ذلك أن ينكر على البائع، وأن يعلم المشتري به، والله أعلم.

وأما صفة النهي ومراتبه فقد قال النبي ﷺ في هذا الحديث الصحيح: «فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»، فقوله ﷺ: «فبقلبه»، معناه فلينكره بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه، وقوله ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان» معناه والله أعلم أقله ثمرة.

قال القاضي عياض رحمه الله: هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان، أو فعلاً؛ فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله، وينزع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه، أو يأمره إذا أمكنه، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، ويذی العزة الظالم المخوف شره إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله.

كما يستحب أن يكون متولى ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى، ويغلب على المتماذي في غيه، والمسرف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره؛ لكون جانبه محميًا عن سطوة الظالم، فان غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه، كقتله أو قتل غيره بسبب كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فان خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه.

هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال، وإن قُتِلَ وَنِيلَ منه كل أذى.

هذا آخر كلام القاضي رحمه الله. اهـ كلام النووي.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا؛ تَتَحَدَّثُ فِيهَا؟

قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا».

قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ».

رواه البخاري برقم (٢٤٦٥)، ومسلم برقم (٢١٢١).

ورواه مسلم برقم (٢١٦١) عن أبي طلحة رضي الله عنه.

الخلافة

قوله: (والخلافة بعد رسول الله ﷺ في قریش ما بقي من الناس اثنان):
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اِثْنَانِ».

رواه البخاري برقم (٣٥٠١)، ومسلم (١٨٢٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّاسُ تَبِعَ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ مُسْلِمُهُمْ، وَكَافِرُهُمْ لِكَافِرِهِمْ».

رواه مسلم برقم (١٨١٨)، وبنحوه عن جابر رواه مسلم برقم (١٨١٩).

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٢/٤٠٥-٤٠٦):

هذه الأحاديث وأشباهها دليل ظاهر أن الخلافة مختصة بقریش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة، وكذلك بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع، أو عرض بخلاف من غيرهم فهو محجوج بإجماع الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة.

قال القاضي: اشتراط كونه قرشياً هو مذهب العلماء كافة.

قال: وقد احتج به أبو بكر، وعمر رضي الله عنهم على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد.

قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل يخالف ما ذكرنا وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار.

قال: ولا اعتداد بقول النظام، ومن وافقه من الخوارج، وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قریش، ولا بسخافة ضرار بن عمرو في قوله: أن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدم على القرشي هو أن خلعه إن عرض منه أمر.

وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفته، مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين.

وفي صحيح مسلم برقم (١٨٢٢) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غُلَامِي نَافِعٍ أَنْ أَخْبِرَنِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ عَشِيَّةَ رَجَمَ الْأَسْلَمِيَّ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

قوله: (وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم ولا يقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة):

عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ حَدَّثَ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا فَقَالَ: فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا، وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا، وَيُسْرِنَا، وَآثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ.

رواه البخاري برقم (٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة برقم (١٧٠٩) - ٤١.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٤٣٢/١٢ - ٤٣٣):

قوله: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»: هكذا هو لمعظم الرواة، وفي معظم النسخ بواحاً بالواو، وفي بعضها براحاً والباء مفتوحة فيهما، ومعناها كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي.

ومعنى: «عندكم من الله فيه برهان»: أي تعلمونه من دين الله تعالى.

ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم، وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته.

وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا: أنه ينزل، وحكى عن المعتزلة أيضاً فغلط من قائله مخالف للإجماع.

قال العلماء: وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء، وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه. قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل.

قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات، والدعاء إليها.

قال: وكذلك عند جمهورهم البدعة.

قال: وقال بعض البصريين: تنعقد له، وتستدام له؛ لأنه متأول.

قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر، وتغيير للشرع، أو بدعة خرج عن حكم الولاية، وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه، ونصب أمام عادل أن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها، ويفر بدينه. قال: ولا تنعقد لفاسق ابتداءً، فلو طرأ على الخليفة فسق قال: بعضهم يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب.

وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للأحاديث الواردة في ذلك.

قال القاضي: وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع، وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسن، وابن الزبير، وأهل المدينة على بني أمية، وبقيام جماعة عظيمة من التابعين، والصدر الأول على الحجاج مع بن الأشعث، وتأول هذا القائل قوله: أن لا ننازع الأمر أهله في أئمة العدل، وحجة الجمهور أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع، وظهر من الكفر. قال القاضي: وقيل: أن هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم، والله أعلم.

قوله: (والجهاد ماضٍ قائم مع الأئمة الأبرار والفجار، مُدْبِعُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أَنْ يقاتل آخر الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل):
قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما.

قال ابن أبي العزرحم الله في شرح الطحاوية (ص ٤٣٧):

يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الرافضة حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضي من آل محمد، وينادي مناد من السماء اتبعوه، وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه بدليل، وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً اشتراطاً من غير دليل، بل في صحيح مسلم^(١) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ، وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشَرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ، وَيَلْعَنُونَكُمْ» قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكُزَّهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث في الإمامة، ولم يقل إن الإمام يجب أن يكون معصوماً، والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا، فإنهم يدعون أنه الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري الذي دخل السرداب في زعمهم سنة ستين ومائتين، أو قريباً من ذلك بسامراء، وقد يقيمون هناك دابة إما بغلة، وإما فرساً

ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك في أوقات عينوا فيها من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء.

وقوله: (مع أولي الأمر برهم وفاجرهم): لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر.

قوله: (والجمعة، والعيدان: الفطر والأضحى، والحج مع السلاطين، وملوك الإسلام، وإن لم يكونوا بررة عدولاً أتقياء.

ودفع الصدقات، والخراج، والأعشار، والفيء، والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ».

رواه البخاري برقم (٦٩٤).

وفي صحيح البخاري برقم (٦٩٥) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ خَيْارٍ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ مُحْضَرٌ، فَقَالَ: إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٌ، وَتَزَلُ بِكَ مَا نَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فِتْنَةٌ، وَتَتَحَرَّجُ. فَقَالَ: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ فَأَحْسِنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٣٧٤):

اعلم رحمك الله وإيانا أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة، ولا فسقاً باتفاق الأئمة، وليس من شرط الإتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه فيقول: ماذا تعتقد، بل يصلي خلف المستور الحال، ولو صلى خلف مبتدع يدعوا إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء.

والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار، ولا يعيدون كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه كما تقدم، وكذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم، فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة^(١)، وفي الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنه، فقال: يا ابن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم^(٢).

(١) رواه مسلم برقم (١٧٠٧).

(٢) تقدم آنفاً.

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك أن من أظهر بدعة وفجورًا لا يترتب إمامًا للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان حسنًا، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه، وصلى خلف غيره أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب، أو يعزل، أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه، فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم جمعة ولا جماعة، وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم، وكذلك إذا كان الإمام قد رتبته ولاية الأمور ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلفه أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهرًا للمنكر في الإمامة وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضررًا من ضرر ما أظهر من المنكر فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسن الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادًا من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجورًا، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البر فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذٍ فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر فهو موضع اجتهد العلماء منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع.

وقال رحمه الله في شرح الطحاوية (ص ٣٧٦):

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن وليّ الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامل الصدقة، يُطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والاتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية.

ولهذا لم يُجْزَ للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض.

والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض.

يروى عن أبي يوسف: أنه لما حجَّ مع هرون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، ف قيل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاية الأمور من فعل أهل البدع. وحديث أبي هريرة، الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «يُصلون لكم، فإن أصابوا فلکم ولهم، وإن أخطوا فلکم وعليهم»،^(١) نصٌّ صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم.

والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظوراً اعتقد أنه ليس محظوراً، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة على من يُطلق من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه لم يصح اقتداؤه به!! فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد.

وانظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٣/ ٣٧١-٣٧٢).

قوله: (والانقياد لمن ولّاه الله عز وجل أمر الناس، ولا ينزع يداً من طاعته، ولا يخرج عليه بسيف حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً).

ولا يخرج على السلطان، ويسمع ويطيع، ولا ينكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع، مخالف، مفارق للجماعة، ولا يمنعه حقه):

فيما تقدم، وما يأتي من الكلام على هذا الموضوع كفاية، والحمد لله.

موقف المسلم في الفتن:

قوله: (والإمساك في الفتنة سنة ماضية، واجب لزومها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك، ولا تعن على الفتنة بيد، ولا لسان، ولكن اكفف يدك ولسانك وهوأك):

قال الله جل في علاه: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وَعَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ

الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

وَعَنِ ابْنِ شَهَابٍ حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُطِيعِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ نَوْفَلِ بْنِ مُعَاوِيَةَ مِثْلَ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هَذَا.

رواه البخاري برقم (٣٦٠٢)، ومسلم برقم (٢٨٨٦).

وفي سنن أبي داود برقم (٤٢٦٣) عَنْ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: إِيمُ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنُ، وَلَمَنْ ابْتِئِيَ فَصَبَرَ فَوَافَاهَا».

أي فوا عجبًا له.

هذا حديث حسن.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ».

رواه البخاري برقم (١٩).

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا، ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةُ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ، أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ».

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ، فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لِيَنْجُو إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟»

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفَتْنَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

رواه مسلم برقم (٢٨٨٧).

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٢١٨/١٨-٢١٩):

وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة: فقالت: طائفة لا يقاتل في فتن المسلمين، وإن دخلوا عليه بيته، وطلبوا قتله، فلا يجوز له المدافعة عن نفسه؛ لأن الطالب متأول، وهذا مذهب أبي بكر الصحابي رضي الله عنه وغيره.

وقال ابن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهم وغيرهما: لا يدخل فيها، لكن إن قصد دفع عن نفسه.

فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام.

وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نُوَيْسَ﴾ [الحجرات: ٩].

الآية، وهذا هو الصحيح، وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد، واستطال أهل البغي، والمبطلون، والله أعلم. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٣١ / ١٣):

وفيه التحذير من الفتنة، والحث على اجتناب الدخول فيها، وإن شرها يكون بحسب التعلق بها.

والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل.

قال الطبري اختلف السلف، فحمل ذلك بعضهم على العموم، وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي بكر في آخرين، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هؤلاء، فقالت طائفة: بلزوم البيوت، وقالت طائفة: بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً، ثم اختلفوا فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل، ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه، وعن ماله، وعن أهله، وهو معذور إن قتل، أو قتل.

وقال آخرون: إذا بغت طائفة على الإمام، فامتنعت من الواجب عليها، ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ، ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور، وفصل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة، فالقتال حينئذ ممنوع. وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك، وهو قول الأوزاعي.

قال الطبري: والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها، وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك، وقيل إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق إن المقاتلة إنما هي في طلب الملك.

وهذا هو الجمع بين الأدلة:

- ١- أن تكون الفتنة من فتنة الملك، أو الدنيا فهذا يجنب.
 - ٢- أن تكون الفتنة بين مبتدعة، فهذا يجنب أيضًا.
 - ٣- أن لا يستبين الحق؛ بعد بذل الوسع والجهد، فهذا يجنب أيضًا.
 - ٤- أن تكون الفتنة بين محق ومبطل، فيجب نصرة الحق، وإخماد الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].
- وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وفي صحيح البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥) عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا».

زاد البخاري: وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ.

وعند البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاجُمِهِمْ، وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى».

وفي رواية لمسلم: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنْ اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنْ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ».

فالتخاذل عن كلمة الحق، ذ وعن التعاون عليه، وعدم التناصر عائق يضر ويضعف الكلمة، ويشتت الشمل، ويفرح العدو قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

فيجب شد أزر الحق، والوقوف جنباً إلى جنب في الحق، والتعاون عليه، والصبر على الأذى فيه، قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وفي «صحيح البخاري» برقم (٢٤٤٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ».

ورواه مسلم برقم (٢٥٨٤) عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكما أن الناطق بالباطل شيطان ناطق، فالساكت عن الحق شيطان أخرص.

وأدلة الباب كثيرة، بل أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وقد تقدم بعضها - كلها تؤيد هذا القول، بل خلاف هذا لا يعول عليه؛ لأنه إهدار للأدلة،

وتقليب للحقائق، ولا يسكت عن نصره الحق، ورد الباطل، إلا مفتون ضال، ولي بحمد الله رسالة مختصرة بعنوان: «لماذا التجلد للباطل والتصدي للحق؟».

قوله: (ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، وغلبهم بسيفه، حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته، وحرمت مخالفته فيما ليس بمعصية لله ولرسوله، والخروج عليه، وشق عصا المسلمين):
عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ».

رواه البخاري برقم (٢٩٥٥)، ومسلم برقم (١٨٣٩).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ، وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ، وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ».

رواه مسلم برقم (١٨٣٦).
وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ.

رواه مسلم برقم (١٨٣٧).
وَعَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: سَمِعْتُ جَدِّي يُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ: «وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا».

رواه مسلم برقم (١٨٣٨).

وَعَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرِّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: كَيْفَ؟

قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنُونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ».

قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِع».

رواه مسلم برقم (١٨٤٧)، وأصله في البخاري (٣٦٠٦) بدون الشاهد من الحديث.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا بِي ذَرٍّ أَسْمَعُ وَأَطِيعُ، وَلَوْ لِحَبِشِيَّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيَّةٌ».

رواه البخاري برقم (٦٩٦).

وَعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِحَيِّي بْنِ زَكْرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَأَدَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فِيمَا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ؟

فَقَالَ: يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى أَنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أَعْدَبَ، أَوْ يُخَسِّفَ بِي قَالَ: فَجَمَعَ بِحَيِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمُقَدَّسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَأْمُرَكُمْ أَنْ

تَعْمَلُوا بِهِنَّ أَوْهِنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ، وَرَزَقَكُمْ، فَأَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمُرْكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصُبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا، وَأَمُرْكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكِ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنْ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمُرْكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَقْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ حَتَّى فَكَ نَفْسَهُ، وَأَمُرْكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحَصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا أَمُرْكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ وَالْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَاءٍ جَهَنَّمَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: «وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

حديث صحيح، رواه أحمد (١٣٠ / ٤)، والترمذي (٢٨٦٣ و ٢٨٦٤)، وأبو داود الطيالسي كما في مسنده برقم (١٦١ و ١١٦٢).

وَعَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُودِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسِرِّي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

الحديث صحيح، وقد تقدم مع تخريجه فلا داعي لإعادة تخريجه هنا.

قوله: (وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه):

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ قَائِنًا تَطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَمَّا جَمَعْتُمْ حَطَبًا وَأَوْقَدْتُمْ نَارًا، ثُمَّ دَخَلْتُمْ فِيهَا، فَجَمَعُوا حَطَبًا، فَأَوْقَدُوا نَارًا، فَلَمَّا هُمَا بِالْدُخُولِ، فَقَامَ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا تَبِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ فِرَارًا مِنَ النَّارِ، أَفَنَدْخُلُهَا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ حَدَّثَ النَّارُ،

وَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ».

رواه البخاري برقم (٧١٤٥)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

ولقول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل».

صحيح، وقد جاء عن ثلاثة من الصحابة:

١- حديث علي: رواه أحمد (١/٩٤ و١٢٩)، وهو صحيح.

٢ و٣- حديث الحكم بن عمرو الغفاري، وعمران بن حصين، روه أحمد (٥/٦٦)، وهو صحيح.

٥- حديث ابن مسعود، رواه أحمد (١/٤٠٩)، وهو ضعيف؛ القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من جده.

الاستثناء في الإيمان

قوله: (والاستثناء في الإيمان جائز، غير أن لا يكون للشك، بل هي سنة ماضية عند العلماء، ولو سئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، أو مؤمن أرجو الله، أو يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسوله).

تقدم الكلام على الاستثناء في الإيمان في موضعه بما أغنى عن إعادته هنا.

قوله: (روي ذلك عن ابن مسعود):

صحيح، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (٢٢)، وفي «المصنف» (٢٨/١) برقم (١٠٤٢٢)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٥٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٧٨٠)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٧١)

من طريق سلمة بن كهيل، عن إبراهيم، عن علقمة قال: رجل عند عبد الله: إني مؤمن. قال: قل: إني في الجنة، لكننا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله.

ورواه معمر في الجامع المطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق (١٢٧/١)، وأبو عبيد في «الإيمان» برقم (١٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩/١)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٦٨)، وابن بطة في «الإبانة» برقم (١١٨١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٧٧٩-١٧٨١) من طريق أبي وائل شقيق عن ابن مسعود نحوه. وهو صحيح.

وله طريق أخرى: عند أبي عبيد في «الإيمان» برقم (٩) من طريق الحسن عن ابن مسعود. وهو لم يسمع منه، لكن قد صح بما تقدم.

قوله: (وعلقمة بن قيس):

صحيح، رواه أبو عبيد في كتاب «الإيمان» برقم (١١ و ١٥)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (٧٥)، و«المصنف» (١١ / ١٥)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٧٢٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٦ / ٥٨)، وابن جرير في «تهذيب الآثار»، وابن بطة في «الإبانة» برقم (١١٨٣ و ١٢١٨)، والبيهقي في «الشعب» رقم (٧٢)، والخلال في «السنة» برقم (١٣٤٦)، والآجري في «الشرعية» برقم (٢٨٥) من طريق إبراهيم قال: قال رجل لعلقمة: مؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله. وهو صحيح.

قوله: (وأسود بن يزيد، وأبي^(١) وائل شقيق بن سلمة، ومسروق بن الأجدع، ومنصور ابن المعتمر، وإبراهيم النخعي):

أثر إبراهيم صحيح، رواه ابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (٢٤)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٥٢)، والخلال (١٣٤٣)، وابن بطة في «الإبانة» برقم (١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٨)، والآجري في «الشرعية» برقم (٢٨٥ و ٢٨٩) عن إبراهيم قال: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: أرجو. وهو صحيح.

(١) في الأصل «أبو»، والصواب ما أثبتناه.

ورواه أبو عبيد في «الإيمان» برقم (١٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» برقم (٦٤٩)، وابن بطة في «الإبانة» برقم (١٢٠٥)، والآجري في «الشرعة» (٢٩٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٧٨٧) من طريق مجمل بن محرز قال: قال لي إبراهيم: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٤ / ٤) من طريق فضيل بن عمرو، وعن إبراهيم فذكره. وهو صحيح.

قوله: (ومغيرة بن مقسم^(١) الضبي، وفضيل بن عياض):

الباقون الذين لم أخرج آثارهم لم أجدها.

قوله: (وغيرهم):

قد حشد اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٩٦٧ / ٥)

(٩٨٥)، وأبو عبيد في «الإيمان» ص (٦٩٧٠)، جملة من آثار السلف في هذا.

قوله: (وهذا استثناء على يقين، قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]):

هذا لأجل ما تقدم؛ أنه إذا كان الاستثناء على سبيل الشك فلا يجوز على التفصيل

الماضي.

(١) في الأصل «القاسم»، والصواب ما أثبتناه.

الجدال والمعاصي وأخذ الحلال

قوله: (فصل. وينكرون الجدال والمراء في الدين، والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، وبما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ق، ولا يقولون: كيف ولم؟ لأن ذلك بدعة):

هذا أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة، وهو ترك الجدل لأنه وصف من أوصاف المبتدعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

رواه أحمد (٢٥٢/٥ و ٢٥٦)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه برقم (٤٨).

هذا حديث حسن.

فهذا نص أن الجدل وصف لأهل البدع؛ ولذا ذم السلف الجدل أشد الذم، قال الإمام الآجري في الشريعة (١/ ٤٢٩):

باب ذم الجدل والخصومات في الدين:

لما سمع هذا أهل العلم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين لم يماروا في الدين، ولم يجادلوا، وحذروا المسلمين المراء والجدال، وأمروهم بالأخذ بالسنن،

وبما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وهذا طريق أهل الحق ممن وفقه الله تعالى، وسنذكر عنهم ما دل على ما قلنا إن شاء الله تعالى. اهـ

وأنا أذكر ما صح للإمام الآجري في كتابه الشريعة؛ في هذا الفصل نقلًا من كتابي مختصر الشريعة مع عزوه لمن تيسر ممن أخرجه مع الآجري من أهل العلم:

عن مسلم بن يسار أنه كان يقول: إياكم والمرء فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٢)، والدارمي في المقدمة (٤١٠). وعن أبي قلابة كان يقول: لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٤)، والدارمي في المقدمة (٤٠٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٤٣ و ٢٤٤).

وعن معاوية بن قره قال: الخصومات في الدين تحبط الأعمال.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٥)، وابن بطة في الإبانة برقم (٥٦٣) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢٢١).

وعن عمر بن عبد العزيز قال: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٦)، والدارمي في المقدمة (٣١٢)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (٢١٦).

وعن معن بن عيسى قال: انصرف مالك بن أنس يومًا من المسجد، وهو متكئ على يدي فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا أبا عبد الله

اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعتني قال: فإن جاء رجل آخر، فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه قال مالك رحمه الله: يا عبد الله، بعث الله عز وجل محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين.

حسن، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٧).

وعن هشام بن حسان قال: جاء رجل إلى الحسن فقال: يا أبا سعيد، تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه.

صحيح، وقد رواه الآجري برقم (١١٨)، واللالكائي (٢١٥٠)، وابن بطة برقم (٥٨٦).

وعن حماد بن مسعدة قال: كان عمران القصير يقول: إياكم والمنازعة والخصومة، وإياكم وهؤلاء الذين يقولون: رأيت رأيت.

حسن، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١١٩).

وعن سلام بن أبي مطيع: أن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السخيتاني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ قال: فولى أيوب، وجعل يشير بإصبعه: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة.

صحيح، وقد رواه الآجري برقم (١٢٠).

وعن أسماء بن خارجة قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء، فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا، لتقومن عني أو لأقومن.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢١)، وابن بطة في الإبانة (٣٩٨)، والدارمي في المقدمة (٤١١)، واللالكائي (٢٤٢).

وعن عبد الكريم الجزري قال: ما خاصم ورع قط في الدين.

حسن، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٣).

وعن عمرو بن قيس قال: قلت للحكم: ما اضطر الناس إلى الأهواء؟ قال: الخصومات.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٤)، واللالكائي برقم (٢١٨).

وعن طاوس، أن رجلاً قال لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هواناً على هواكم قال: فقال ابن عباس: الهوى كله ضلالة.

صحيح، وقد رواه الآجري برقم (١٢٦)، ومعمر في الجامع المطبوع في آخر مصنف عبد الرزاق (١٢٦/١١)، واللالكائي برقم (٢٢٥).

وعن الأوزاعي قال: عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٧).

وعن محمد بن واسع قال: رأيت صفوان بن محرز وأشار بيده إلى ناحية من المسجد، وشبهة قريب منه، يتجادلون، فرأيتُه ينفُضُ ثوبه وقام وقال: إنما أنتم جُرْبُ إنما أنتم جُرْبُ.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٢٨).

وعن أيوب أنه قال: لست براد عليهم، أشد من السكوت.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٢).

وعن ابن عباس قال: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب.

حسن، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٣)، وابن بطة في الإبانة برقم (٦١٩).

وعن مهدي بن ميمون قال: سمعت محمداً يعني ابن سيرين وماراه رجل في شيء فقال محمد: إني أعلم ما تريد، وأنا أعلم بالمرء منك، ولكني لا أماريك.

صحيح، وقد رواه الآجري في الشريعة برقم (١٣٤)، وابن بطة في الإبانة برقم (٦٢٢-٦٢٣).

وراجع في هذا فصلاً مهماً في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي رحمه الله (١/ ١١٤-١٥٠).

قوله: (ويقولون: إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه، وأمر بالخير، ولم يرَضْ بالشر والكفر والمعاصي، وإن كان مريداً له):

بل الشريعة الإسلامية كلها مبنية على جلب الخير للناس، ودفع الشر عنهم، وهذا أكثر من أن يُحصَر.

أما قوله: (ولم يرض بالشرك والكفر والمعاصي، وإن كان مريدًا له):

هذا تقدم في الفرق بين الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية؛ بما حاصله:

أن الله تعالى قدّر الكفر والشرك، والمعاصي، وأبغضها، وتوعد من فعلها بالعقوبة فهذا معنى مريدًا لها، أي قدرها.

قوله: (ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ: أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: «هل من مستغفر فأغفر له»):

رواه البخاري برقم (٧١٩٤) ومسلم برقم (٧٥٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي؟ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرَ لَهُ».

وقد تقدم الحديث عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

قوله: (كما جاء، ويأخذون بالكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]):

تقدم الكلام على صفة النزول بما أغنى عن إعادته هنا.

قوله: (ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين فيما يوافق القرآن والحديث لا في غيره، ولا يبتغون في دينهم ما لم يأذن به الله):

يعني ويعتقد أهل السنة والجماعة اتباع الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، قال الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧-٦﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، وهذا من دعائهم، بل دعاء كل مسلم، فوجب تطبيقه قالًا، وحالًا.

وقال الله جل في علاه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْآخِرُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُواهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وقد تقدم في فضائل الصحابة بعض الأدلة أن فهم الشريعة يكون بفهمهم، وتقدمت الأدلة هناك التي تعم بقية السلف.

قوله: (ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]:

تقد الكلام على هذه الصفات.

قوله: (ويرون العيد والجمعة والجماعة خلف كل إمام سني، بر وفاجر):

تقد الكلام على هذا قريبًا.

قوله: (ويثبتون المسح على الخفين سنة، ويرونه في السفر والحضر):

قال الإمام الطحاوي في عقيدته:

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٤٣٥):

تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين، وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة، فيقال لهم الذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويقرهم، ونقلوه إلى من بعدهم أكثر عدداً من الذين نقلوا لفظ هذه الآية؛ فإن جميع المسلمين كانوا يتوضؤون على عهده، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه فإن هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم في الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضأ ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (٣/١٥٦):

أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو لغيرها، حتى يجوز للمرأة الملازمة بيتها، والزمن الذي لا يمشي، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج، ولا يعتد بخلافهم، وقد روى عن مالك رحمه الله تعالى روايات فيه، والمشهور من مذهبه كمذهب الجماهير، وقد روى المسح على الخفين خلائق لا يحصون من الصحابة.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمسح على الخفين^(١)، وقد بينت أسماء جماعات كثيرين

(١) أن الحسن رواه ابن المنذر في الأوسط برقم (٤٥٧) وفي سنده محمد بن الفضل بن عطية متروك.

من الصحابة الذين روه في شرح المذهب، وقد ذكرت فيه جملاً نفيسة مما يتعلق بذلك، وبالله التوفيق.

واختلف العلماء في أن المسح على الخفين أفضل أم غسل الرجلين؟ فذهب أصحابنا إلى أن الغسل أفضل؛ لكونه الأصل، وذهب إليه جماعات من الصحابة منهم عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم.

وذهب جماعات من التابعين إلى أن المسح أفضل، وذهب إليه الشعبي، والحكم، وحامد، وعن أحمد روايتان أصحهما المسح أفضل، والثانية هما سواء واختاره بن المنذر، والله أعلم. اهـ.

قلت: وأدلة الباب كثيرة مبسوبة في كتب الفروع، بل متواترة، قال الشاعر:

ماتواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعته والحوض ومسح خفين وهذي بعض
والمسألة فقهية، أدخلت كتب العقائد ردّاً على من أنكرها من أهل البدع، كما ذكره النووي.

جهاد الكافرين

قوله: (ويثبتون فرض الجهاد للمشركين من كانوا، وأينما كانوا، منذ بعث الله رسوله بالحق والصدق إلى آخر عصابة تقاتل الدجال):

قال الله جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].

وقال عز وجل: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ *

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠-١١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوْكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقال تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فخذوهم وأقتلوهم حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ٩١].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

رواه مسلم برقم (١٩٢٢).

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ».

رواه البخاري برقم (٧١)، ومسلم برقم (١٠٣٧).

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ هُمْ شَرُّ مَنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا

فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةُ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمُسْكِ مَسْهُمَا مَسَّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

رواه مسلم برقم (١٩٢٤).

والحق أنه لم يذل المسلمون إلا لما تركوا هذا الواجب العظيم (وهو جهاد الكافرين)؛ فتسلط عليهم أعداؤهم، عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا».

قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟

قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُنَاءً كَغُنَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمُهَابَةِ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ».

قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟

قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

رواه أحمد (٢٧٨/٥) وهو حديث حسن.

فسلَّطَ الله عليهم أمة الغضب والضلال، أحفاد القردة والخنازير؛ بتركهم الجهاد في سبيل الله تعالى.

الدعاء لأئمة المسلمين

قوله: (وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والساداد، والنصيحة لهم ولعامتهم، ولا يخرج عليهم بالسيف، وأن لا يقاتلوا في الفتنة):
قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خِيَارُ أَعْمَتِكُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَعْمَتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ، وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ، وَيَلْعَنُونَكُمْ».

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وَلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ».

رواه مسلم برقم (١٨٥٥).

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ».

قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِللَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».

رواه مسلم برقم (٥٥).

قال النووي في شرح مسلم (١/٢٢٧):
وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم.

قال الخطابي رحمه الله: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف، أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور، وحكاها أيضًا الخطابي، ثم قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما روه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم.

وقال الإمام البرهاري رحمه الله في شرح السنة (ص ١١٣-١١٤):

إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله.

قوله: (وأن الدعاء لموتى المسلمين):

قال الله جل في علاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].
وفي دعاء صلاة الجنازة، عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ

نُزْلَهُ، وَوَسَّعَ مَدْخَلَهُ، وَاغْسَلَهُ بِالمَاءِ، وَالثَّلْجِ، وَالبَرْدِ، وَنَقَّهَ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثُّوبَ
الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدَلَهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ
زَوْجِهِ، وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَأَعَدَّ لَهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.
قَالَ: حَتَّى تَمَيَّنْتَ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيَّتَ.

رواه مسلم برقم (٩٦٣).

وهذا الدعاء يُشَرِّعُ أَنْ يُقَالَ لكل ميت من المسلمين.

قوله: (والصدقة عليهم، بعد موتهم تصل إليهم):

لأدلة في ذلك منها:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأَظُنُّهَا
لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ».

رواه البخاري برقم (١٣٨٨)، ومسلم برقم (١٠٠٤).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ
غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ
تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنَّ حَائِطِي الْمَخْرَافَ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا.

رواه البخاري برقم (٢٧٥٦)، ومسلم برقم (١٦٣٨).

وليس في الصدقة عن الميت خلاف، نقله ابن المبارك كما في مقدمة مسلم (١/١٦).

السحر:

قوله: (ويصدقون بأن في الدنيا سحرة، وأن الساحر كافر، وأن السحر كائن موجود

في الدنيا):

أما أدلة الجملة الأولى والثالثة فالتالي:

قال الله جل في علاه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَزِجُهُ وَآخَاهُ وَأَرْسَلِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّا لَنَكُونُ نَحْنُ الْمُغْلِبِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغْلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٩-١٢٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ

سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلِّبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُشَقَّانِ مِنْ كَتَّانٍ، فَنَمَخَطُ، فَقَالَ: بَخَ بَخَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَطُ فِي الْكَتَّانِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُ فِيمَا بَيْنَ

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةٍ عَائِشَةَ مَغْشِيًا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الْجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الْجُوعُ.

رواه البخاري برقم (٧٣٢٤).

وأما الجملة الثانية وهي أن الساحر كافر، فربنا تبارك وتعالى يقول:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ١٠١-١٠٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ».

رواه البخاري برقم (٢٧٦٦)، ومسلم برقم (٨٩).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ أَوْ سِئِلَ رَسُولَ اللَّهِ قَائِي الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشِيَةً أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُرَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»، قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

رواه البخاري برقم (٤٧٦١)، ومسلم برقم (٨٦).

وكفر السحرة معلوم من الأدلة القطعية التي تقدم بعضها لأمر أهمها:

الأول: إدعائهم علم الغيب، وهذا كفر، قال الله جل في علاه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا عام غير مخصص؛ يشمل كل المخلوقات؛

حتى الأنبياء والرسل، فضلاً عن الدجاجة، ومردة الجن والشياطين، وقد افترى أولئك كذباً مبیناً، وبهتاناً عظيماً؛ حيث زعموا أن الجن تعلم الغيب، قال المولى تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبا: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١١/٤٥٨):

...وهذا بخلاف ما تواتر عند الخاصة من أهل العلم، كأحاديث الرؤية، وعذاب القبر، وفتنته، وأحاديث الشفاعة، والصراط، والحوض، فهذا قد ينكره بعض من لم يعرفه؛ من أهل الجهل والضلال، ولهذا أنكر طائفة من المعتزلة كالجبائي وأبى بكر الرازي وغيرهما دخول الجن في بدن المصروع، ولم ينكروا وجود الجن إذ لم يكن ظهور هذا في المنقول عن الرسول ﷺ، كظهور هذا، وإن كانوا مخطئين في ذلك، ولهذا ذكر الأشعري في مقالات أهل السنة والجماعة أنهم يقولون: إن الجنى يدخل في بدن المصروع. اهـ.

وإن كثيراً من هؤلاء السحرة لا تعمل معهم شياطينهم إلا بعد قيامهم بأعمال الكفر والزندقة؛ بل على قدر شدة كفر الساحر، وبعده عن الله يكون قوة تأثيره بالسحر.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١١/٢٩٢):

والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب، فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو شيطان، والشيطان وإن أعان

الإنسان على بعض مقاصده فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر إلا أن يتوب الله عليه، وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين. اهـ.
وقال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد (٢/ ٤٦٠):

وفي كتب السحر والسر المكتوم من هذا عجائب، ولهذا كلما كان الساحر أكفر، وأخبث، وأشد معاداة لله، ولرسوله، ولعباده المؤمنين؛ كان سحره أقوى، وأنفذ؛ ولهذا كان سحر عباد الأصنام أقوى من سحر أهل الكتاب، وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين إلى الإسلام، وهم الذين سحروا رسول الله ﷺ. اهـ.
ومن تلك الأعمال التي يعملونها:

١- كتابة القرآن بدم الحيض، أو النجاسات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٥):

ولهذا كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة، وقد يقبلون حروف كلام الله عز وجل، إما حروف الفاتحة، وإما حروف قل هو الله أحد، وأما غيرهما، إما بدم حيض، وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون بذلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين، أعانتهم على بعض أغراضهم، إما تغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأماكن، وإما أن يأتيه بهال من أموال بعض الناس، كما تسرقه الشياطين من أموال الخائنين، ومن لم يذكر اسم الله عليه، وتأتى به، وإما غير ذلك.

وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة، ومن وقعت له ممن أعرفه ما يطول حكايته فإنهم كثيرون جدًا. اهـ.

٢- ترك الصلاة، وإن صلى لخداع الناس؛ صلى بغير طهارة، وقد يكون على جنابة.

وربما صلى فيما يبدو للناس، وهو يعبد شيطانه!

٣- وطء المصحف، أو وضعه في الحش، نسأل الله العافية.

٤- معاداة الساحر للدين، والسخرية بالدين، وبالله ورسوله ﷺ.

٥- استعانتهم بالجن والشياطين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا اقْتَبَسَ رَجُلٌ عِلْمًا مِنَ النَّجْوِمِ إِلَّا اقْتَبَسَ بِهَا شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ مَا زَادَ زَادَ».

ورواه أحمد (٢٢٧/١)، وأبو داود برقم (٣٩٠٥)، وابن ماجه برقم (٣٧٢٦).

هذا حديث صحيح.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣٠٧/١١):

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله، إما في الشرك، وإما في قتل معصوم الدم، أو في العدوان عليهم بغير القتل كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر، فهو كافر وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ إما فاسق، وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشرعية فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعى الذى أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به.

٦- تصديقهم في ادعائهم علم الغيب كفر.

عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال:

«من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد».

رواه البزار كما في كشف الأستار برقم (٣٠٤٥).

هذا حديث حسن.

ومن أتاه غير مصدق له فعلى خطر عظيم، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

رواه مسلم برقم (٢٢٣٠).

إلا من أتاه لقصد فضحه، بشروط:

١- قدرته على فضحه.

٢- أن يكون لديه من العلم ما يؤهله على فضحه؛ لأنه لا يكون له القدرة على

فضحه حتى يكون لديه علم بالشرعية.

٣- أن يكون قويَّ الثقة بالله، فلا يخاف من الساحر.

٤- ولا يُفتن به غيره؛ فيظن أنه ذهب لتصديق الساحر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قَبْلَ

ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ عِنْدَ أَطْمِ بْنِ مَعَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ

صَيَّادٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «تَشْهَدُ

أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟»، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ:

ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَرَفَضَهُ وَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ،

فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ»، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا»، فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ، فَقَالَ: «أَخْسَأُ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

رواه البخاري برقم (١٣٥٥)، ومسلم برقم (١٦٩).

قال الإمام ابن أبي العز رحمة الله في شرح الطحاوية (٥٠٥-٥١٠):

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه: والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخيل.

واتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك، فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سدّه. وهو من جنس فعل قوم إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرُوا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨-٨٩].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

واتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجنُّ أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم

به، وكذلك الكلام الذي لا يُعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف. ولهذا قال النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»^(١).

ولا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فبييت في أمن وجوار حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾، يعني الإنس للجن، باستعاذتهم بهم. رهقاً، أي: إثمًا وطغيانًا وجراءة وشرًا، وذلك أنهم قالوا: قد سُدْنَا الجنَّ والإنس! فالجنُّ تَعَاطَمَ في أنفسها وتزداد كفرًا إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة. وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين. وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

فاستمتع الإنسي بالجنّي: في قضاء حوائجه، وامتنال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتع الجن بالإنس: تعظيمه إياه، واستعانت به، واستغاثته وخضوعه له.

(١) رواه مسلم برقم (٢٢٠٠) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبته رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء من يُعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب:

حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عمن عاينهم أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم خضعوا لهم. وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء!

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممدداً للطائفتين.

فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه، والحق: أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، وإلا فالإنس يؤنس، أي يشهدون ويُروون، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنهم أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله. وسبب الضلال فيهم، وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة، عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

ويقول بعض الناس: الفقراء يُسَلَّم إليهم حالهم! وهذا كلام باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل، وما خالفها ردّ، كما قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١).

وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢).

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقة، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعتة باطنًا وظاهرًا.

ومن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر، ملتزمًا لطاعته فيما أمر، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان: لم يكن مؤمنًا، فضلًا عن أن يكون وليًّا لله تعالى، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الخشب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل! فإنه لا يكون، مع تركه الفعل المأمور وعزل المحذور، إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المُبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه.

لكن مَنْ ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رُفِع عنهم القلم، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله والإقرار باطنًا وظاهرًا ما يكونون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالين. لكن يدخلون في الإسلام تبعًا لآبائهم، كما قال

(١) علقه البخاري في موضعين:

الأول: في كتاب البيوع: ٦٠ - باب النجش (٤/٤١٦) مع الفتح.

الثاني: في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: ٢٠ - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم (١٣/٣٢٩) مع الفتح.

ورواه مسلم برقم (١٧١٨) - ١٨.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) - ١٧.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

فمن اعتقد في بعض البُله أو المولعين، مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله، أنه من أولياء الله، ويفضله على متبعي طريقة الرسول ﷺ، فهو ضالٌ مبتدع، مخطيء في اعتقاده. فإن ذاك الأبله، إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو زوকারياً متحياً، أو مجنوناً معذوراً! فكيف يفضل على من هو من أولياء الله، المتبعين لرسوله؟! أو يساوى به؟

ولا يقال: يمكن أن يكون هذا متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للتابع في الظاهر؟ فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً. قال يونس بن عبد الأعلى الصّدي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب^(١).

وأما ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البُله»^(٢) فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عقولهم وألباهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه،

(١) صحيح، رواه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي (ص ١٨٤)، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٥٣).

(٢) ضعيف، رواه البزار كما في كشف الأستار برقم (١٩٨٣) عن أنس رضي الله عنه.

وفي سنده سلامة بن روح أنكر عليه الحديث.

فلم يذكر في أوصافهم البَّله، الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»^(١). ولم يقل البَّله!

والطائفة الملامية، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون: نحن متبعون في الباطن، ويقصدون إخفاء المرائين، ردوا باطلهم بباطل آخر، والصراط المستقيم بين ذلك.

وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون! وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله! ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم. ومن علامة هؤلاء، أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو، تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهذون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف غيرهم ممن تكلم إذا حصل لهم نوع إفاقة بالكفر والشرك، ويهذون بذلك في حال زوال عقلهم. ومن كان قبل جنونه كافرًا أو فاسقًا، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كفره أو فسقه. وكذلك من جنّ من المؤمنين المتقين، يكون محشورًا مع المؤمنين

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٤١) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

ورواه مسلم برقم (٢٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره سواء سُمي صاحبه مولعاً أو متولهاً، لا يوجب مزيد حال، بل حال صاحبه من الإيمان والتقوى يبقى على ما كان عليه من خير وشر، لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يجرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قبله.

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة، من الهذيان، والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه!! فذلك شيطان يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية! وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقريباً إلى ولاية الله، كما يظنه كثير من أهل الضلال؟! حتى قال قائلهم: هم معشر حلّوا النظام وخرقوا الـ سياج فلا فَرْصٌ لديهم ولا نفلٌ مجانين، إلّا أن سِرَّ جنونهم عزيزٌ على أبوابه يسجد العقل

وهذا كلام ضال، بل كافر، يظن أن في الجنون سرّاً يسجد العقل على بابه!! لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة، أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون ذلك سبب ما اقترن به من الشياطين، كما يكون للسحرة والكهان! فيظن هذا الضال أن كل مَنْ خبل أو خرق عادةً كان وليّاً لله!

ومن اعتقد هذا فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢].

فكل من تنزل عليه الشياطين لابد أن يكون عنده كذب وفجور.

ولي - والله الحمد- رسالة في علاج السحر، وتطرق لوجود السحر وعلاجه فيها.

قوله: (ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم):

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم. اهـ.

الصلاة دعاء، وقد تقدم أنه يُدعى للمسلمين، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: «أَيُّ عَمٍّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ: أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَتَرَعُبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتُهِ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

رواه البخاري برقم (٤٧٧٢)، ومسلم برقم (٢٤).

فيجوز الدعاء لكل مسلم ما لم يخرج عن الإسلام، بل عصاة المسلمين وفجرتهم أحوج لدعاء الصالحين لهم.

قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ٣٧٧):

وقوله: وعلى من مات منهم: أي ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثنى من هذا العموم البغاة، وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد خلافاً لمالك والشافعي رحمهما الله على ما عرف في

موضعه، لكن الشيخ إنما ساق هذا لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور لا للعموم الكلي، ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق، فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له، ومن لم يعلم ذلك منه صلي عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه، وكان عمر رضي الله عنه لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة؛ لأنه كان في غزوة تبوك قد عرف المنافقين، وقد نهى الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره؛ وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية، أو العملية، أو الفجور ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فأمره سبحانه بالتوحيد، والاستغفار لنفسه، وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين، والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسائر الخيرات إما واجب، وإما مستحب، وهو على نوعين عام وخاص، أما العام فظاهر كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص فالصلاة على الميت فما من مؤمن يموت إلا وقد أمر المؤمنون أن يصلوا عليه صلاة الجنازة، وهم مأمورون في صلاتهم عليه أن

يدعوا له كما روى أبو داود^(١)، وابن ماجه^(٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ».

قوله: (ويقرون أن الأرزاق من قبل الله تعالى، يرزقها عباده حلالاً كانت أو حراماً):

تقدم الكلام على هذا.

قوله: (وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه):

تقدم فصل يتعلق بالشيطان لعنه الله.

قوله: (وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم):
هذا تقدم في كرامات الأولياء.

(١) برقم (٣١٩٩).

(٢) برقم (١٤٩٧) من طريق ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن، وقد رواه ابن حبان كما في الإحسان برقم (٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٧) وصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، وقد ذكره الشيخ الألباني

في الصحيحة برقم (٨٨٨).

فالحدِيث حسن.

الأطفال

قوله: (وأن الأطفال أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد، والله أعلم بما كانوا يعملون):

أما حكم أطفال المسلمين فأجمع فأجمع من يُعتدُّ به في الإجماع أن من مات من أطفال المسلمين فهو في الجنة، وتوقف بعضهم لما رواه مسلم برقم (٢٦٦٢) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طُوبَى لِهَذَا، عَصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلِ الشَّوْءَ وَلَمْ يَدْرِكْهُ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ».

وهذا محمول على أنه قبل أن يعلم النبي ﷺ الأدلة على أنهم في الجنة، فمنها: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِنِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: «لَا يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبُهُ إِلَّا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: أَوْ اثْنَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَوْ اثْنَيْنِ».

رواه البخاري برقم (١٢٥١) ومسلم برقم (٢٦٣٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً إِلَّا كَانُوا لَهَا

حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ».

رواه البخاري برقم (٧٣١٠) ومسلم برقم (٢٦٣٣).

عَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثٍ تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا، قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، صَغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ، يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ، أَوْ قَالَ: أَبُوهُ فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ، أَوْ قَالَ: بِيَدِهِ كَمَا أَخْذُ أَنَا بِصَفِيَّةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَتَنَاهَى أَوْ قَالَ: فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ.

رواه مسلم برقم (٢٦٣٥)، وغيرها.

أما أطفال المشركين ففيهم أقوال:

الأول: أنهم في مشيئة الله تعالى.

الثاني: أنهم تبع لأبائهم، فأولاد المسلمين في الجنة وأولاد المشركين في النار، وهو قول الأكثر.

الثالث: أنهم يكونون في برزخ بين الجنة والنار؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

الرابع: أنهم خدم أهل الجنة.

الخامس: أنهم يصيرون ترابًا.

السادس: أنهم في النار، حكاه القاضي عياض عن أحمد وغلظه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

السابع: أنهم يمتحنون في الآخرة.

الثامن: التوقف.

التاسع: أنهم في الجنة، وهذا هو الصحيح الذي عليه المحققون لقول الله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ثم هم على الفطرة، وعن أبي هريرة، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجْسِنَانِهِ كَمَا تُنْتَجِ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الآية [الروم: ٣٠].

رواه البخاري برقم (١٣٥٨) ومسلم برقم (٢٦٥٨).

وهذا الطفل الذي مات قبل أن يغير فيه شيئاً يعتقده ببلوغه ويكون مكلفاً.

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا».

قَالَ: فَيَقْصُصُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَصَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانٍ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيُلْغُ رَأْسُهُ فَيَتَهَدَّدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى.

قَالَ: قُلْتُ لُهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكُلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّتَيْ وَجْهِهِ فَيَشْرِشُرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ.

قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى.

قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ قَالَا لِي: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُورِ، قَالَ: فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَالَ: فَاطْلَعْنَا فِيهِ، فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ هَبٌّ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضُوا.

قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هُوَ لَآءٍ؟ قَالَ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ، حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَرُ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِغٌ يَسْبِغُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِغُ يَسْبِغُ مَا يَسْبِغُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ يَسْبِغُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَّ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمُرَاةَ، كَأَكْرَهَ مَا أَنْتَ رَاءِ رَجُلًا مَرَأَةً، وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحْشُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا؟

قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طَوَّلًا فِي السَّمَاءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانِ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قَالَ: قُلْتُ لهُمَا: مَا هَذَا مَا هُوَ لَاءِ؟
قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرِ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ،
قَالَ: قَالَا لِي: ارْقَ فِيهَا.

قَالَ: فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبَنِ ذَهَبٍ وَلَبَنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فُتِّحَ لَنَا، فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرُ مَنْ خَلَقَهُمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءِ، وَشَطْرُ كَأَفْجَحِ مَا أَنْتَ رَاءِ، قَالَ: قَالَا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ.

قَالَ: وَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمُخْضُ فِي الْبَيَاضِ، فَذْهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ.
قَالَ: قَالَا لِي: هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قَالَ: فَسَمَا بَصْرِي صُعْدًا، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ، قَالَ: قَالَا: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ.

قَالَ: قُلْتُ لهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا، ذَرَانِي فَأَدْخِلْهُ.

قَالَا: أَمَّا الْآنَ فَلَا، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ.

قَالَ: قُلْتُ لهُمَا فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مِنْدُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟

قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَتَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَأَمَّا الرَّجُلُ

الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ.

وَأَمَّا الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي.
وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْرِ وَيُلْقِمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ أَكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهَ الْمُرَاةُ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يُحْشِئُهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنُ جَهَنَّمَ.
وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ».

قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ. وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحًا، فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

رواه البخاري برقم (٧٠٤٧).

قوله: (والله يعلم ما يعمل العباد، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمر بيد الله):

تقدم ما يتعلق بعلم الله سبحانه وتعالى مرارًا، وأنه لا تخفى عليه خافية.

الصبر

قوله: (ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله، والانتفاء عما نهى الله عنه):
هذا امتثال لأمر الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨):

فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين.

وقال الله تعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾
[يونس: ١٠٩].

وقال الله جل في علاه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ هُمُ عُقَبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢].

وفال الله جل في علاه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقال الله جل في علاه: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وفي سنن أبي داود برقم (٤٢٦٣) عَنِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ: أَيْمَ اللَّهُ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِبَ الْفِتْنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا».

أي فوا عجباً له.

هذا حديث حسن.

وأدلة الصبر كثيرة، وفوائده ومنافعه جليلة، ولا أطيل، فقد ألف ابن القيم رحمه الله كتاباً جليلاً بعنوان: «عدة الصابرين» فمن أحب راجعه مع ما في القرآن والسنة.

الإخلاص

قوله: (وإخلاص العمل لله):

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مِمَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

رواه البخاري برقم (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْشَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

كَيْفَ يُخَسِّفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخَسِّفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ».

رواه البخاري برقم (٢١١٨)، ومسلم (٢٨٨٤)، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم مغاير.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ؟ فَقَالَ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفِرُوا».

رواه مسلم برقم (١٨٦٤).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَانْفِرُوا».

رواه البخاري برقم (٣٠٧٧)، ومسلم (١٣٥٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟

قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ».

رواه البخاري برقم (٤٤٢٣)، ومسلم عن جابر برقم (١٩١١)، وفيه: حبسهم المرض.

وزاد في رواية: «إلا شركوكم في الأجر».

وَعَنْ أَبِي الْجَوَيْرِيَةِ أَنَّ مَعْنَ بْنَ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَأَبِي وَجَدِّي، وَخَطَبَ عَلِيٌّ فَأَنْكَحَنِي، وَخَاصَمْتُ إِلَيْهِ وَكَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ

دَنَائِرٍ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ:
وَاللَّهِ مَا إِلَيَّكَ أَرَدْتُ فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ
مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ».

رواه البخاري برقم (١٤٢٢).

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حَبَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ
أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلِّغْ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ،
وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي لِِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلْثِي مَالِي؟ قَالَ: «لَا»، قُلْتُ: أَفَأَتَصَدَّقُ
بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «لَا»، قُلْتُ: فَالْثُلُثِ؟ قَالَ: «وَالْثُلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ
خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتُ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا
أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى اللَّفْمَةِ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَأَخْلَفَ بَعْدَ
أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلْ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا أَرَدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً
وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخْلَفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّرَ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ
لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنَّ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ حَوْلَةَ» رَأَى لَهُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُوفِّيَ بِمَكَّةَ.

رواه البخاري برقم (٤٤٠٩)، ومسلم برقم (١٦٢٨).

وقوله: رَأَى لَهُ سَوَّلُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَنْ تُوفِّيَ بِمَكَّةَ، مِنْ كَلَامِ الزَّهْرِيِّ، كَمَا بَيْنَهُ
الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٣/١٦٥)، فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ رَقْمَ (١٢٩٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا
تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا،

المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

رواه مسلم برقم (٢٥٦٤) - ٣٣.

وفي رواية (٣٤): «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حِمْيَةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةً اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

رواه البخاري برقم (٧٤٥٨)، ومسلم برقم (١٩٠٤).

وَعَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: ذَهَبْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِينِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ: أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ، قَالَ: ازْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ».

رواه البخاري برقم (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً، إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا

دَرَجَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ،
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انتَظَرَ الصَّلَاةَ».

رواه البخاري برقم (٦٤٧)، ومسلم في كتاب المساجد (٦٤٩) - ٢٧٢.

وفي رواية للبخاري (٢١١٩)، ومسلم بنفس الرقم: «لا ينهزه إلا الصلاة».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحُسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا
كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ
حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا
اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

رواه البخاري برقم (٦٤٩١)، ومسلم برقم (١٣١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ
يَمْشُونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ
الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ
فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجَهَا عَنْكُمْ. قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ
كَبِيرَانِ وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ، كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ
بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا
نَامًا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ
أَسْقِيَ الصَّبِيَّةَ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاعَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَيَّ
فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فَرَجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ فَرَأَوْا السَّمَاءَ، وَقَالَ

الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِبَاثَةٍ دِينَارٍ فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً، فَفَرَجَ، وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أُرْزُ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرِغَبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرَاعِيَهَا فَخُذْ، فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْ فَأَخْذَهُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرُجْ مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ».

رواه البخاري برقم (٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٤٣).

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتَغَى بِهِ وَجْهَهُ».

رواه النسائي برقم (٣١٤٠)، وهو حسن.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أُغْنِي الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ».

رواه مسلم برقم (٢٩٨٥).

هذا الباب الأول من رياض الصالحين بتصرف وزيادة.

النصيحة

قوله: (والنصيحة للمسلمين):

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ نَحْوًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقُلْنَا: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ السَّاعَةَ إِلَّا لَشَيْءٍ سَأَلَهُ عَنْهُ؟ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: أَجَلُ سَأَلْنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْتُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُ رَبُّ حَامِلٍ فِيهِ لَيْسَ بِفَقِيهِ، وَرَبُّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَعْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاَةِ الْأَمْرِ، وَلِزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ».

رواه أحمد (١٨٣/٥).

هذا حديث صحيح، وقد جاء عن جماعة من الصحابة.

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ عِلَاقَةَ قَالَ: سَمِعْتُ جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ يَوْمَ مَاتَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَامَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْوَقَارِ وَالسَّكِينَةِ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ أَمِيرٌ، فَإِنَّمَا يَأْتِيَكُمُ الْآنَ، ثُمَّ قَالَ: اسْتَغْفُوا لِأَمِيرِكُمْ فَإِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ الْعَفْوَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قُلْتُ: أَبَايُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَشَرَطَ عَلَيَّ وَالنُّصْحَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى هَذَا، وَرَبَّ هَذَا الْمَسْجِدِ إِنِّي لَنَاصِحٌ لَكُمْ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ.

رواه البخاري برقم (٥٨).

وَعَنْ جَرِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

رواه البخاري برقم (٢١٥٧) ومسلم برقم (٥٦).
وقد تقدم حديث تميم الداري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ».
قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».
رواه مسلم برقم (٥٥).

وخلاصة النصيحة للمسلمين، هو أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وقد تقدم هذا.

لكن مع الفرق بهم، وبيان الشفقة عليهم؛ ليقبلوا النصيحة.

قال النووي في شرح مسلم (١/٢٢٧):

وأما نصيحة عامة المسلمين، وهم من عدا ولاية الأمر، فإن شأدهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلون من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلالتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق

بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط همهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف رضى الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه. والله أعلم.

قوله: (ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة الإسلام ولكل مسلم):
تقدم الكلام على هذا.

قوله: (واجتناب الكبائر، والزنى، وشرب الخمر، والسرقة، وقول الزور، وشهادة الزور، والمعصية، والفخر، والكبر، والازدراء على الناس، والعجب، والتفاخر بالأنساب، والطعن في الأحساب):

أي ومن عقيدة أهل الحديث - أهل السنة والجماعة - أنهم يتعبدون لله تعالى باجتناب المعاصي؛ كبيرها، وصغيرها.

وفي هذا رد على طائفتين:

الأولى: الخوارج والمعتزلة؛ الذين يُكفِّرون بارتكاب الكبيرة؛ فأهل السنة مع كونهم لا يُكفِّرون بذلك - وفقاً للأدلة - لكنهم لا يستيحيونها.

الثانية: المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، من حيث أن هذه الذنوب تضر بالإيمان.

قوله: (ويرون مجانبية كل داع إلى بدعة):

سيأتي فصل فيما يتعلق بأهل البدع.

قوله: (والتشاغل بقراءة القرآن، مع التدبر والإمعان، وكتابة الآثار، ودرس الأحاديث، والتمسك بها في كل حال من السخط والرضا، والنظر في السنة، مع التواضع والاستكانة، وحسن الخلق، وبذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة، والسعاية، وتفقد المآكل والمشرب، على وجه الحلال).

ومن حرم المكاسب، والتجارات، وطيب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف.

بل المكاسب من وجهها حلال، وقد أحلها الله ورسوله، فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى المكتسب فهو مخالف):

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَمِنَ الْأَبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

وهذه الأمور التي ذكرها المصنف هي من الآداب، فلو استطردت في ذكر أدلتها لحوى هذا الشرح مجلدات عدة، وليس مقصوداً لي، ولك أن تراجع نضرة النعيم.

فكتاب نضرة النعيم حشد فيه مؤلفوه كمية ضخمة من الأدلة في بابه من القرآن، والسنة، وبعض الآثار، على أنهم لا يُوافقون في بعض التصحيحات، أو التحسينات.

الدين هو القرآن والسنة على فهم السلف

قوله: (والدين إنما هو كتاب الله عز وجل، وآثار وسنن وروايات صحاح، وأخبار صحيحة عن الثقات، بالرواية القوية المعروفة الصحيحة، يصدق بعضها بعضاً، حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم، ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة، والمتعلقين بالآثار، لا يعرفون ببدعة، ولا يُطعن فيهم بكذب، ولا يرمون بخلاف أهل الحق. مع أنه يجب على من له أدنى تمييز أن يرجع إلى واضحات الكتاب والسنة، ويقلد فيها خفي عليه بقدر الضرورة):

هذه أصول أهل السنة والجماعة، وهي ثلاثة:

الأول: كتاب الله تعالى.

الثاني: سنة رسول الله ﷺ.

الثالث: فهم السلف الصالح.

وإن شئت قلت: أصول الإسلام بلا مرية.

فَلَكُمْ حِثُّ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى هَذَا، قَالَ الْمَوْلَى جَل وَعَلَا: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

فالأول طاعة الله وهي باتباع كتابه، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الْعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحاف: ١٢].

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَالَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحاف: ٢٩-٣٢].

هذا وفي حديث جابر المشهور في الحج الذي رواه مسلم برقم (١٢١٨)، وفيه أن رسول الله ﷺ خطبهم فقال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اغْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ...» الحديث.

وروى مسلم برقم (٢٤٠٨) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِنَاءٍ يُدْعَى حُمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوْشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ، وَأَنَا تَارِكٌ

فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالتَّوْرُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ... » الحديث، وقد تقدم بطوله.

والثاني طاعة رسوله ﷺ وهي في اتباع سنته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾
[النساء: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٣٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
[الحشر: ٧].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».
رواه البخاري برقم (٧٢٨٠).

ولهذا فصل سيأتي إن شاء الله.

والثالث: فهم السلف وقد تقدم في موضعين.

قوله: (وقد يملأ أحدهم الأرض بتصانيفه، ولو في خدمة الكتاب والسنة، من التفسير والشرح لهما، وهو مع ذلك جاثم على ما اتفق له من التقليد، ساع في نصره مذهب إمامه، ولو بالتعسف، مطرح لقول الله ورسوله، مؤثر لما وجد عليه سلفه):

يقصد المؤلف بهذا ذم التقليد والبعد عنه.

والتقليد المذموم هو: قبول خبر من ليس بحجة بغير حجة.

فالحجة هو: رسول الله ﷺ، أو أمر لا يجوز خلافه، وهو الإجماع المنضبط.
وبغير حجة: أي بغير دليل شرعي.

قال الله جل في علاه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].
وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

والحق أن الأمر كما يقول المؤلف رحمه الله، فكم ترى من المقلدة ممن له صلة بالعلم وأهله، وهو في الحقيقة لا يُعَدُّ من أهل العلم.

قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ٧):

قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله.

وهذا كما قال أبو عمر رحمه الله تعالى، فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد.

فقد تضمن هذان الإجماعان: إخراج المتعصب بالهوى، والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء، وسقوطهما باستكمال من فوقهما الفروض من وراثة الأنبياء، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء؛ فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وكيف يكون من ورثة الرسول ﷺ من يجهد ويكدح في رد ما جاء به إلى قول مقلده ومتبوعه، ويضيع ساعات عمره في التعصب والهوى، ولا يشعر بتضييعه. اهـ.

وكم ترى من المقلدة من الحنفية، أو الشافعية، أو المالكية، أو الحنابلة، ممن قد ألف أو كتب؟ فضلًا عن غيرهم.

وتالله ليس بنافع لأحد رسوخ إمامه، ولا غيره، وإنما ينفعه عمله الصالح الموافق للكتاب والسنة، على فهم السلف بغير تقليد.

قال الشوكاني في فتح القدير (٤/ ٥٣٠):

وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه، فإن هؤلاء المقلدة في الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم، ويتبعون آثارهم، ويقتدون بهم، فإذا رام الداعي إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة، أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها، وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نير، ولا حجة واضحة، بل بمجرد قال وقيل،

لشبهة داحضة، وحجة زائفة، ومقالة باطلة، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، أو بما يلاقي معناه معنى ذلك، فإن قال لهم الداعي إلى الحق: قد جمعنا الملة الإسلامية، وشملنا هذا الدين المحمدي، ولم يتعبدنا الله، ولا تعبدكم، وتعبد آباءكم من قبلكم إلا بكتابه الذي أنزله على رسوله، وبما صحَّ عن رسوله ﷺ فإنه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه، فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله، وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فإن الرد إليهما أهدى لنا ولكم من الرد إلى ما قاله أسلافكم، ودرج عليه آباؤكم، نفروا نفور الوحوش، ورموا الداعي لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر، كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، ولا قوله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فإن قال لهم القائل: هذا العالم الذي تقتدون به، وتتبعون أقواله هو مثلكم في كونه متعبداً بكتاب الله، وسنة رسوله، مطلوباً منه ما هو مطلوب منكم، وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل، فذلك رخصة له لا يحل أن يتبعه غيره عليها، ولا يجوز له العمل بها، وقد وجدوا الدليل الذي لم يجده، وها أنا أوجدكموه في كتاب الله، أو فيما صحَّ من سنة رسوله، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم. قالوا: لا نعمل بهذا، ولا سمع لك، ولا طاعة، ووجدوا في صدورهم أعظم الحرج من

حكم الكتاب، والسنة، ولم يسلموا ذلك، ولا أذعنوا له، وقد وهب لهم الشيطان عصي يتوكلون عليها عند أن يسمعوها من يدعوهم إلى الكتاب والسنة، وهي أنهم يقولون:

إن إمامنا الذي قلدناه واقتدينا به أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصورًا عظيمًا؛ بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به في وجوههم. اهـ.

وللشوكاني رحمه الله كتاب القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.

قوله: (ولا ينكر هذا إلا مغموور في الغفلة والجهل، أو معاند لا يطلب منه المحاكمة إلا بين يدي الله سبحانه).

ولو هاب كتاب الله، أو حظي بلمعة من الإيوان الصادق، أو شمة من الإخلاص، أو مذقة من الخوف، لعرف وأنصف.

أخرج أهل السنن والمسائيد والمعاجم عن عدي بن حاتم قال: رأيت النبي ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخِذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا شيئًا أحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه»:

رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٤ رقم ١٦٦٣١-١٦٦٣٣)، والترمذي برقم (٣٠٩٥)، وابن أبي حاتم (١٧٨٤/٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١٠٦/٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٦/١٠).

من طريق عبدالسلام بن حرب الملائي عن غطيف بن أعين الجزري عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم. فذكره.

وقال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. اهـ

قلت: وقد روى عن غطيف إسحاق بن أبي فروة، وعبدالسلام بن حرب، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وضعفه الدارقطني كما في «تهذيب التهذيب». فغطيف مجهول عين؛ لأن إسحاق متروك.

وله شاهد من حديث حذيفة موقوفاً، رواه ابن جرير (١٤/رقم ١٦٦٣٤ - ١٦٦٣٦ و ١٦٦٣٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٦/١٧٨٤)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/١١٦) من طريق حبيب ابن أبي ثابت، عن أبي البختري، عن حذيفة.

وحبيب مدلس، لكن قد تابعه عطاء بن السائب، عند ابن جرير (١٤/رقم ١٦٦٤٣) عن أبي البختري، عن حذيفة. فذكره.

لكن رواية أبي البختري (سعيد بن فيروز) عن حذيفة مرسله، كما في «تحفة التحصيل» (ص ١٢٧).

وله شاهد من قول ابن عباس، رواه ابن جرير (١٤/رقم ١٦٦٤١) قال: حدثني ابن الحسين قال: حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط عن السدي: ﴿اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُءُوبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال عبدالله بن عباس: لم

يأمرهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمرهم بمعصية الله فأطاعوهم، فساهم الله بذلك أربابًا.

أثر حسن.

وله طريق أخرى عن ابن عباس، عند ابن جرير (١٤/ رقم ١٦٦٤٠) بسلسلة العوفيين، وهي ضعيفة.

وعلى هذا القول تفاسير السلف للآية.

وقد حسنه العلامة الألباني مرفوعًا قي غاية المرام (ص ٢٠) وصحيح الترمذي.

ولا يبعد تصحيحه فقد ذكر الحافظ في النكت على ابن الصلاح (ص ٥٣٠ -

٥٣٢): أن تفسير الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه، ولا منقول عن لسان العرب له حكم الرفع، على خلاف في ذلك والله أعلم.

تنبيه: عزو المصنف الحديث لأصحاب السنن والمسانيد والمعاجم فيه تعقب،

وقد رأيت من أخرجه.

قوله: (وظاهر هذا أنه ليس سواء إحسان الظن بهم، والاطمئنان إليهم،

والاستغناء بكلامهم عن كلام الله وكلام رسله.

وقالوا: هم أخص منا وأرسخ به.

وتعصب كل لمتبوعه، وصاروا فرقًا متفرقة وأحزابًا متحزبة):

وما أكثر الفرق والأحزاب اليوم وقد حذر ربنا جل وعلا من ذلك، قال تعالى:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿الرُّوم: ٣١-٣٢﴾.

بل هو وصف للمشركين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فالأحزاب الموجودة اليوم هي طريقة يهودية غريبة لا تخدم الإسلام بشيء بل هي ند له، والواجب أن يكون المسلمون جميعًا حزبًا واحدًا هو حب الله، قال تعالى: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وتلك الأحزاب المتحزبة والفرق المتفرقة هم من حزب الشيطان، ولو كانت هذه الأحزاب والفرق ألوفًا مؤلفة، قال الله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].
وأم فرق التحزب في هذا العصر الثانية: فرقة الإخوان المسلمين.

هذه الفرقة تعتبر كالأم لفرق الضلال العصرية، حيث أنها تضم أكثر بدع الفرق العصرية، وما من فرقة أحدثت في العصر إلا وتجدها فرعًا عن الإخوان المسلمين، وتستمد أفكارها منها، ومن قيادتها.

فتجد هذه الفرقة الظالم أهلها، توالي جميع فرق الضلال؛ ضد الحق، لمصالح شخصية أو سياسية.

وأما الفرق القديمة فقد تقدم ما يتعلق بها كل في موضعه.

قوله: (وسلكت هذه الأمة مسلك الأمم الماضية حذو النعل بالنعل):

هذا اللفظ ورد في حديث عبد الله بن عمرو:

رواه الترمذي برقم (٢٦٤١)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٦٠)،

والآجري في «الشرعة» برقم (٢٣ و ٢٤ و ٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (١/ ١٢٨ -

١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم

(١٤٦ و ١٤٧) من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي عن عبد الله بن يزيد،

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى

على بني إسرائيل، حذوا النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان

في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل...» الحديث.

والحديث ضعيف من أجل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيف.

لكن في معناه أحاديث كثيرة منها:

حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ

شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ».

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».

رواه البخاري برقم (٣٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٦٦٩).

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى

تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ

كَفَارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ».

رواه البخاري برقم (٧٣١٩).

قوله: (وقد تواترت أحاديث الافتراق تواتراً معنوياً، وهو من المعجزات النبوية):

سياقي تخريج أحاديث الافتراق حيث يذكرها المؤلف.
قوله: (ولم يحمل على هذا في الأمم الخالية وفي هذه الأمة إلا حب الدنيا من الجاه، وجمع الخطام، وإسعاف المرام، وإنجاح الحاجات، وطيب العيش، والمرافق الدنيوية وأهوية النفس الأمانة بالسوء):

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِيدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزَيْتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالِحَ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ ثُمَّ قَالَ: «أَظَنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِبَنِيٍّ مِنَ الْبَحْرَيْنِ» فَقَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «فَابْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ».

رواه البخاري برقم (٣١٥٨) ومسلم برقم (٢٩٦١).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسٌ وَالرُّومُ أَيْ قَوْمٌ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَبَاغِضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ».

رواه مسلم برقم (٢٩٦٢).

قوله: (وقد رأينا ذلك، وجربناه في كثير من الأحياء، يلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون، ويسلكون الطريقة الموصلة إلى ما ينفق عند الناس، ويدعون ما يوصل إلى حقائق الحق. فإياك أن تعدل الخلق بربك وتؤثرهم عليه): هذا واقع عايشه المؤلف، وهو ملموس قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

فكثير ممن انتسب للدعوة والله ما له هم سوى إشباع بطنه، أو إرواء غريزته. قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨].

وقال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]. وإرادة الدنيا بعمل الآخرة شرك أصغر، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وَعَنْ أَسْمَاءَ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي صَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَعْتُ مِنْ رَوْحِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُتَشَبِّعُ بِهَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٌ».

رواه البخاري برقم (٢٥١٩)، ومسلم برقم (٢١٣٠).

ورواه مسلم برقم (٢١٢٩) عن عائشة، وقد انتقده الدارقطني في التبع (ص ٥١٦-٥١٩)، والصواب حديث أسماء.

وعلاج هذا المرض الفتاك أمور أهمها:

الأول: الإخلاص لله تعالى، وقد تقدم.

الثاني: الإيمان بالقدر، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

وقد تقدم فصل في الإيمان بالقدر.

الثالث: العمل بالعلم الذي يحمله، وليعظ نفسه بما يعظ به غيره، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

قال الشاعر:

يا أيها المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام و ذي الضنا كيما يصح به وأنت سقيم

ابداً بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إذا وعظت ويقتدى بالرأي منك وينفع التعليم
قوله: (اللهم زيننا بزينة الإيمان الخالص، واجعلنا هداة مهدين، غير ضالين ولا
مضلين، سلمًا لأوليائك، وحرًا لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي
بعداوتك من خالفك، وأجرنا من مضلات الفتن، آمين يا أرحم الراحمين):
اللهم آمين.

اتباع السنة وترك البدع

قوله: (فصل. ومن السنة هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدل والخصومات في الدين والسنة):

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].
وقال الله عز وجل عن إبراهيم: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وقال تعالى عنه أيضًا: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعِزَّنَا لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَرَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صَدِقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

وبوب البخاري: باب ما يجوز من الهجران لمن عصى.
وعن كعب بن مالك، أَنَّهُ حَدَّثَ حَدِيثُهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: لَمْ أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاقَعْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَذِرٌ، وَإِنْ كَانَتْ بَذِرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبْرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهُ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَقُلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيُخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَخِيٍّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَعَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الشَّمَاوُ وَالظُّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِئَتْ أَغْدُو لَكِي أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَّادِي بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْحَدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ عَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَّادِي بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْجُلَ، فَأَذَرَكُهُمْ فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يَقْدَرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِئْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ أَوْ رَجُلًا مِّنْ عَدَرِ اللَّهِ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا

فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مَبِيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ» فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمَنَافِقُونَ.

فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَنِي، فَطَفِئْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرَجَ مِنْ سَخَطِهِ عَدَا، وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا رَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيُخْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْغَضَبِ ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَى»، فَجِئْتُ أُمَشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَقَكَ، أَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَغَتْ ظَهْرَكَ؟»

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُدْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ

حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ نَحْدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى اللَّهِ، وَاللَّهُ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ،
وَاللَّهُ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا
هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ».

فَقُمْتُ، وَنَارَ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلِمْةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي: وَاللَّهُ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ
ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ
إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتَغْفَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَكَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا
زَالُوا يُؤْتِبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، قَالَ: ثُمَّ
قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِي هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ، قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا
قُلْتَ: فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةَ
الْعَامِرِيُّ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بِدْرًا
فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، قَالَ: وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ
عَنْ كَلَامِنَا أَيْهَا الثَّلَاثَةِ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ: فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ.

وَقَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي
أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا
يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأُشْهِدُ الصَّلَاةَ
وَأُطَوِّفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي
مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بَرْدُ السَّلَامِ أَمْ لَا؟

ثُمَّ أَصَلَّى قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارَفُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفْتُ
نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى

تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
فَوَاللهَ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أُنَشِّدُكَ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحِبُّ اللهَ
وَرَسُولَهُ، قَالَ: فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ
أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا بَنِيٌّ مِنْ نَبِطِ أَهْلِ الشَّامِ يَمْنُ قَدِيمٍ بِالطَّعَامِ
يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟

قَالَ: فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ؛
وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ
يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ
أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَأَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهَا بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخُمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ
ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَطْلُقُهَا
أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟

قَالَ: لَا، بَلْ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ:
فَقُلْتُ لِأَمْرَأَتِي: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ:
فَجَاءَتْ أَمْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنِ
أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ، قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ»،
فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهَ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللهَ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ
إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

قَالَ: فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ، فَقَدْ أَذِنَ لِمَرْأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: لَا اسْتَأْذِنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قَالَ: فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكُمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُبِيٍّ عَنْ كَلَامِنَا.

قَالَ: ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، أَبَشِّرْ، قَالَ: فَخَرَزْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ: فَاذْنِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَتَزَعْتُ لَهُ تَوْبَةً فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ تَوْبَتَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمُّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ: لِيَهْنِئَكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ يُرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ».

قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ».

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَرَّ اسْتَتَارَ وَجْهَهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ».

قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، قَالَ: وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحْدِثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: وَاللَّهُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، وَقَالَ اللَّهُ:

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلَفَا أَيْمَانِ الثَّلَاثَةِ عَنْ أَمْرِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَىٰ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ بِمَا خُلِفْنَا تَخْلِفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِزْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ خَلَفَ لَهُ وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.

رواه البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم (٢٧٦٩) وهذا لفظه.
وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ».

رواه البخاري برقم (٤٥٤٧)، ومسلم برقم (٢٦٦٥).

وقد أسلفت عدة أقوال للسلف في ذلك، فلتراجع.

قوله: (وكل محدثة في الدين بدعة):

والمحدث في الدين كل ما فعل بعد موت الرسول ﷺ على غير مثال سابق.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَحَكُمْ وَمَسَاكُمْ» وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعٍ ضَلَالَةٌ».

رواه مسلم برقم (٨٦٧).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ».

رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

وفي رواية لمسلم (١٣٤٤/٣): «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

فكل عمل أضيف إلى دين الله تعالى تعبداً بغير دليل فهو بدعة ضلالة.

قوله: (وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم في أصول الدين وفروعه، كالرافضة والخوارج، والجهمية، والقدرية، والمرجئة، والكرامية، والمعتزلة،

فهذه فرق الضلالة وطرائق البدع):

تقدم التعريف بهذه الفرق كلها في مواطنه من الكتاب فلا داعي للإعادة هنا.

لكن بقي إضافة إلى كلام المؤلف رحمه الله ما يلي:

الأول: الصوفية:

وهي من أشر الفرق الضلالة، بل غلاتهم زنادقة؛ حيث يوجد عندهم الشرك

بحذافيره.

الثانية: فرقة الإخوان المسلمين.

هذه الفرقة تعتبر كالأم لفرق الضلال العصرية:

إما منهجًا:

وهذا ما هي عليه الآن؛ حيث أنها تضم أكثر بدع الفرق العصرية، وما من فرقة أُحْدِثَتْ في العصر إلا وتجدّها فرعًا عن الإخوان المسلمين، وتستمد أفكارها منها، ومن قيادتها.

وإما ولاء:

فتجد هذه الفرقة الظالم أهلها، توالي جميع فرق الضلال؛ ضد الحق، لمصالح شخصية أو سياسية.

وهؤلاء القوم في تصدّ عجيب ورد للحق، ودفاع عن الباطل الذي هم عليه، في مناهجهم، وما عليه قياداتهم.

قوله: (والاختلاف في الفروع شائع، كما في الطوائف الأربعة، والمختلفون فيه محمودون متابعون على اجتهادهم، ما لم يخالف النص، واختلافهم رحمة واسعة، إذا كان مبنياً على أدلة الكتاب والسنة، كاختلاف الصحابة فيما بينهم، وهم أسوة الأمة واتفاقهم حجة عند قوم):

بل الخلاف كله شر، وأما قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

فالمراد الإخبار بحال الناس أنهم مختلفون إلا الذين رحمهم الله وعافاهم من الاختلاف.

ولذلك خلقهم. أي: خلق الخلق للرحمة.

وكلام المصنف في اختلاف الأفهام، وهذا هو أيسر من اختلاف التضاد ويعذر المخالف في الأفهام وإلا فالحق واحد ويجب على الجميع اتباعه.

وأما حديث: «اختلاف أمتي رحمة» فقال العلامة الألباني رحمه الله في «الضعيفة» برقم (٥٧): لا أصل له.

قوله: (ثم من طريقهم اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، والمشي على ظاهر السنة وواضحها، واتباع سبل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار): تقدم الكلام على هذا.

قوله: (واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» إلى قوله: «وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»): الحديث صحيح، وقد تقدم تخريجه بتوسع بما أغنى عن إعادته هنا.

قوله: (ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]):

تقدم الكلام عليه.

قوله: (وخير الهدي هدي محمد ﷺ من هدي كل أحد سواه، سموأ أهل الكتاب والسنة وأهل الحديث والآثار):

هدي النبي ﷺ، وطريقته، واتباعه، كل هذا واحد تقدم قريبًا.

قوله: (والإجماع ما عليه أهل العلم من أقوال، وأعمال ظاهرة، وباطنة، مما له تعلق بالدين).

والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف، ولم يوجد إجماع على حده؛ ولهذا أنكره الإمام أحمد وغيره من أهل التحقيق):

الإجماع عرفه صاحب مراقبي السعود بقوله:

وهو الاتفاق من مجتهد الأمة من بعد وفاة أحمد

وقال العمريطي:

هو اتفاق كل أهل عصر أي علماء الفقه دون نكر

قوله: (وهم مع هذه الأصول يأمررون بالمعروف، وينهون عن المنكر، على ما توجهه الشريعة، ويحافظون على الجماعات والجمعة، ويدننون بالنصيحة للأمة، ولولاة الأمور):

تقدم بعض هذا الكلام في مواضع.

قوله: (ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً»

وشبك بين أصابعه):

الحديث رواه البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى رضي الله

عنه.

وقوله: «وشبك بين أصابعه» انفرد بها البخاري.

وقوله: (وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل

الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»):

الحديث رواه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير

رضي الله عنهما.

والمراد بهذين الحديثين أن أهل السنة والجماعة يقومون بواجب التعاون على

البر والتقوى، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وهكذا تظافر الجهود في الحق، وعدم الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وفي صحيح البخاري برقم (٢٤٤٤) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ».

ورواه مسلم برقم (٢٥٨٤) عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكما أن الناطق بالباطل شيطان ناطق، فالساكت عن الحق شيطان أخرص.

تأبى العصي إذا اجتمعن وإذا افرقن تكسرت أحادا

قوله: (ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء):

أما ما يتعلق بالصبر، والقضاء والقدر فقد تقدما.

وأما الشكر عند الرخاء فهو واجب، قال الله جل في علاه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وقال سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٢٧٣٤).

وَعَنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ: أَتَكْلَفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

رواه البخاري برقم (١١٣٠) ومسلم برقم (٢٨١٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطَرِ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

رواه البخاري برقم (٤٨٣٧) ومسلم برقم (٢٨٢٠).

وأدلة الباب كثيرة، أسأل الله أن يجعلنا من الشاكرين له، والمنيبين إليه.

قوله: (ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويقولون: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»، كما في الحديث):

الحديث صحيح، وقد صح عن جماعة من الصحابة:

الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٦٥٠ و ٤٧٢ و ٥٢٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٢٧) و (١١/ ٢٧-٢٨)، وفي «الإيمان» برقم (١٧ و ١٨ و ٢٠)، وأبوداود برقم (٤٦٨٢)، والترمذي برقم (١١٦٢)، والدارمي برقم (٢٨٣٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (٤٤٣٠)، والحاكم في «المستدرک» (٣/ ١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٢)، وفي «شعب الإيمان» برقم (٢٦ و ٢٧ و ٧٩٧٧ و ٧٩٨١ و ٧٩٨٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٤٧٩ و ٤١٧٦)، والطبراني في «الأوسط» برقم (٤٤١٧)، والآجري في «الشریعة» برقم (٢٣٣ و ٢٣٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» برقم (١٢٤٤ و ١٢٩١)، وأبونعيم في «الحلية» (٩/ ٢٤٨) عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ به.

وهو صحيح.

الثاني: حديث عائشة رضي الله عنها:

رواه أحمد (٦/ ٤٧ و ٩٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٢٧)، وفي «الإيمان» برقم (١٩)، والترمذي برقم (٢٦١٢)، والنسائي في «الكبرى» برقم

(٩١٥٤)، والحاكم في «المستدرک» (٥٣/١)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٧٩٨٣).

وقال الترمذي عقبه: هذا حديث صحيح، ولا نعرف لأبي قلابة سماعاً من عائشة.

ورواه البخاري في «التاريخ» (٢٧٢/٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٧٩٨٣)

من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة به.

ثم قال البيهقي عقبه: قال أبو عبد الله - وهو محمد بن يحيى -: أرجو أن يكونا محفوظين عن أبي هريرة، وعائشة. والذي تؤكد ما قال محمد بن يحيى الذهلي مرسل أبي قلابة عن عائشة. اهـ.

ومحمد بن يحيى الذهلي أحد رجال السند، فالحديث حسن.

الثالث: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٤١٩)، وفي «الصغير» برقم (٦٠٥)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٧٩٨٤) من طريق يعقوب بن أبي عباد، عن محمد بن عيينة، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد به.

وقال الطبراني عقبه في «الأوسط»: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن عيينة إلا يعقوب بن أبي عباد.

وقال البيهقي عقبه: تفرد به يعقوب بهذا الإسناد. اهـ.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨ / ٢١): وفيه يعقوب بن أبي عباد القلزمي لم أعرفه. اهـ.

وسقطت كلمة «ابن» من لفظة «ابن عيينة» عند الطبراني في «الأوسط».
 ويعقوب بن أبي عباد القلزمي، هو: يعقوب بن إسحاق بن أبي عباد العبدي
 المكي البصري، ثم القلزمي. مترجم في «الأنساب» للسمعاني (٤ / ٥٣٦).
 وقال السمعي: وكان ثقة. وقال: قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»
 (٩ / ٢٠٣): سألت أبي عنه، فقال: كان يسكن قلزم، قدمت قلزم وهو غائب فلم
 أكتب عنه، ومحله الصدق لا بأس به. اهـ، ونقل كلامه السمعي.
 فحديث أبي سعيد حسن.

الرابع: حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما:
 رواه البزار كما في «كشف الأستار» برقم (٣٤).
 وهو صحيح.

الخامس: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:
 عند أبي يعلى برقم (٤٢٤٠).

وفي سنده زربي، وهو ابن عبد الله أبو يحيى البصري، منكر الحديث. كما في
 «تهذيب التهذيب».

فحديث أنس ضعيف.

السادس: مرسل الحسن:

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١ / ٤٦-٤٧)، وهو مرسل.

وهذا الجانب (الأخلاق) من أهم الأبواب لأنه بسببه حصول الثواب بين الخلق، ونشر الفضيلة، وعكسه رذيلة - هو نفسه -.

ولذلك وصف الله تعالى نبيه - وكان نبيه ق- على أحسن الأخلاق، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفَ فِي وَجْهِهِ.

رواه البخاري برقم (٣٥٦٢) ومسلم برقم (٢٣٢٠)

والخلق الحسن من أفضل القربات، عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».

رواه أبو داود برقم (٤٧٩٩) والترمذي برقم (٢٠٠٢).

هذا حديث صحيح.

والأخلاق تشمل الدين كله مع الله سبحانه وتعالى، ومع رسوله ﷺ، ومع الخلق، وقد جمعت وصايا لقمان رحمه الله، آداباً كثيرة؛ مع الله سبحانه وتعالى، ومع رسوله ﷺ، ومع الخلق، قال الله جل في علاه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ

خَيْرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٣-١٩﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

ومن مكارم الأخلاق الجميلة: طلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، واحتماله منهم، والإيثار، وترك الاستئثار، والإنصاف، وترك الاستنصاف، وشكر التفضل، وإيجاد الراحة، والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه في الشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والأقرباء، والرفق بالناس، وإعانتهم وبرهم.

وإذا رأى من لا يقيم صلاته، أو طهارته، أو شيئاً من الواجبات عليه، أرشده بتلطف ورفق كما فعل رسول الله ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد^(١)، ومع معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة^(٢).

وأن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة، ويعمره بالأخلاق المرضية، فمن الأخلاق الرديئة: الغل، والحسد، والبغي، والغضب لغير الله تعالى، والغش، والكبر، والرئاء، والعجب، والسمعة، والبخل، والخبث، والبطر، والطمع، والفخر، والخيلاء، والتنافس في الدنيا، والمباهاة بها، والمداهنة، والتزين للناس،

(١) رواه البخاري برقم (٢٢١) ومسلم برقم (٤٨٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ قَبَالَ فِي طَائِفَةِ الْمَسْجِدِ، فَزَجَرَهُ النَّاسُ، فَهَاجَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأَهْرِيقَ عَلَيْهِ.

(٢) رواه مسلم برقم (٥٣٧).

وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس، والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحمية، والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغير الله، والغيبة، والنميمة، والبهتان، والكذب، والفحش في القول، واحتقار الناس، ولو كانوا دونه، فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة، والأخلاق الرذيلة؛ فإنها باب كل شر، بل هي الشر كله.

وقد يُليّ بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصفات، إلا من عصم الله تعالى، ولا سيما الحسد، والعجب، والرياء، واحتقار الناس، وأدوية هذه البلية مستوفى في كتب الرقائق.

يقال: ومن أدوية الحسد الفكر بأنه اعتراض على الله سبحانه وتعالى في حكمته المقتضية تخصيص المحسود بالنعمة كما قال الشاعر العربي:

فإن تغضبوا من قسمة الله بيننا فالله إذ لم يرضكم كان أبصرا
مع ما فيه من الغم، وتعب القلب وتعذيبه بما لا ضرر فيه على المحسود.
ومن أدوية العجب: يذكر أن علمه، وفهمه، وجودة ذهنه، وفصاحته، وغير ذلك من النعم فضل من الله عليه، وأمانة عنده ليرعاها حق رعايتها، وأن معطيه إياها قادر على سلبها منه في طرفة عين، كما سلب بلعام ما علمه في طرفة عين^(١)، وما ذلك على الله بعزيز: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

(١) روى النسائي في التفسير (١/ ٥١٠ رقم ٢١٣) عن ابن مسعود ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، قال: هو بلعام. وهذا إسناد صحيح.

ومن أدوية الرئاء: الفكر بأن الخلق كلهم لا يقدرّون على نفعه بها لم يقضه الله له، ولا على ضيره بها لم يقدره الله تعالى عليه، فلم يحبط عمله ويضير دينه، ويشغل نفسه بمراعاة من لا يملك له في الحقيقة نفعاً، ولا ضرراً، مع أن الله تعالى يطلعهم على نيته، وقبح سريره كما صح في الحديث: «من سمع سمع الله به، ومن رايا رايا الله به»^(١).

ومن أدوية احتقار الناس: تدبر قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١] الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، وربما كان المحتقر هو أظهر عن الله قلباً، وأزكى عملاً، وأخلص نية كما قيل:

إن الله تعالى أخفى ثلاثة في ثلاثة: وليه في عباده، ورضاه في طاعاته، وغضبه في معاصيه.

ومن الأخلاق المرضية: دوام التوبة، والإخلاص، واليقين، والتقوى، والصبر، والرضا، والقناعة، والزهد، والتوكل، والتفويض، وسلامة الباطن، وحسن الظن، والتجاوز، وحسن الخلق، ورؤية الإحسان، وشكر النعمة، والشفقة على خلق الله تعالى، والحياء من الله تعالى ومن الناس.

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٩٩) ومسلم برقم (٢٩٨٧) عن جندب.

ورواه مسلم برقم (٢٩٨٦) عن ابن عباس.

ومحبة الله تعالى: هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات كلها، وإنما تتحقق بمتابعة الرسول ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

انتهى بتصرف من تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم للإمام ابن جماعة رحمه الله (ص ٥٨-٦٢).

وفي كتاب الله عز وجل، وصحيح سنة رسول الله ﷺ غنية وكفاية لمن أراد الله له الهداية.

وقد ألفت في ذلك المؤلفات الكثيرة، في أخلاق السلف ما به السعادة والنجاة. ولسنا بحاجة إلى تكلفات العصرين، ولا أخلاق المائعين المزيفة.

قوله: (ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك).

وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفورها:

تكرر ذكر مكارم الأخلاق في أكثر من موضع من المؤلف رحمه الله؛ ولعله لما يراه من التقصير في ذلك، ولوأننا لو بسطنا في أدلة ذلك لحوى هذا الموضوع وحده مجلدات، وليس مقصوداً لنا.

قوله: (وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ق، لكن لما أخبر النبي أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحداً وهي الجماعة).

وفي حديث أنه قال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»: هذا وقد أسلف المؤلف نقلاً، ومتبنيًا لذلك، أن أهل السنة لا عدول لهم عن منهج الحق.

لذا فتعين أن تكون كل أفعالهم وفق الكتاب والسنة على فهم السلف؛ وهذا هو الإسلام الصحيح؛ ولذا صاروا غرباء بين فرق الإسلام الضالة. أما الحديث الذي استدل به المؤلف فهو حديث صحيح، وقد جاء عن جماعة من الصحابة:

الأول: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما:-

رواه الترمذي برقم (٢٦٤١)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٦٠)، والآجري في «الشرعة» برقم (٢٣ و ٢٤ و ٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٢٨-١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٤٦ و ١٤٧)

من طريق عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوا النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل...» الحديث.

وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم: ضعيف. وعبدالله بن يزيد هو أبو عبدالرحمن الحلبي ثقة، وصحابي.

الحديث: عبدالله بن عمرو بن العاص. لا كما قال المصنف: (عبد الله بن عمرو بن الخطاب).

والحديث ضعيف من أجل عبد الرحمن بن زياد.

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:-

رواه أحمد (٢/ ٣٣٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٦ و ٦٧)، وأبوداود برقم (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأبويعلى (٥٩١٠) و ٥٩٧٨ و (٦١١٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦٢٤٧ و ٦٧٣١)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٨) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً.. فذكره.

ومحمد بن عمرو هو ابن علقمة: حسن الحديث. فالحديث حسن، وليس عنده قوله «كلهم في النار... إلخ».

الثالث: حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه:-

رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ رقم ١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٤٩) من طريق عباد بن يوسف، ثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ. فذكره. إلا أنه قال: «الجماعة» بدل قوله: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وهو صحيح.

الرابع: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه:-

رواه أحمد (٣/ ١٢٠ و ١٤٥)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٤)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٤)، والآجري في «الشرعية» برقم (٢٧٢٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٤٨) عن أنس.. فذكره بدون ذكر زيادة «ما أنا عليه وأصحابي». وهو صحيح.

الخامس والسادس والسابع: حديث أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة رضي الله عنهم:

رواه الطبراني في الكبير (٨/ برقم ٧٦٥٩) من طريق كثير بن مروان الفلسطيني، عن عبد الله بن يزيد بن آدم، عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة، وأنس فذكر الحديث، وفيه هذه الزيادة.

وكثير بن مروان ضعيف جدًا، وقد كذبه ابن معين كما في تعجيل المنفعة، قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٢٥):

هو صاحب حديث المراء منكر الحديث جدًا لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب، ثم ذكر هذا الحديث في ترجمته مما أنكر عليه.

وعبد الله بن يزيد بن آدم، قال أحمد: أحاديثه موضوعة، وقال الجوزجاني: أحاديثه منكورة. كما في لسان الميزان.

الثامن: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:-

رواه محمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٥٧)، والآجري في «الشرعية» (٢٨) من طريق موسى بن عبيدة عن ابنة سعد عن أبيها.. فذكره، وموسى بن عبيدة، هو الربذي: ضعيف.

التاسع: حديث أبي أمامة رضي الله عنه:-

رواه ابن عاصم في «السنة» (٦٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/رقم ٨٠٣٥ و ٨٠٥١ و ٨٠٥٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٥١)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/١٨٨) من طريق أبي غالب عن أبي أمامة.. فذكره. وهو حسن.

العاشر: حديث معاوية رضي الله عنه:-

رواه أحمد (٤/١٠٢)، وأبوداود (٤٥٩٧)، والدارمي برقم (٢٥٦٠)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٢ و ٦٥ و ٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٤ و ٨٨٥)، وفي «مسند الشاميين» برقم (١٠٠٥) و (١٠٠٦)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٥٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٥٤١-٥٤٢) من طريق صفوان بن عمرو، حدثني أزهر بن عبدالله، عن أبي عامر عبدالله بن لحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان.. فذكره.

ووقع عند الدارمي: عن أبي عامر، عن عبدالله بن لحي، وزيادة عن بن أبي عامر وعبدالله بن لحي خطأ، وهو حسن من أجل أزهر، وبقية رجاله ثقات.

الحادي عشر: حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه:-

رواه الحاكم في «المستدرک» (١/١٢٩) من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده.. فذكره. وإسماعيل: ضعيف، وكثير: متروك، وأبوه: مجهول عين.

فحديث عمرو بن عوف ضعيف جدًا.

فالحديث صحيح، دون زيادة: «ما أنا عليه وأصحابي»، فهي ضعيفة وعمومات الأدلة الثابتة كلفظ «الجماعة»، وغيرها تدل على ما دلت عليه، والله أعلم.

قوله: (صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، وفيهم الصديقون والشهداء، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولى المناقب الماثورة، والفضائل المذكورة):

لأن أصولهم هي أصول الإسلام، وقواعدهم هي قواعد الإسلام الخالص الذي لم يدخله الدخيل، ولم يقبلوا التغيير أو التبديل.

بل هم حماة الإسلام، وخيرة الأنام، بالأفعال والكلام.

أما من لم يكن منهم، فقد تجارت بهم البدع والأهواء، وقد ذكرت في كتابي هذا جملة من فضائلهم منها ما تقدم في أول الكتاب عن عثمان بن أبي شيبة - وكان رأي بعض أصحاب الحديث يضربون - : أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم.

قوله: (وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»):

هذا الحديث جاء عن جماعة من الصحابة هم:

الأول: عَنْ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

رواه البخاري رقم (٣٦٤١)، ومسلم في كتاب الإمارة (١٠٣٧) - ١٧٤.

الثاني: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ».

رواه البخاري رقم (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).

الثالث: عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ».

رواه مسلم برقم (١٩٢٠).

الرابع: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عَصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

رواه مسلم برقم (١٩٢٢).

الخامس: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

رواه مسلم برقم (١٩٢٣).

السادس: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمُهْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ الْخَلْقِ هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَيَنْبَأُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسْهَا مَسَّ الْحَرِيرِ، فَلَا

تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبِضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ.

رواه مسلم برقم (١٩٢٤).

السابع: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

رواه مسلم برقم (١٩٢٥).

ولذا فنستفيد من هذه الأحاديث ما يلي:

الأول: أن الحق واحد، وأهله طائفة واحدة، وأعداؤه كثير، لاكثرهم الله.

الثاني: أن هذه الطائفة كانت موجودة في زمن رسول الله ﷺ من قوله: «لَا تَزَالُ»؛ فإن هذا اللفظ لا يُقال إلا فيمن يكون موجودًا.

الثالث: أن الحق منصور، ولو كثر مخذلوه.

الرابع: أن أهل الشر لن يتركوا أهل الخير، من العداء لهم.

الخامس: أن أهل البدع من المسلمين اثنتان وسبعين فرقة ضالة (من الحديث السابق في الافتراق).

السادس: أن هذه الطائفة ممتدة من زمن النبي ﷺ إلى قيام الساعة.

السابع: أن كل ما حدث من الفرق بعدُ فهو من الفرق الضالة.

الثامن: أن من خذَّل هذه الفرقة، أو عاداها فهو من فرق الضلال؛ كما في الحديث.

وغيرها من فوائد الحديث.

فصل في الاعتقاد بالكتاب والسنة

قوله: (فصل في الاعتقاد بالكتاب والسنة).

عن مالك أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ».

الحديث ضعيف، رواه مالك في «الموطأ» (٢/٨٩٩) أنه بلغه فذكره.

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الحاكم في «المستدرک» (٩٣/١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/٣٣١) من طريق داود بن عمرو الضبي قال: حدثنا صالح بن موسى الطلحي قال: حدثنا عبدالعزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ. فذكره.

وصالح بن موسى الطلحي متروك.

وله شاهد من حديث ابن عباس، رواه الحاكم (٩٣/١) من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه، عن ثور بن زيد الديلي، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: ... فذكره.

وإسماعيل وأبوه ضعيفان.

وله شاهد من حديث عمرو بن عوف، رواه ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/٣٣١)، وكثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف: متروك، وأبوه: مجهول عين.

فالحديث ضعيف.

قوله: (وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي، أحدهما من الآخر: وهو كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» أخرجه الترمذي):

الحديث صحيح، ورواه الترمذي برقم (٣٧٨٨) من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن أرقم.. فذكره.

ورواه النسائي في «الكبرى» برقم (٨١٤٨ و ٨٤٦٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٧٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٥٥٥)، والطبراني في «الكبير» (٥/ رقم ٤٩٦٩) من طريق أبي عوانة.

وزاد الطبراني: وسعيد بن عبد الكريم بن سليط، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.. فذكره.

وحبيب لم يسمع من أبي الطفيل ولا من زيد.

قال علي بن المدني: إنه لم يسمع من غير ابن عباس وعائشة من الصحابة، كما في «تحفة التحصيل» (ص ٦٠).

ورواه الحاكم (٣/ ١٠٩-١١٠) من طريق محمد بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.. فذكره. ومحمد بن سلمة بن كهيل قال الذهبي في «الضعفاء المتروكين»: وإياه.

ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٦٨١ و ٤٩٧١) من طريق بن عبد الله بن بكير الغنوي، عن حكيم بن جبير، عن أبي الطفيل، عن زيد.. فذكره.

وعبدالله بن بكير الغنوي قال الساجي: من أهل الصدق، ليس بقوي، وذكر له ابن عدي مناكير كما في «اللسان».

والحديث في «صحيح مسلم» برقم (٢٤٠٨) من طريق يزيد بن حيان، عن زيد.. فذكره وفيه: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي...».

وللفظ الذي ذكره المصنف شاهد من حديث أبي سعيد رواه ابن أبي شيبة (٥٠٦/١٠)، وأحمد (١٤/٣)، وابن أبي عاصم (١٥٥٤)، والترمذي برقم (٣٧٨٨)، وأبو يعلى (١٠٢١ و ١٠٢٧)، والطبراني في «الصغير» برقم (٣٦٣) من طريق عطية العوفي، عن أبي سعيد مرفوعاً.. فذكره.

وعطية وهو ابن سعيد العوفي: ضعيف، وشيعي، ومذلس.

وله شاهد من حديث علي، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٥٥٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (١٧٦٠) من طريق أبي عامر العقدي، عن كثير بن زيد عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي مرفوعاً.. فذكره. وهو حسن.

وله طريق أخرى عند البزار كما في «كشف الأستار» (٢٦١٢) من طريق الحارث الأعور عن علي. والجمهور على تكذيب الحارث.

وله شاهد من حديث جابر، رواه الترمذي برقم (٣٧٨٦)، والطبراني في «الكبير» (٣/رقم ٢٦٨٠) من طريق نصر بن عبدالرحمن الكوفي (شيخ الترمذي) عن زيد بن الحسن الأنطاقي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر مرفوعاً.. فذكره.

وزيد بن الحسن الأنطاقي قال أبو حاتم: منكر الحديث. كما في «تهذيب التهذيب».

وحديث جابر في «صحيح مسلم» (٨٨٦/٢-٨٩٠) برقم (١٢١٨-١٤٧) من طريق حاتم بن إسماعيل، عن جعفر به، ولم يذكر العترة، فزيادة العترة في حديث جابر منكرة.

وله شاهد من حديث زيد بن ثابت، رواه عبد بن حميد في «المنتخب» برقم (٢٤٠)، وأحمد في «المسند» (٥/١٨١-١٨٢ و ١٨٩-١٩٠)، وابن أبي عاصم برقم (٧٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٤٩٢١-٤٩٢٣) من طريق شريك، عن الركين بن الربيع، عن القاسم بن حسان، عن زيد مرفوعاً.. فذكره.

وشريك وهو ابن عبد الله القاضي: ضعيف. وبقية رجاله ثقات.

ورواه الطبراني في «الكبير» برقم (٤٩٧٠) من طريقين عن شريك، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد مرفوعاً.. فذكره.

ولعل هذا الاختلاف من أوهام شريك؛ لأنه سيء الحفظ. وحبيب لم يسمع من أبي الطفيل كما تقدم آنفاً.

وله شاهد من حديث حذيفة بن أسيد، رواه الطبراني في «الكبير» (٢٦٨٣ و ٣٠٥٢) من طريق زيد بن الحسن الأنطاقي، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن حذيفة مرفوعاً.. فذكره. وزيد بن الحسن تقدم قول أبي حاتم: أنه متروك.

فبالجملة الحديث صحيح، أما لفظ العترة فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة النبوية (٣١٨/٧):

وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة، وقال: إنها ليست من الحديث. والذين اعتقدوا صحتها قالوا: إنها يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون على ضلالة، وهذا قاله طائفة من أهل السنة، وهو من أجوبة القاضي أبي يعلى وغيره، والحديث الذي في مسلم إذا كان النبي ﷺ قد قاله فليس فيه إلا الوصية باتباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدمت الوصية به في حجة الوداع قبل ذلك، وهو لم يأمر باتباع العترة، لكن قال: أذكركم الله في أهل بيتي، وتذكير الأمة بهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم، وهذا أمر قد تقدم بيانه. اهـ.

وعلى صحتها وجهها العلامة الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٥٥-٣٦١ برقم ١٧٦١) بأوجه:

الأول: أن المراد بأهل البيت هم المتمسكون بالكتاب والسنة، وليس على ما يقصده الشيعة من صهره في أناس بأعيانهم، وإن كانوا من أضل الناس.

الثاني: أو العلماء منهم.

الثالث: أو طريقة الصالحين منهم. والله أعلم. اهـ بتصرف.

قوله: (وعن العرياض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟

قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». أخرجه أبو داود والترمذي.

ومعنى: «عضوا عليها»، أي: تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه):

تقدم تخريج الحديث، ومعناه بما أغنى عن إعادة ذلك هنا.

قوله: (وعن المقدم بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني - وهو متكئ على أريكته-، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرماناه؟!

وإن ما حرم رسول الله قكما حرم الله» أخرجه أبو داود والترمذي.

وزاد أبو داود في أوله: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»، وذكر بمعناه.

و«الأريكة»: السرير في الجملة، وقيل: هو كل ما اتكى عليه):

الحديث صحيح، رواه أحمد (٤/١٣٠-١٣١ و١٣٢)، وابن زنجويه في «الأموال» برقم (٦١٩)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي برقم (٢٦٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/٦٦٨-٦٧٠)، وفي «مسند الشاميين» (١٠٦١ و١٨٨١ و١٩٤٨)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/٢٠٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» رقم (١٢)، والدارقطني (٤/٢٨٧)، والبيهقي في «السنن» (٩/٣٣٢)، والدلائل (٦/٥٤٩)، والآجري في «الشريعة» (٩٧)، وابن عبد البر في «التمهيد»

(١٤٩/١-١٥٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» برقم (٢٦٢ و ٢٦٣) عن المقدام بن معدي كرب الكندي مرفوعاً فذكره.

وأوله عند أبي داود كما ذكر المصنف: «ألا إني أوتيت..»، وكذا عند أحمد وغيره.

هذا حديث صحيح.

وجاء من حديث أبي رافع، وهو صحيح، وسيأتي تخريجه قريباً إن شاء الله عند ذكر المصنف له.

قوله: (وعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلاً، والعشب الكثير، وكان منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها، وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان، لا تمسك ماء، ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله تعالى به، فعلمه وعلمه، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله تعالى الذي أرسلت به» رواه الشيخان):

الحديث رواه البخاري برقم (٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٨٢).

أما الغيث: فهو المطر.

وأما العشب، والكلاً، والحشيش: فكلها أسماء للنبات، لكن الحشيش مختص باليابس، والعشب والكلاً مقصورا مختصان بالرطب.

والكلأ بالهمز يقع على اليابس والرطب، وقال الخطابي وابن فارس: الكلأ يقع على اليابس، وهذا شاذ ضعيف.

وأما الأجادب: فبالجيم والبدال المهملة، وهي الأرض التي لا تنبت كلأ، وقال الخطابي: هي الأرض التي تمسك الماء فلا يسرع فيه النضوب.

قال ابن بطال وصاحب المطالع وآخرون: هو جمع جذب على غير قياس، كما قالوا في حسن: جمعه محاسن، والقياس أن محاسن جمع محسن، وكذا قالوا: مشابه جمع شبه، وقياسه أن يكون جمع مشبه، قال الخطابي وقال بعضهم أحادب بالحاء المهملة والبدال، قال: وليس بشيء، قال: وقال بعضهم: أجارد بالجير والراء والبدال، قال: وهو صحيح المعنى إن ساعدته الرواية. قال الأصمعي: الأجارد من الأرض ما لا ينبت الكلأ، معناه: أنها جرداء هزرة لا يسترها النبات، قال: وقال بعضهم: إنما هي إخاذات بالحاء والذال المعجمتين وبالألِف، وهو جمع إخاذة وهي الغدير الذي يمسك الماء، وذكر صاحب المطالع هذه الأوجه التي ذكرها الخطابي فجعلها روايات منقولة.

وقال القاضي في الشرح: لم يرد هذا الحرف في مسلم ولا في غيره إلا بالبدال المهملة، من الجذب الذي هو ضد الخصب، قال: وعليه شرح الشارحون.

وأما القيعان فبكسر القاف جمع القاع وهو الأرض المستوية، وقيل الملساء وقيل التي لا نبات فيها، وهذا هو المراد في هذا الحديث كما صرح به عليه السلام، ويجمع أيضًا على أقوع، وأقواع، والقيعة بكسر القاف بمعنى القاع، قال الأصمعي: قاعة الدار ساحتها.

وأما الفقه في اللغة فهو: الفهم يقال: منه فقه بكسر القاف يفقه فقهًا بفتحها، كفرح يفرح فرحًا وقيل المصدر فقهًا بإسكان القاف.

وأما الفقه الشرعي فقال صاحب العين والهروي وغيرهما: يقال منه فقه بضم القاف وقال ابن دريد: بكسرهما كالأول، والمراد بقوله عليه السلام «فقه في دين الله» هذا الثاني فيكون مضموم القاف على المشهور، وعلي قول ابن دريد بكسرهما، وقد روى بالوجهين والمشهور الضم.

وأما قوله عليه السلام «فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء» فهكذا هو في جميع نسخ مسلم طائفة طيبة، ووقع في البخاري: فكان منه نقية قبلت الماء بنون مفتوحة ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحت مشددة، وهو بمعنى طيبة هذا هو المشهور في روايات البخاري، ورواه الخطابي وغيره ثغبة بالثاء المثناة والغين المعجمة والباء الموحدة، قال الخطابي هو مستنقع الماء في الجبال والصخور، وهو الثغب أيضًا، وجمعه ثغبان، قال القاضي، وصاحب المطالع: هذه الرواية غلط من الناقلين، وتصحيح، وإحالة للمعنى لأنه إنما جعلت هذه الطائفة الأولى مثلًا، لما ينبت، والثغبة لا تثبت.

وأما قوله: «وسقوا» فقال أهل اللغة سقى وأسقى بمعنى لغتان، وقيل: سقاه ناوله ليشرب، وأسقاه جعل له سقيًا.

وأما قوله عليه السلام: «ورعوا» فهو بالراء من الرعي، هكذا هو في جميع نسخ مسلم، ووقع في البخاري: وزرعوا وكلاهما صحيح والله أعلم.

أما معاني الحديث ومقصوده: فهو تمثيل الهدى الذي جاء به عليه السلام بالغيث، ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع، وكذلك الناس، فالنوع الأول من الأرض يتنفع بالمطر فيحیی

بعد أن كان ميتاً، وينبت الكلاً فتنتفع بها الناس، والدواب، والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه، ويعمل به، ويعلمه غيره، فينتفع وينفع.

والنوع الثاني من الأرض: ما لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة، ولا رسوخ لهم في العقل، يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم أهل للنفع والانتفاع فيأخذه منهم فينتفع به فهو لاء نفعوا بها بلغهم.

والنوع الثالث من الأرض: السباخ التي لا تنبت ونحوها، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع بها غيرها.

وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة، ولا أفهام واعية، فاذا سمعوا العلم لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم. والله أعلم.

انتهى من شرح النووي على مسلم (٤٧ / ١٥).

قوله: (وعن ابن مسعود قال: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وإنما توعدون لآت، وما أنتم بمعجزين. رواه البخاري):

الحديث رواه البخاري برقم (٧٢٧٧).

قوله: (وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»).

أخرجه الشيخان وأبو داود.

وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ».

رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) -، ١٧ وأبو داود برقم (٤٦٠٦).

وفي صحيح مسلم برقم (١٧١٨) - ١٨ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وعلقه البخاري في موضعين:

الأول: في: ٣٤ - كتاب البيوع ٦٠ - باب النجش (٤/٤١٦).

الثاني: في: ٩٦ - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٢٠ - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم (١٣/٣٢٩)، من الفتح.

قوله: (وعن ابن عباس قال: من تعلم كتاب الله، ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة في الدنيا، ووقاه سوء الحساب في الآخرة):

ضعيف جداً، رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٨)، وفي الأوسط (٥/٣٣٢) مرفوعاً، وفي سننه محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وعمران بن أبي عمران، فيها كلام. وانظر الضعيفة (٤٥٣١).

قوله: (وعن عمر بن الخطاب قال: تُرْكُكُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ، لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا، كُونُوا عَلَى دِينِ الْأَعْرَابِ وَالْغُلَمَانِ فِي الْكِتَابِ):

ضعيف، ذكره ابن الأثير في جامع الأصول برقم (٨٢) بدون سند عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ينميه إلى عمر بن الخطاب أنه قال... فذكره، وعمر لم يدرك عمر فهو ضعيف.

قوله: (وعن علي بن أبي طالب قال: تركتم على الجادة: منهجاً عليه أم الكتاب. أخرجهما رزين):

أثر علي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول برقم (٨٣) بدون سند ورزين هو: رزين بن معاوية بن عمار أبو الحسن العبدري الأندلسي السرقسطي، الإمام المحدث الشهير، صاحب كتاب «تجريد الصحاح» توفي سنة ٥٣٥. راجع سير أعلام النبلاء (٢٠٤/٢٠٥-٢٠٥).

جمع في كتابه السابق بين «الموطأ» و«الصحاح الخمسة» وهو عمدة كتاب ابن الأثير «جامع الأصول» فرتبه وهذبه ابن الأثير في «جامع الأصول» كما قال ص (٤٩-٥٠): وكتاب رزين قال عنه الذهبي في «السير» (٢٠٥/٢٠٥): أدخل كتابه زيادات واهية، لو تنزه عنها لأجاد.

قوله: (وعن ابن مسعود أنه قال: من كان مستنّاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة).

أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله تعالى لصحبة نبهم ق، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. أخرجه رزين):

ضعيف رواه ابن عبد البر في «جامع العلم وفضله» برقم (١٨١٠) من طريق قتادة قال: قال ابن مسعود. فذكره.

وقتادة لم يسمع من ابن مسعود، وأيضًا في سنده: سنيد وهو ضعيف.

وجاء من قول ابن عمر، رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/٣٠٥٣٠٦) من طريق عمر بن نبهان، عن الحسن، عن عبد الله بن عمر.. فذكر نحوه. والحسن لم يصرح بالتحديث.

وقد قيل: إنه سمع من ابن عمر حديثًا. كما في «تحفة التحصيل» ص (٦٨). وعمر بن نبهان وهو العبدى: ضعيف جدًا. فهو ضعيف جدًا.

قوله: (وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»). رواه الترمذي:

صحيح بشواهده، رواه الترمذي برقم (٢٦٣٠)، وابن عدي في «الكامل» (٢٠٨٠/٦) من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحعة عن أبيه، عن جده فذكره،

وقال أبو عيسى الترمذي عقبه: هذا حديث حسن صحيح. اهـ.

وكثير: متروك، ومنهم من كذبه. ووالده عبد الله بن عمرو بن عوف: مجهول عين، لم يوثقه معتبر، وانفرد بالرواية عنه كثير، كما في تهذيب التهذيب.

فالحديث ضعيف جدًا.

ولبعض فقراته شواهد:

ففي «صحيح مسلم» برقم (١٤٦) عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمُسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا».

ورواه مسلم برقم (١٤٧) بلفظ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا».

ورواه مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه برقم (١٤٥).

فهو صحيح بهذه الشواهد دون زيادة «وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي».

وهذه الزيادة جاءت من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار كما في تحفة الأخيار بترتيب شرح مشكل الآثار برقم (٦٧١٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم (١٧٣)، والبيهقي في الزهد برقم (١٩٨)، وفي سنده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف، وأبو عياش وهو ابن النعمان الماعفري المصري مجهول حال.

وجاءت من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بمعناه عند أحمد (٢/١٧٧ و٢٢٢)، وابن المبارك في الزهد برقم (٧٧٥) وفي سنده ابن لهيعة ضعيف وجندب بن عبد الله الوالبي لم يرو عنه غير الحارث بن يزيد.

وقال العجلي: تابعي ثقة كما في تعجيل المنفعة.

فهي حسنة إن شاء الله، ولها شواهد عامة، والحمد لله.

قوله: (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا أبائكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم»). رواه مسلم:

رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم (٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» برقم (٢٩٥٤)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٢/٤١٢-٤١٣) من طريق أبي شريح عبدالرحمن بن شريح المعافري: أنه سمع شراحيل بن يزيد المعافري يقول: حدثني مسلم بن يسار وقال: سمعت أبا هريرة مرفوعاً.. فذكره.

ومسلم بن يسار وهو أبو عثمان الطنبذي: روى عنه جمع.
وقال الدارقطني: يعتبر به، وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.
قلت: وهو كذلك، فهو يعتبر ضعيفاً.

وشراحيل بن يزيد روى عنه جمع، ولم يوثقه معتبر، ولم يخرج له مسلم في «الصحيح» إنما روى له في «المقدمة» فهو: مجهول حال.

ومقدمة صحيح مسلم ليس لها شرط «صحيح مسلم» لأمر بيّنتها في مقدمة كتابي «عقود الجمان على اللؤلؤ والمرجان» وهو مطبوع.

لكن قد جاء عند البخاري برقم (٣٦٠٩)، ومسلم في كتاب الفتن (١٥٧) ٨٤ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله».

قوله: (وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها

تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

رواه مسلم:

رواه مسلم في «صحيحه» برقم (٥٠).

قوله: (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

رواه مسلم:

رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

قوله: (وعن أبي رافع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه».

رواه أحمد، وأبوداود، والترمذي، وابن ماجه، والبيهقي في «دلائل النبوة»:

صحيح، رواه أحمد (٦/١٠٨)، وأبوداود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)،

وابن ماجه (١٣)، والطبراني في «الكبير» (١/رقم ٩٣٤-٩٣٦)، و«الأوسط»

(٨٨٣٩)، والآجري في «الشريعة» (٩٤)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٠٨)،

والبيهقي في «السنن» (٧/٧٦)، و«دلائل النبوة» (١/٢٤) و(٦/٥٤٩)، وفي

«معرفة السنن والآثار» برقم (٥٠)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار»

(٤/٢٠٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/١٥٠-١٥١)، والخطيب في «الفتاوى»

والمتفقه» برقم (٢٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» برقم (١٠١) من طريق عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن النبي ﷺ.. فذكره.

هذا حديث صحيح.

قوله: (وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» رواه في «شرح السنة»):

ضعيف، رواه البغوي في «شرح السنة» برقم (١٠٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (١٥)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٩/٤)، وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني في «الأربعين البلدانية» برقم (٤٥)، وفي «معجم السفر» ص (٣٧٥) برقم (١٢٦٥)، والحسن بن سفيان في «الأربعين»، والهروي في «ذم الكلام»، وابن بطة في «الإبانة»، وابن عساكر في «طرق الأربعين»، كما في «ظلال الجنة» للشيخ الألباني رحمه الله (١٢/١-١٣).

من طريق نعيم بن حماد، عن عبد الوهاب الثقفي، عن هشام - وفي بعض الطرق أو غيره - عن محمد بن سيرين، عن عقبة بن أوس، عن عبد الله بن عمرو بن العاص به.

وهذا حديث ضعيف جداً، وبه عدة علل:

الأولى: ضعف نعيم بن حماد، وهو الخزاعي.

الثانية: الاختلاف على نعيم، فتارة يرويه عن الثقفي، عن هشام، وتارة يرويه عن الثقفي عن بعض مشايخنا هشام أو غيره. وعلى هذه الرواية يكون شيخ الثقفي غير معروف.

وتارة يرويه عن الثقفى عن بعض مشايخنا، حدثنا هشام أو غيره، فتكون الجهالة هنا في شيخه الثقفى، والمهم الجهالة بترده في الإسناد، كما قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٣٩٤-٣٩٥).

الثالثة: تفرد نعيم بهذا الحديث، كما في «جامع العلوم والحكم».

الرابعة: عقبه بن أوس لم يسمع من ابن عمرو، كما في «تحفة التحصيل».

تنبيه: صحابي الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وليس كما يقول المصنف عبد الله بن عمر بن الخطاب.

قوله: (قال النووي في «أربعينه»: هذا حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح):

هو كتاب: «الحجة على تارك المحجة» قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٣٩٣): يتضمن ذكر أصول الدين على قواعد الحديث والسنة. اهـ.

ومؤلفه هو: الإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود النابلسي المقدسي الفقيه الشافعي، ولد قبل سنة (٤١٠)، وتوفي سنة (٤٩٠) مترجم في «السير» (١٩/١٣٦-١٤٣).

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/٣٩٤): تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه... فذكرها. وقد ذكرناها فيما تقدم.

قوله: (وعن بلال بن الحارث المازني قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحى سنة من سنتي قد أمتت بعدي، فإنه له من الأجر مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص

من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه مثل أثام من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً».

رواه الترمذي وابن ماجه، عن كثير بن عبدالله بن عمرو، عن أبيه عن جده: سنده ضعيف جداً، وهو صحيح بشواهده:

رواه الترمذي برقم (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٢٠٩ و ٢١٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» مختصراً برقم (٤٢) من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده: أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: ... فذكره. والزيادة للترمذي.

ورواه البغوي في «شرح السنة» برقم (١١٠) من طريق كثير عن أبيه، عن جده، عن بلال بن الحارث أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وسلم.. فذكره. وهو ضعيف جداً، كثير متروك، ومنهم من كذبه، وأبوه: مجهول عين، كما تقدم قريباً.

لكن في صحيح مسلم برقم (٢٦٧٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً».

وحديث جرير بن عبد الله البجلي عند مسلم برقم (١٠١٧) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ

يَنْقُصُ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ.

قوله: (وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل تفترق عن ثنتين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة» قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».) رواه الترمذي:

الحديث صحيح دون زيادة «ما أنا عليه وأصحابي» وقد جاء عن جماعة من الصحابة:-

الأول: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: رواه الترمذي برقم (٢٦٤١)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٦٠)، والآجري في «الشرعية» برقم (٢٣ و ٢٤ و ٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (١/١٢٨-١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٤٦ و ١٤٧)

من طريق عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، حذوا النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل...» الحديث.

وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم: ضعيف، وعبدالله بن يزيد هو أبو عبدالرحمن الحلبي ثقة. وصحابي.

الحديث: عبدالله بن عمرو بن العاص، لا كما قال المصنف: (عبد الله بن عمرو بن الخطاب).

والحديث ضعيف من أجل عبد الرحمن بن زياد.

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

رواه أحمد (٣٣٢/٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٦ و٦٧)، وأبوداود برقم (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأبويعلى (٥٩١٠) و٥٩٧٨ و٦١١٧، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦٢٤٧ و٦٧٣١)، والحاكم (١٢٨/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٨/١٠) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً.. فذكره.

ومحمد بن عمرو هو ابن علقمة: حسن الحديث. فالحديث حسن، وليس عنده قوله (كلهم في النار... الخ).

الثالث: حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه:

رواه ابن ماجه برقم (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ برقم ١٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٤٩) من طريق عباد بن يوسف، ثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ.. فذكره. إلا أنه قال: «الجماعة» بدل قوله: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

صحيح.

الرابع: حديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ رواه أحمد (٣/ ١٢٠ و ١٤٥)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٤)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٤)، والآجري في «الشرعية» رقم (٢٧ ٢٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٤٨) عن أنس.. فذكره بدون ذكر زيادة «ما أنا عليه وأصحابي». وهو صحيح.

الخامس والسادس والسابع: حديث أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة رضي الله عنهم:

رواه الطبراني في الكبير (٨/ برقم ٧٦٥٩) من طريق كثير بن مروان الفلسطيني عن عبد الله بن يزيد بن آدم، عن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة، وأنس فذكر الحديث وفيه هذه الزيادة.

وكثير بن مروان ضعيف جداً، وقد كذبه ابن معين كما في تعجيل المنفعة، قال ابن حبان في المجروحين (٢/ ٢٢٥):

(هو صاحب حديث المراء منكر الحديث جداً لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب)، ثم ذكر هذا الحديث في ترجمته مما أنكر عليه. وعبد الله بن يزيد بن آدم، قال أحمد: أحاديثه موضوعة، وقال الجوزجاني: أحاديثه منكورة. كما في لسان الميزان.

الثامن: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

رواه محمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٥٧)، والآجري في «الشرعية» (٢٨) من طريق موسى بن عبيدة، عن ابنة سعد، عن أبيها.. فذكره.

وموسى بن عبيدة، هو الربذي: ضعيف.

التاسع: حديث أبي أمانة رضي الله عنه:

رواه ابن عاصم في «السنة» (٦٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» برقم (٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ برقم ٨٠٣٥ و ٨٠٥١ و ٨٠٥٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٥١)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ١٨٨) من طريق أبي غالب عن أبي أمانة.. فذكره. وهو حسن.

العاشر: حديث معاوية رضي الله عنه:

رواه أحمد (٤/ ١٠٢)، وأبوداود (٤٥٩٧)، والدارمي برقم (٢٥٦٠)، ومحمد بن نصر المروزي في «السنة» (٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٦٥ و ٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٤ و ٨٨٥)، وفي «مسند الشاميين» برقم (١٠٠٥) و (١٠٠٦)، والحاكم في «المستدرک» (١/ ١٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٥٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٥٤١-٥٤٢) من طريق صفوان بن عمرو، حدثني أزهر بن عبدالله، عن أبي عامر عبدالله بن لحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان.. فذكره.

ووقع عند الدارمي: عن أبي عامر عن عبدالله بن لحي.

وزيادة عن بن أبي عامر وعبدالله بن لحي خطأ، وهو حسن. من أجل أزهر، وبقية رجاله ثقات.

الحادي عشر: حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه:

رواه الحاكم في «المستدرک» (١/ ١٢٩) من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده.. فذكره.

وإسماعيل: ضعيف، وكثير: متروك، وأبوه: مجهول عين.

فحديث عمرو بن عوف ضعيف جداً.

فالحديث صحيح دون زيادة «ما أنا عليه وأصحابي» فهي ضعيفة، وعمومات الأدلة الثابتة كلفظ «الجماعة» وغيرها، تدل على ما دلت عليه والله أعلم.

قوله: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد».

رواه البيهقي في كتاب «الزهد» له من حديث ابن عباس):

ضعيف. أما حديث أبي هريرة، رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٥٤١٠)، ومن طريقه أبونعيم في «الحلية» (٨/ ٢٠٠) قال الطبراني: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا محمد بن صالح العدوي قال: حدثنا عبدالمجيد بن عبدالعزيز، عن أبيه، عن عطاء، عن أبي هريرة مرفوعاً.. فذكره، بلفظ: «فله أجر شهيد» بدل: «مائة شهيد».

وقال الطبراني عقبه: لا يروي هذا الحديث عن عطاء إلا عبدالعزيز بن أبي رواد. تفرد به ابنه عبدالمجيد، وقال أبونعيم: غريب من حديث عبد العزيز.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٢): فيه محمد بن صالح العدوي، ولم أر من ترجمه، وبقي رجاله ثقات. اهـ

فحديث أبي هريرة ضعيف.

وأما حديث ابن عباس، فرواه البيهقي في «الزهد» برقم (٢٠٧)، وابن عدي في «الكامل» (٧٣٩/٢)، وابن بشران من «الأمالي» برقم (٥٠٣ و ٧٠١) من طريق الحسن بن قتيبة، ثنا عبد الخالق بن المنذر، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد».

والحسن بن قتيبة أبو علي المدائني.

قال الدارقطني: متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال الأزدي: واهي الحديث، وقال العقيلي: كثير الوهم، وقال الذهبي: هالك. كما في «الميزان». وشيخه عبد الخالق بن المنذر، قال الذهبي في الميزان: لا يعرف. فالحديث ضعيف جدًا.

قوله: (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا».

رواه الترمذي):

ضعيف، رواه الترمذي برقم (٢٢٦٧)، وتمام في «الفوائد» كما في «الروض البسام» بتخريج وترتيب فوائد تمام» (١٣٩/٥) برقم (١٧٢١)، وأبونعيم في «الحلية» (٣١٦/٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢٤٨٣/٧)، ومن طريقه السهمي في «تاريخ جرجان» برقم (٩٢٦).

من طريق نعيم بن حماد نا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة فذكره.

وقال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد، عن سفيان به.

وقد ذكره ابن عدي في مناكير نعيم بن حماد. ونعيم بن حماد ضعيف.

وقد قال النسائي: هذا حديث منكر، رواه نعيم بن حماد وليس بثقة كما في «العلل المتناهية» لابن الجوزي (٢/٣٦٩).

وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/٤٢٩) وقال أبو حاتم: هذا عندي خطأ، رواه جرير وموسى بن أعين عن ليث عن معروف عن الحسن عن النبي قمرسل. اهـ.

ورواه أبو عمرو الداني في «الفتن» برقم (٢٢٩) من طريق ليث بن أبي سليم عن معاوية عن الحسن فذكره.

وليث ضعيف لاختلاطه، ومراسيل الحسن البصري من أضعف المراسيل. وله شاهد من حديث أبي ذر رضي الله عنه:

رواه أحمد (٥/١٥٥) من طريق مؤمل، وهو: ابن إسماعيل، عن حماد، عن حجاج بن أبي زياد الأسود، عن رجل، عن أبي ذر فذكره.

ومؤمل ضعيف، وكذا جهالة شيخ أبي الصديق علة أخرى، وقد رواه مؤمل عند البخاري في «التاريخ» (٢/٣٧٤) بنفس الإسناد وأسقط الواسطة بين أبي الصديق وأبي ذر.

ولعلها من تخليطات مؤمل؛ لأنه ضعيف.

ورواه البخاري في «التاريخ» (٣٧٤ / ٢) من طريق حجاج بن أبي زياد الأسود، عن أبي نضرة أو أبي الصديق - شك حجاج - عن أبي ذر.

وأبونضرة وهو المنذر بن مالك بن قطعة، لم يسمع من أبي ذر كما في «تحفة التحصيل» ص (٣١٧).

وأبو الصديق الناجي، هو: بكر بن عمرو توفي سنة (١٠٨)، وقد توفي أبوذر سنة (٣٢) ولم أر له رواية عنه وما أظنه لقيه.

ومع كون هذه الرواية على الشك أيضًا، فقد علقها البخاري في «تاريخه». فالحديث ضعيف.

قوله: (وعن غضيف بن الحارث الثمالي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحدث قوم بدعة، إلا رفع مثلها من السنة، فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة».) رواه أحمد:

ضعيف، رواه أحمد في «المسند» (١٠٥ / ٤)، والبزار كما في «كشف الأستار» برقم (١٣١)، وابن قانع في «معجم الصحابة» برقم (٨٥٥)، والمروزي في «السنة» (٩٩)، والطبراني في «الكبير» (١٨ / برقم ١٧٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٢ / ٤٨) من طريق أبي بكر بن عبدالله عن حبيب بن عبيد الرحبي عن غضيف بن الحارث الثمالي مرفوعًا.. فذكره.

وتصحف عند الطبراني «غضيف» إلى «عفيف».

وأبوبكر بن عبدالله وهو ابن أبي مريم: ضعيف جدًا، كما في «التهذيب»، وغضيف بن الحارث الثمالي، ويقال: غطيف بن الحارث اليماني أبو أسماء الحمصي

مختلف في ثبوت صحبته، كما في «الإصابة» (١٨٩/٥-١٩٠)، وقد عده في الصحابة البخاري، وابن أبي حاتم، والترمذي، وخليفة، وابن أبي خيثمة، والطبراني وغيرهم، كما في «الإصابة». وراجع «تاريخ دمشق» (٤٨/٦٩-٨١).
فالحديث ضعيف.

قوله: (وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرء صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام».

رواه البيهقي في «شعب الإيمان» مرسلًا:
بل معضلاً، رواه البيهقي في «شعب الإيمان» برقم (٩٤٦٤)، والهروي في «ذم الكلام» (٩٢٧) من طريق حسان بن إبراهيم الكرمانى عن محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم قال: قال رسول الله ﷺ.. فذكره.
ورواه اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) برقم (٢٧٣)، والهروي في «ذم الكلام» (٩٢٨) من طريق حسان به.. فذكره من قول إبراهيم، ولم يرفعه.

وهو حسن الإسناد. ولعل إبراهيم رواه على الوجهين، وإبراهيم بن ميسرة تابعي ثقة.

وجاء أيضًا عن أربعة من الصحابة:

الأول: حديث عائشة رضي الله عنها:

رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٦٧٦٨)، وابن عساكر في «التاريخ» (٤/١٤) و(٣٤٨/٤٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٧١/١)، وابن عدي

في «الكامل» (٧٣٦/٢)، وابن حبان في «المجروحين» (٢٣٥/١) من طريق الحسن بن يحيى الخثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.. فذكره.

والحسن بن يحيى: متروك، كما في «التهذيب» قاله الدارقطني، وقال ابن حبان في «المجروحين» (٢٣٦/١): إنه موضوع.

وله طريق أخرى عند الهروي في «ذم الكلام» برقم (٩٢٤) (١٣٢/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥٦/٢٦) من طريق أبي الفضل العباس بن يوسف الشكلي، وأحمد بن سفيان بن يحيى بن كبير، والليث عن هشام به.

وقال ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٣١٥/١):

وليس في إسناده من تكلم فيه كما قال بعض أشياخه. والله أعلم. اهـ.

وأبو الفضل العباسي بن يوسف الشكلي، ترجمه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥٣-١٥٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥٦/٢٦) روى عنه جمع، ولم يوثق إلا قول الخطيب: وكان صالحاً متنسكاً، وهي لا تفيد توثيقاً، فهو مستور الحال.

وأحمد بن سفيان هو المصري، كما بينه الهروي، ولم أر من ترجم له، ويحيى بن بكير هو يحيى بن عبدالله بن بكير: ثقة، وبقية رجاله ثقات.

الثاني: حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

رواه ابن عدي في «الكامل» (٤٩٨/٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات»

(٢٧٠/١) من طريق أبي عبيد بهلول بن عبيد الكندي، ثنا عبد الملك بن جريج

سمعت عطاء يذكر عن ابن عباس مرفوعاً.. فذكره.

وبهلول بن عبيد، منكر الحديث.

وقال ابن حبان: يسرق الحديث. وقال الحاكم: روى أحاديث موضوعة كما في «لسان الميزان».

فمثله لا يصلح، حتى في الشواهد. فحديث ابن عباس ضعيف جداً.

الثالث: حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنهما:

رواه أبونعيم في «الحلية» (٢١٨/٥)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/٢٧٠-٢٧١) من طريق محمد بن أحمد الواسطي، ثنا أحمد بن معاوية بن بكر، ثنا عيسى بن يونس، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عبدالله بن بسر.. فذكره.

وقال أبونعيم عقبه: غريب من حديث خالد تفرد به عيسى عن ثور. وتصحف عند ابن الجوزي «ابن بكر» إلى «عن بكر». وأحمد بن معاوية بن بكر. قال ابن عدي: حدث بالأباطيل، وكان يسرق الحديث، كما في «لسان الميزان» (٤١٧/١).

الرابع: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه:

رواه أبونعيم في «الحلية» (٩٧/٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/برقم ١٨٨)، والهروي في «ذم الكلام» برقم (٩٢٥) من طريق بقية بن الوليد، ثنا ثور بن يزيد، عن خالد، عن معاذ مرفوعاً.. فذكره بلفظ: «ما مشى إلى صاحب بدعة ليوقره..».

وقد تقدم أنه رواه عيسى بن يونس، فجعله من حديث عبدالله بن بسر.

وقال أبونعيم في «الحلية»: كذا رواه بقية، فقال: عن معاذ، ورواه عيسى بن

يونس، عن ثور، عن خالد، عن عبدالله بن بسر. اهـ.

قلت: وبقية يدلّس تدليس التسوية، وإن كان صرح في شيخه فإنه لم يصرح في شيخ شيخه.

وخالد بن معدان لم يسمع من معاذ، بل لم يدركه كما في «تحفة التحصيل» (ص ٩٣).

وهو مروى عن جماعة من السلف قولهم، كما في «ذم الكلام» للهروي.

قوله: (وعن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها».

رواه الدارقطني):

صحيح بمجموع طرقه، وقد جاء عن سبعة:

الأول: حديث أبي ثعلبة:

رواه الدارقطني في «سننه» (٤/١٨٣-١٨٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/٥٨٩)، وفي «مسند الشاميين» برقم (٣٤٩٢)، والخطيب في «الفيح» والمتفق» برقم (٦٣٠)، والحاكم (٤/١١٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١٢١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/١٧)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله برقم (٢٠١٢).

من طريق داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة مرفوعًا.. فذكره.

إلا إنه عند الطبراني «غفل» بدل «سكت».

ومكحول أبو عبدالله الشامي ثقة كثير الإرسال، ولم يسمع من أبي ثعلبة كما في «تحفة التحصيل».

وأما قول صاحب تحفة التحصيل إن روايته عنه في «صحيح مسلم»، ثم عقبه بقول المزي: يقال مرسل.

قلت: نعم، لكن لم يعتمد روايته مسلم إنما ذكرها في المتابعة. انظر «صحيح مسلم» (١٥٣٣/٣).

وجاء موقوفًا على أبي ثعلبة:

رواه البيهقي (١٢/١٠) من طريق حفص بن غياث، عن داود به موقوفًا. وتابع حفصًا يزيد بن هارون وقد ذم. كما في «العلل» للدارقطني (٣٢٤/٦) فوقفاه.

وقد رواه إسحاق الأزرق عند الدارقطني، وعبدالرحيم بن سليمان عند الطبراني في «الكبير» و«مسند الشاميين»، وزهير بن إسحاق عن الخطيب في «الفقيه والمتفقه»، وعلي بن مسهر عند الحاكم والبيهقي.

وأبوبكر بن محمد عند أبي نعيم في «الحلية».

ومحمد بن فضيل عند ابن عبدالبر.

كلهم يروونه عن داود به مرفوعًا.

وقال الدارقطني في «العلل» (٣٢٤/٦): والأشبه بالصواب مرفوعًا، وهو

أشهر. اهـ.

قلت: وهو منقطع.

الثاني: حديث أبي الدرداء:

رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١٢٣)، والحاكم (٣٧٥/٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٢/١٠)

من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة، عن أبيه، عن أبي الدرداء مرفوعاً.. فذكره.
وهذا منقطع بين رجاء بن حيوة وأبي الدرداء، فقد قال الحافظ في «تهذيب التهذيب»: روايته عن أبي الدرداء مرسله.

وله طريق أخرى عند الطبراني في «الصغير» (١١١١)، وابن عدي في «الكامل» (٣٥٥/١).

من طريق أصرم بن حوشب، عن قرّة بن خالد، عن الضحّاك بن مزاحم، عن طاووس، عن أبي الدرداء.. فذكره مرفوعاً.

وقال ابن عدي بعد ذكره عدة أحاديث من طريق أصرم: وهذه الأحاديث بواطيل عن قرّة بن خالد كلها لا يحدث بها غير أصرم هذا. اهـ.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧١/١): وفيه أصرم بن حوشب، وهو متروك نسب إلى الوضع. اهـ.
وهو كذلك.

وله طريق أخرى عند الدارقطني في «السنن» (٢٩٧-٢٩٨) من طريق نهشل الخراساني عن الضحّاك به.

ونهشل متروك، وقد قال أبو سعيد النقاش: روى عن الضحّاك الموضوعات. اهـ من «تهذيب التهذيب».

فحديث أبي الدرداء أحسن طرقه الأولى منقطعة.

الثالث: حديث سلمان الفارسي:

رواه الترمذي برقم (١٧٢٦)، وابن ماجه برقم (٣٣٦٧)، والحاكم (١١٥/٤)، والبيهقي (١٠/١٢)، والطبراني في «الكبير» (٦/٦١٢٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/١٧٤)

من طريق سيف بن هارون البرجمي، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان مرفوعاً.. فذكره.

وقال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. وروى سفيان وغيره، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قوله، وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظاً.

روى سفيان، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان موقوفاً. اهـ. وكذا في «العلل الكبير» (٢/٧٢٢).

وسيف بن هارون ضعيف، وقد رجح أبوحاتم إرساله كما في «العلل» لابنه (١٠/٢).

وقد تابعه سفيان بن عيينة عند البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/١٢) بالشك في رفعه، قال: «أراه رفعه».

وظاهر سنده الصحة، لولا ما تقدم من كلام البخاري.

وله طريق أخرى عند الطبراني في «الكبير» (٦/ برقم ٦١٥٩)، وفي سننه
 عبدالغفار بن عبدالله الموصلي. ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥٤/ ٦)
 وقال: روى عنه إبراهيم بن يوسف الهسنجاني، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
 قلت: وروى عنه هذا الحديث الحسن بن علي المعمرى، فهو مجهول حال.
 والحسن بن علي المعمرى صدوق حافظ، ترجمته في «السير» و«اللسان».
 فحديث سلمان بهذه الطريق ضعيف يصلح في الشواهد.

الرابع: حديث ابن عباس:

رواه أبو داود برقم (٣٨٠٠)، والحاكم في «المستدرک» (٤/ ١١٥) من طريق أبي
 نعيم الفضل بن دكين، حدثنا محمد بن شريط المكي، عن عمرو بن دينار، عن أبي
 الشعثاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً نحوه.
 وهو موقوف صحيح.

الخامس: حديث ابن عمر:

رواه ابن عدي في «الکامل» (٧/ ٢٤٨١) من طريق نعيم بن مدرع بن توبة
 العنبري، عن ابن جريج، عن نافع، عن ابن عمر موقوفاً.. فذكره.
 ونعيم بن مورع.

قال النسائي: ليس بثقة، وقال فيه ابن عدي: ضعيف يسرق الحديث، وقال:
 عامة ما يرويه غير محفوظ كما في «اللسان».
 فحديث ابن عمر ضعيف جداً.

السادس: حديث عائشة:

وهو خطأ، ذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٥٢) قال: ورواه صالح المري، عن الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن عائشة، وأخطأ في إسناده. اهـ.

وصالح وهو ابن بشير المري متروك، كما في ترجمته من «التهذيب». والجريري وهو سعيد بن إياس ثقة، إلا أنه اختلط. فحديث عائشة ضعيف.

السابع: مرسل الحسن البصري.

رواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٧٤) قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره. وفي سنده حماد بن عبد الرحمن المالكي لم أجد له ترجمة.

فالحديث صحيح بمجموع طرقه، وقد حسنه النووي في «الأربعين».

وأثبت شيخ الإسلام صفة السكوت لله تعالى بهذا الحديث، وبالإجماع المستند على هذا الحديث.

قال رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٧٩):

فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت يكون تارة عن التكلم، وتارة عن إظهار الكلام وإعلامه... إلخ.

قوله: (وعن عبدالله بن الديلمي قال: بلغني أن أول ذهاب الدين ترك السنة، يذهب الدين سنةً سنةً كما يذهب الجبل قوة قوة).

رواه الترمذي):

صحيح من قول عبد الله بن فيروز الديلمي، ولم يروه الترمذي، ورواه الدارمي برقم (٩٨) قال:

أخبرنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عبد الله الديلمي، قال: بلغني.. فذكره.

وعبد الله هو ابن فيروز الديلمي: ثقة، من كبار التابعين.

ورواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٣٨٦)، وابن بطة في «الإبانة» برقم (٢٢٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» برقم (١٢٧) كلهم من طريق أبي إسحاق عن الأوزاعي، به. بدون ذكر قوله: «بلغني».

وأبو إسحاق هو الفزاري، اسمه إبراهيم بن محمد ثقة حافظ له تصانيف، وهو أرجح من أبي المغيرة، واسمه عبد القدوس ابن الحجاج الخولاني الحمصي ثقة. لكن خالفهما محمد بن كثير العبدى، كما في «الحلية» لأبي نعيم (١٤٤/٥)، فرواه عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني، عن عبد الله بن محيريز قال: يذهب الدين سنة سنة، كما يذهب الجبل قوة قوة.

ومحمد بن كثير قال ابن معين: لم يكن بثقة.

وقال أبو حاتم: صدوق، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: كان تقياً فاضلاً.

وضعه ابن قانع، وقال أحمد: ثقة، وقال سليمان بن قاسم: لا بأس به، وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة، لم يصب من ضعفه. اهـ.

قلت: فمثله لا يعدو أن يكون حسن الحديث، وأبو إسحاق أرجح منه.

فالراجح طريق أبي إسحاق أنه من قول عبد الله الديلمي بدون قوله: «بلغني».

ورواه أحمد في المسند (٢٣٢ / ٤) من طريق ضمرة، عن يحيى بن أبي عمرو، عن ابن فيروز، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لينقضن الإسلام عروة عروة، كما ينقضن الجبل قوة قوة».

وضمرة هو ابن ربيعة الفلسطيني أبو عبد الله الرملي صدوق يهيم قليلاً كما قال الحافظ في «التقريب».

والأوزاعي أرجح منه، فهذه الطريق شاذة، والصواب الطريق الثانية (من قول عبد الله بن فيروز الديلمي) وهو صحيح إليه.

قوله: (وعن ابن مسعود قال: ما سألتُمونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به، أو سنة من نبي الله أخبرناكم به، ولا طاقة لنا بما أحدثتم رواه الدرامي):

ضعيف، رواه الدارمي برقم (١٠٢) من طريق خالد بن عبد الله، عن عطاء، عن عامر، عن ابن مسعود.

وهو ضعيف، عامر وهو ابن شراحيل الشعبي لم يسمع من ابن مسعود، قاله أبو حاتم كما في «تحفة التحصيل» ص (١٦٤).

وعطاء هو ابن السائب: اختلط. ورواية خالد بن عبد الله وهو الواسطي عنه بعد الاختلاط، كما في «تهذيب التهذيب».

فالأثر ضعيف.

قوله: (قلت: هذه جملة مختصرة من الكتاب والسنة وآثار السلف، فالزمها، وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله وصالح سلف الأمة بما حصل من الاتفاق عليه من خيار الأمة، ودع أقوال من عداهم محقورًا مهجورًا، مبعّدًا مدحورًا، مذمومًا ملومًا. وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم، وجنحوا إلى اتباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل، فقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]:

ومن أراد المزيد فعليه بكتاب الله سبحانه وتعالى، وفي الصحيحين جملة من ذلك، وفي السنن والمسانيد، وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد، والشرعية للأجري، والإبانة لابن بطة، والسنة للخلال، ونظائر هذه الكتب النافعة.

قوله: (وقال رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء». رواه مسلم):

رواه مسلم برقم (١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه مسلم أيضًا عن ابن عمر برقم (١٤٦) بدون قوله: «فطوبى للغرباء» في

حديث ابن عمر.

قوله (ولنعم ما قيل:

إن القلوب يد الباري تقلبها

فنسأل الله توفيقًا وتثبيتًا

من يضل الله لا تهديه موعظة

وإن هديت فبالأخبار أنبيتا

فهذه غربة الإسلام أنت بها

فكن صبورًا ولو في الله أوديتا

فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والأثر، وأصحاب الرواية، وحملة

العلم النبوي.

فمن خالف شيئاً من هذه، أو طعن فيهم، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق):

وذلك أن المخالف لهذا راد للكتاب، والسنة، مخالف لطريقة السلف الصالح:

﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّوْنَ﴾ [يونس: ٣٢].

فمن لم يكن محققاً فهو مبطلٌ وربّي، ومن لم يكن مع أهل الحق فهو مع أهل الضلال لا محالة.

فكيف إذا كان راداً للحق جملة وتفصيلاً: ﴿كَأَلَّا نَعَامَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

تعليم الصبي هذه العقائد

قوله: (وما ذكرته من العقائد، ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه، ليحفظه، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره، شيئاً فشيئاً، ومن فضل الله على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان، من غير حاجة إلى حجة وبرهان، فلا بد من إثباته في نفس الصبي، والعامي، حتى يترسخ ولا يتزلزل):

فقد كان النبي ﷺ يعتني بتعليم الصبيان العقيدة؛ لأن صغار اليوم هم كبار الغد.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ قِيَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظْ اللَّهَ تَحُدُّهُ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

رواه الترمذي برقم (٢٥١٦) وغيره، وهو صحيح بطرقه.

وكما علل المؤلف؛ فإذا ثبت في نفس الصبي في صغره، صَعُبَ زحزحته عنه في كبره. قال رحمه الله: (وليس الطريق في تقويته وإثباته، أن يعلم صفة الكلام والجدال، بل يشتغل بتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومعانيه، ويشغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادة ووظائفها).

وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة، فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده، وما يفسده الكلام أكثر مما يصلحه، وقد كتبنا في ذم الكلام رسالة سميناهـا: «قصد السبيل في ذم الكلام والتأويل».

وناهيك بالعيان برهاناً فقس عقيدة أهل الصلاح والتقوى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين، ترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ، لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم الحائر بين اعتقاد وتقسيمات الجدل كخيـط مرسل في الهواء، تقلبه الرياح مرة هكذا، ومرة هكذا.

ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم يتضح له غيرها، ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد.

فأما البحث والتفتيش، وتكلف نظم الأدلة، فلم يكلفوا به أصلاً، إن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة، وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل، ولازم التقوى، ونهى عن الهوى، واشتغل بالرياضة والمجاهدة، انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة، ونور إلهي يقذف في قلبه، بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده عز وجل، حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

خاتمة الرسالة

قال رحمه الله: (خاتمت الرسالة. قد زعمتُ في هذه المسائل والأبحاث التي ذكرتها في هذه الرسالة، وفي رسائل أخرى أني لاحظت الحق ونصرته بجهدي، وتابعت الكتاب والسنة بحسب فهمي، وغاية ما عندي، وأضربت عن المقاولات والمراجعات، وطويت الكشف عن دفع الاعتراضات الباطلات، مع أني قصير الباع، قليل الاطلاع، فما أخطأت فيه من كلامي، وخالفت فيه واضح الكتاب وصريح السنة فعلى كل مسلم رده، والاجتناب عنه، ومتابعة الكتاب العزيز والسنة المطهرة دونه.

فإنما قصدي نصرتها، لا مخالفتها، فما أصبت فيه فمن الله سبحانه، وله فيه الحمد والمنة والشكر والثناء، وما أخطأت فيه، فالذنب فيه مني، ومن الشيطان، وعلي فيه البراءة منه والتوبة عنه، والاستغفار والتحذير.

وأشد الكراهة أن لا أفرق بين كراهة ما صدر مني من البدع والخلاف، وما صدر من غيري بناء على الإنصاف والاعتساف، بل يجب أن أكون أشد كراهة لما صدر مني؛ لأنه ذنب يضرني وأؤاخذ بسببه، وذنب غيري لا يضرني ولا أؤاخذ به.

والله سبحانه أسأل أن يسلمني من البدع والذنوب، ويغفر لي ما أخطأت فيه من الأصول والفروع، إنه واسع الغفران والرحمة، وهو حسبي وكفى في الآخرة والأولى.

والمحامي عن السنة المطهرة، والكتاب العزيز، والذاب عنها كالمجاهد في سبيل الله تعالى، وروح القدس مع من ذب عن دين الله، وستة نبيه، ونافع عنها من بعده إيماناً وحباً ونصحاً له، رجاء أن يكون من الخلف الصالح، الذين قال فيهم رسول الله

عليه السلام: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»:

الحديث ضعيف، وقد جاء عن جماعة:

الأول: مرسل عبد الرحمن العذري (وهو تابعي):

رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٧/٢)، وابن حبان في «الثقات» (١٠/٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢٥٦/٤)، وابن عدي في «الكامل» (١٥٣/١)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٩/١٠)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥٩/١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» برقم (٥٠)، والآجري في «الشرعية» برقم (٢١) من طريق معان بن رفاعة السلامي، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرفوعاً.. فذكره.

وقال العقيلي عقبه: ولا يعرف إلا به يعني معان بن رفاعة، وقد رواه قوم مرفوعاً من جهة لا تثبت.

ومعان بن رفاعة: لين الحديث كثير الإرسال قاله الحافظ في «التقريب». ومعان بن رفاعة قد اضطرب في الحديث، فتارة يرويه كما ترى عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلًا، وتارة يرويه، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة كما سيأتي.

ورواه عن القاسم بن عبد الرحمن كما في «شرف أصحاب الحديث» برقم (٥١)، وفيه: أن أحمد صحح الحديث، وهو ضعيف بجهالة شيخ الخطيب، إذ قال: «حُدِّثْتُ».

وإبراهيم بن عبدالرحمن العذري تابعي، مترجم في «الميزان» و«اللسان» و«الثقات» لابن حبان، ولم يذكروا في الرواة عنه سوى معان بن رفاعه، لكن قد روى عنه الوليد بن مسلم، كما سيأتي في الطريق التالية فهو مجهول حال.

ورواه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/٢٠٩) من طريق الوليد بن مسلم، ثنا إبراهيم بن عبدالرحمن، ثنا الثقة من أشياخنا قال: قال رسول الله ﷺ... نحوه.

فتوبع معان بن رفاعه، لكن بقيت العلة جهالة حال إبراهيم بن عبدالرحمن، وجهالة أشياخه.

فعلى كل هو مرسل ضعيف، وهو أحسن ما في الباب ولذا قدمته.

الثاني: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رواه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٢) قال: أنبأ محمد بن محمد الأشعث الكوفي، حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر بن محمد، ثنا أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي مرفوعاً.. فذكره.

ومحمد بن محمد [بن] الأشعث، قال ابن عدي: كتبت عنه بها يعني مصر، وحمله شدة تشييعه أن أخرج إلينا نسخة قريباً من ألف حديث وذكرها بهذه الطريق نفسها وقال: بخط طري عامتها مناكير.

وساق له ابن عدي جملة موضوعات. وقال الدارقطني: آية من آيات الله وضع ذلك الكتاب يعني العلويات. اهـ من «الميزان» بتصرف.

فحديث علي ضعيف جداً.

الثالث: حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

رواه ابن عدي في «الكامل» (١٥٢ / ١) من طريق خالد بن عمرو القرشي، ثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سالم، عن ابن عمر.. فذكره.
وخالد بن عمرو وهو الأموي القرشي كذبه ابن معين، واتهم بوضع الحديث، لاسيما روايته عن الليث، عن يزيد بن أبي حبيب. قاله ابن عدي.
وقال أحمد بن حنبل: أحاديثه موضوعة. كما في «تهذيب التهذيب».

الرابع: حديث جابر بن سمرة:

رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣١ / ١)، وفي سنده سعيد بن سماك بن حرب، قال أبو حاتم: متروك الحديث كما في «الميزان».
وعبد الملك بن عبد ربه الطائي منكر الحديث، وله عن الوليد بن مسلم خبر موضوع كما في «الميزان».

وهذا كافٍ في أن هذا الحديث ضعيف جدًا لا يصلح في الشواهد والمتابعات.

الخامس: حديث عبد الله بن عمرو:

رواه العقيلي في «الضعفاء» (٩١٠ / ١)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٥٩ / ١) من طريق خالد بن عمرو، عن الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة مرفوعًا.. فذكره وتصحف يزيد بن أبي حبيب عند العقيلي إلى يزيد بن أبي جبة.

ورواه البزار كما في «كشف الأستار» برقم (١٤٣)، وعنده: «ابن عمر» وتقدم في حديث عبدالله بن عمر: أن خالدًا رواه عن الليث، عن يزيد، عن سالم، عن ابن عمر.

وخالد تقدم أنه كذبه ابن معين، واتهم بوضع الحديث.

السادس: حديث أبي هريرة، وله ثلاث طرق:

١/ هذه التي تقدمت مقروناً مع عبدالله بن عمرو وهي ضعيفة جداً.

٢/ عند ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٢) قال: ثنا علي بن محمد بن حاتم، ثنا

محمد بن هشام بن عبدالكريم، [عن] داود بن سليمان الغساني المدني، ثنا مروان الفزاري، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة مرفوعاً.. فذكره.

وقال عقبه: ولم أر هذا الحديث لمروان الفزاري بهذا الإسناد إلا من هذا

الطريق. اهـ.

وسقطت أداة التحمل بين محمد بن هشام بن عبدالكريم وداود بن سليمان،

فأثبتناها، ورجاله الثلاثة الأول لم أر من ترجمهم.

٣/ عند ابن عدي في «الكامل» (١/ ١٥٣)، والخطيب في «شرف أصحاب

الحديث» برقم (٤٧)، و«الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» برقم (١٣٤) من

طريق سليمان بن عبدالرحمن، ثنا مسلمة بن علي، حدثني عبدالرحمن بن يزيد

السلمي، عن علي بن مسلم البكري، عن أبي صالح الأشعري، عن أبي هريرة

مرفوعاً.. فذكره.

وعبدالرحمن بن يزيد في «الكامل»: بريد، والتصويب من «تهذيب الكمال» (٢٧/٥٦٨)، و«شرف أصحاب الحديث».

وأبو صالح الأشعري في «التهذيب» اثنان، أحدهما: صدوق، والآخر مجهول. وقيل: هو واحد، لكن لم أر له رواية عن أبي هريرة.

وعلي بن مسلم البكري ترجمه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/٢٣٥-٢٣٦)، ولم يذكر في الرواة عنه سوى عبدالرحمن بن يزيد بن تميم، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، فهو مجهول عين.

وعبد الرحمن بن يزيد هو ابن تميم السلمي: ضعيف جداً، وهو للترك أقرب فقد تركه جماعة.

ومسلمة بن علي وهو الخشني: متروك.

وسليمان بن عبدالرحمن هو ابن عيسى أبو أيوب التميمي الدمشقي: حسن الحديث. فحديث أبي هريرة ضعيف جداً.

السابع: حديث أبي أمامة:

رواه ابن عدي في «الكامل» (١/١٥٣) قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن مسلم، ثنا الحسين بن أبي شعبة البزار الصقلاني، ثنا محمد بن عبدالعزيز الرملي، عن زهير بن عبدالله الألهاني، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبي أمامة مرفوعاً.. فذكره.

والقاسم بن عبدالرحمن: حسن الحديث، له غرائب.

وقوله: «زهير» صوابه: «رزيق»، وهو صدوق له أوهام.

ومحمد بن عبدالعزيز الرملي هو العمري، قال أبو زرعة: ليس بقوي، وقال أبو حاتم: أدركته ولم يقص لي السماع منه، كان عنده غرائب، ولم يكن عندهم بالمحمود، وهو الضعف ما هو.

وقال يعقوب بن سفيان: كان حافظاً.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: ربما بهم، ووثقه العجلي فهو ضعيف. والحسين بن أبي شعبة البزار الصقلاني: لم أجده ترجمه.

الثامن: حديث أسامة بن زيد:

رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» برقم (٤٨) من طريق محمد بن سليمان بن أبي كريمة، عن معان بن رفاعه، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة مرفوعاً.. فذكره.

ومحمد بن سليمان ضعفه أبو حاتم، وقال العقيلي: روى عن هشام بواطيل. اهـ من «لسان الميزان» (١٩٠ / ٥)، ثم إن رواية معان بن رفاعه تقدمت عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرفوعاً، وهي أرجح.

التاسع: حديث ابن مسعود:

رواه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» برقم (٤٩) بلفظ: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله»، وفي سنده أحمد بن يحيى بن زكير.

قال الدارقطني: ليس بشيء، كما في «لسان الميزان» (١ / ٤٣٠).

ومحمد بن ميمون بن كامل الحمرأوي لم أجده ترجمه.

فالحديث ضعيف، وكل طرقة شديدة الضعف إلا المرسل، وهو كما يقول العراقي رحمه الله في «التقييد والإيضاح» ص (١١٦) بعد ذكر أكثر من جاء عنهم الحديث من الصحابة، قال: وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء، أو ليس فيها شيء يقوي المرسل المذكور، والله أعلم. اهـ.

ولا يحتاج إلى تأويل من تأوله: أنه خبر يراد به الأمر، وهي رواية للمرسل المذكور عند ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٧/٢).

وهذا التأويل يحتاج إليه عند صحة الحديث. وهيهات؟!

قوله: (والجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد وسبله، وما المراد إلا بيان الحق وانتصار الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما تطابق عليه القرآن الكريم والسنة الغراء): نعم الجهاد باللسان أحد أنواع الجهاد بل هو الجهاد الأول، وجهاد السيف للكفار، أما جهاد اللسان فيُجاهد به الكفار، والمنافقين، والمبتدعة، وعصاة المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّمَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ: يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ؛ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ».

رواه مسلم برقم (٥٠).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

رواه مسلم برقم (٤٩).

فالجهد باللسان هو الدرجة الثانية لتغيير المنكر بعد العجز عن تغييره باليد، وقد تقدم فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله: (ولا أعيب على من خالفني في شيء):

هذا الفعل غلط أن لا يعيب المؤلف على من خالفه في شيء، وهي هفوة؛ ويرد هذا القول أمور ذكرها المؤلف نفسه، منها:

أحدها: أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيها: أدلة النصيحة للمسلمين.

ثالثها: أدلة الجهاد باللسان، وغيرها.

وقد تقدمت كلها، إلا إذا أراد المؤلف رحمه الله أن لا يعيب على من خالفه في شيء مما يسوغ فيه الخلاف، والاختلاف فيه اختلاف أفهام، مما اختلف فيه السلف، فهذا لا بأس به، لكن لابد من التفصيل، ولا يصلح الإجمال فيه.

قوله: (ولا يعاب التقصير فيه علي، لأنني مقرر به، وأهله، ومحلّه، مع الدعاء، واللجأ إلى الله سبحانه أن يهديني للهدى ويسر الهدى لي).

وقد وعد به في كتابه الحكيم مؤكداً بمؤكدات فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾

[الليل: ١٢].

وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩].

هذا للخلق عموماً وللمؤمنين خصوصاً: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]:

وإذا كان هذا الدعاء واللجوء إلى الله مع تحري الحق والبحث عنه، فإن الله سيهدي له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قوله: (وإنما يضل أكثر الخلف من تركهم العمل بآيات الله البيّنات، والسنة وتطلبهم غيرها، قال الله تعالى: ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]).

فليحذر من ذلك كل الحذر من عدم القنوع بما قنع به السلف من حجج الله، فيا له من تخويف شديد، ووعيد عظيم.

وإنما يعرف الحق من جمع خمسة أوصاف:

أعظمها الإخلاص، والفهم، والإنصاف، ورابعها، وهو أقلها وجودًا وأكثرها فقدانًا: الحرص على معرفة الحق، وشدة الدعوة إلى ذلك.

والبدع قد كثرت، والمحدثات قد عمت، وعمت البلوى بالإشراك، وكثر الدعاء إليها، والتعويل عليها، وطلاب الحق اليوم شبه طلابه في أيام الفترة وهم سلمان الفارسي):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ، مِنْ فِيهِ قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جِيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرَبَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، أَيْ مَلَأَ النَّارَ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَأَجْهَدْتُ فِي الْمُجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقَدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تُخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشَغِلَ فِي بُنْيَانِ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ شَغِلْتُ فِي بُنْيَانِ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ

فَاطْلَعَهَا وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمُرُ النَّاسَ؛ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ.

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي، وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ: أَيُّ بَنِيَّ أَيْنَ كُنْتُ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَاهَدْتُ إِلَيْكَ مَا عَاهَدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ هُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ أَيُّ بَنِيَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي فَجَعَلَ فِي رِجْلِي قَيْدًا ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ.

قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَيَّ النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَارُّ مِنْ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ.

قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَارُّ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ، وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَأَذِّنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبِرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلِي، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟

قَالُوا: الْأَسْفَفُ فِي الْكَيْسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ؛ أَخَذْتُكَ فِي كَيْسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ، وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلٌ سَوْءٌ؛ يَأْمُرُهُم بِالصَّدَقَةِ، وَيُرْغِبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَوَرِقٍ! قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بَعْضًا شَدِيدًا؛ لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ.

ثُمَّ مَاتَ فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَذْفُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلًا سَوْءًا؛ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَيُرْغِبُكُمْ فِيهَا، فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا. قَالُوا: وَمَا عَلِمُكَ بِذَلِكَ؟

قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَذْلُكُمْ عَلَى كَنَزِهِ، قَالُوا: فَذَلْنَا عَلَيْهِ.

قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخَرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا، وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نَذْفُوهُ أَبَدًا، فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَعُوا بِالْحِجَارَةِ.

ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلَامٌ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخُمْسَ أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَذَابُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ، وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مِنْ قَبْلِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَلِمَ مَنْ تُوَصِّي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيُّ بُنَيِّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ، وَبَدَّلُوا، وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ وَهُوَ فُلَانٌ فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ فَالْحَقُّ بِهِ.

قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ، لَحَقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي أَقُمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ أَيُّ بُنَيَّ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا رَجُلًا بَنَصِييْنٍ، وَهُوَ فُلَانٌ فَالْحَقُّ بِهِ. قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ نَصِييْنٍ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقُمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِيهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثْتُ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيُّ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَبْقَى عَلَى أَمْرِنَا أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بَعْمُورِيَّةً؛ فَإِنَّهُ بِمِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا. قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحَقْتُ بِصَاحِبِ عَمُورِيَّةً، وَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي، فَقَالَ: أَقُمْ عِنْدِي. فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَذِي أَصْحَابِهِ، وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاکْتَسَبْتُ؛ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ، وَغَنِيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟

قَالَ: أَيُّ بَنِيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَمْرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيِّ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ، يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْمَدِينَةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النَّبَوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ.

قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُورِيَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمُكُّثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ وَأَعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغَنِيمَتِي هَذِهِ؟

قَالُوا: نَعَمْ. فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا، وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقَرَى، ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا، وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرِ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذَقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمِّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فَلَانُ قَاتَلَ اللَّهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْآنَ لُمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ، عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ!

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ؛ حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ: عَمِّهِ ذَلِكَ مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟

قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي، فَلَكَمَنِي لَكَمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَهَذَا، أَقْبِلْ عَلَيَّ عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أُسْتَشِيتَ عَمَّا قَالَ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْبَاءُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ؛ غُرَبَاءُ، ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ. قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُوا»، وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ فَقُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ. ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بَبِيعِ الْعَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبَعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ سَمَلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ؛ هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاسْتَدَرَّتُهُ عَرَفَ أَنِّي أُسْتَشِيتُ فِي شَيْءٍ وَوَصَفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ، فَعَرَفْتُهُ، فَاثْبَتْتُ عَلَيْهِ أُقْبَلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَحَوَّلْ»، فَتَحَوَّلْتُ فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ.

قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقُّ، حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْدَرٌ، وَأُحِدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَاتِبُ يَا سَلْمَانُ»، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ، وَبِأَرْبَعِينَ أَوْقِيَّةً،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَلَاءُ صَحَابِيهِ: «أَعِينُوا أَخَاكُمْ» فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ؛ الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةٍ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذهب يا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ لَهَا فَإِذَا فَرَغْتَ فَأَتِنِي أَكُونُ أَنَا أَصْعَمُهَا بِيَدِي»، فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِيَ إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوُدْيَ وَيَصْعَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بِيضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمَكَاتِبُ؟» قَالَ: «فَدَعَيْتُ لَهُ»، فَقَالَ: «خُذْ هَذِهِ فَأَدِّبْهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ»، فَقُلْتُ: «وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِمَا عَلَيَّ؟» قَالَ: «خُذْهَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُودِّي بِهَا عَنْكَ».

قَالَ: فَأَخَذْتُهَا، فَوَرَنْتُ هَمَّ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَقْتَنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ.

رواه أحمد (٤٤١/٥ - ٤٤٢).

هذا حديث حسن.

قوله: (وزيد بن عمر بن نفيل):

روى البخاري في صحيحه برقم (٣٨٢٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلَدِ حِمْيَرَ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا حَيٍّ، فَقَدَّمْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةً، فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ

أَكُلْ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ، وَلَا أَكُلْ إِلَّا مَا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو
كَانَ يَعْيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ، وَيَقُولُ الشَّاةُ خَلَقَهَا اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ،
وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ! إِنْكَارًا لِلذِّكْرِ وَإِعْظَامًا لَهُ.

٣٨٢٧ - وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ
الدِّينِ، وَيَتَّبِعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ، فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أُدِينَ
دِينَكُمْ. فَأَخْبَرَنِي، فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيحِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ.

قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى
أَسْتَطِيعُهُ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا.

قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ
إِلَّا اللَّهَ. فَخَرَجَ زَيْدٌ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا
حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيحِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ،
وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ! فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ حَنِيفًا.

قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا
اللَّهَ. فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَرَجَ فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ
إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

قوله: (وأضرابهما):

مثل عمرو بن عبسة، ففي صحيح مسلم برقم (٨٣٢) عَنْ عَمْرٍو بْنِ عَبْسَةَ
السُّلَمِيِّ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى

شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرْءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ» فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ» فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصَلَاةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ» قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ» قَالَ وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَاتِنِي» قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ» قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحَيْثُ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْقِلَ الظِّلُّ بِالرُّمَحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حَيْثُ تَسْجُرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحَيْثُ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَالْوُضُوءُ حَدَّثَنِي عَنْهُ، قَالَ: «مَا

مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ، فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَبَجَدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا أَنْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

وكذا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَأَعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمِعْ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَتَيْتَنِي، فَاَنْطَلَقَ الْآخِرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشُّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ، فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ - يَعْنِي اللَّيْلَ - فَاضْطَجَعَ، فَرَأَاهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَأَاهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قُرْبَتَهُ وَرَآدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَلَا يَرَى النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ فَقَالَ: مَا أَتَى لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ، فَأَقَامَهُ فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ وَلَا يَسْأَلُ وَاحِدًا مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّلَاثِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَهُ عَلِيٌّ مَعَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا

الْبَلَدَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِي فَعَلْتُ، فَفَعَلَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخِلِي، فَفَعَلَ، فَاَنْطَلَقَ يَقْفُوهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَدَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي»، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَصْرَحَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَنَارَ الْقَوْمِ فَضْرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، فَاتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غَفَارٍ وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ.

رواه البخاري برقم (٣٨٦١)، ومسلم برقم (٢٤٧٤) وهذا لفظه.

قوله: (فإنهم قدوة لطالب الحق، وفيهم له أعظم أسوة لما حرصوا على الحق وبذلوا الجهد في طلبه حتى بلغهم الله إليه، وأوقفهم عليه، وفازوا من بين العوالم الجمّة):

وسحرة فرعون رحمهم الله لما عرفوا الحق رجعوا إليه بغير تردد، قال الله جل وعلا: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ

* يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نُنْقِمْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿[الأعراف: ١٠٤-١٢٦].

وانظر لحال جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

رواه البخاري برقم (٤٨٥٤) وهذا لفظه، ومسلم برقم (٤٦٣).

قوله: (فكم أدرك الحق طالبه في زمن الفترة، وكم عمي عنه من طلبه في زمن النبوة، فاعتبر بذلك، واقتد بأولئك الكرام، فإن الحق ما زال مصوناً عزيزاً نفيساً

كريمًا، لا ينال مع الإضراب عن طلبه، وعدم التشوق والإشراف إلى سببه، ولا يهجم على البطالين المعرضين، ولا يناجي أشباه الأنعام الضالين):

والعبرة في ذلك هو قصد الحق وإرادة الحصول عليه، فمن تحراه وبحث عنه وجده بإذن الله رب العالمين: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قوله: (ما أعظم المصائب بالغفلة، والاعتذار بطول المهلة، فليعرف مريد الحق قدر ما هو طالبه، فإنه طالب لأعلى المراتب: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]، ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣].

فليس في الوجود بأسره أعز من الإيمان بالله وكتبه ورسله، ومتابعتها، ومعرفة ما جاءوا به، إلا تطلب ذلك أهون الطلب، فإن طلبة الدنيا وزخارفها الفانية، يرتكبون الأخطاء والمتالف الكبار، وينفق أحدهم غضارة عمره، ونضارة شبابه، وإبان أيامه فيها، وهي لا تحصل لهم على حسب المراد، فكيف بما هو أبقي وخير منها؟ ولم يرفعوا له رأسًا ولم يبنوا لها أساسًا.

وإنما أطلنا القول):

لا تعرض بين هذا وبين قوله فيما تقدم، أنه جملة مختصرة؛ فالكتاب جملة مختصرة، لكنه أطال في هذه الفقرة بعينها.

قوله: (لأنني أعلم بالضرورة في نفسي وغيري أن جهل الحقائق أكثرها إنما سببه عدم الاهتمام بمعرفتها على الإنصاف، وترك الاعتساف، لا عدم الفهم والإدراك، فإن

من اهتم بشيء أدركه، فكيف لا يفهم طالب الحق مقاصد الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين، مع الاهتمام به، وبذل الجهد فيه، وحسن القصد، ولطف أرحم الراحمين؟ ولا ينبغي لطالب الحق والصواب أن يصغي إلى من يصده عن كتب الله، وما أنزل فيها من الهدى والنور والرحمة لطفاً للمؤمنين ونعمة للشاكرين، وليحذر كل الحذر من زخرفتهم وتشكيكهم، وليعتبر بقول الله لرسوله المعصوم: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]:

تقدم فصل لهذا بعنوان: فصل في الجدل والمعاصي وأخذ الحلال.

قوله: (يا لها من موعظة موقظة! ﴿لَمِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]).

ولا يستوحش من ظفر بالحق بكثرة المخالفين، وليوطن نفسه على الصبر واليقين، نسأل الله تعالى أن يرحم غربتنا في الحق، ويهدي ضالتنا، ولا يردنا من أبواب رجائه ودعائه وطلبه ورحمته محرومين.

وخامسها، وهو أصعبها: المشاركة في العلم والتميز والفهم والدراية حتى يتمكن من معرفة الحق، ومقدار ما يقف عليه، فيرغب فيه من غير تقليد؛ لأنه لا يعرف المقادير إلا ذو بصر نافذ، وفهم ماضٍ، فإن عرضت له محنة، لم يتطير بطلب الحق، فيكون ممن يعبد الله على حرف، وليثق بمواعيد الله وقرب الفرج.

قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وليعلم يقيناً أنه تعالى مع الصابرين، والصادقين، والمحسنين، وأن الله سبحانه ناصر من ينصره، وذاكر من يذكره، وإن سر رسول الله ﷺ في هذه الأمور عائد على متبعيه ونصره شامل لناصريه):
تقدم ذكر الصبر.

والله تعالى يقول: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

رواه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

قوله: (وقد أمر الله تعالى بالمعونة على البر والتقوى):

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قوله: (وصح الترغيب في الدعاء إلى الحق والخير، وأن الداعي إلى ذلك يؤتى مثل أجور من اتبعه):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

رواه مسلم برقم (٢٦٧٤).

وَعَنْ جَرِيرٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءَ عُرَاةٍ مُجْتَابِي النَّارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِإِلَافَةٍ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [النساء: ١] وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحُسْرِ [١٨]: «اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ» تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».

رواه مسلم برقم (١٠١٧).

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَبْدَعُ بِى فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ: «مَا عِنْدِي» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَذْلُهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».

رواه مسلم برقم (١٨٩٣).

وأدلة الباب كثيرة.

قوله: (ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس جميعاً):

قال الله جل في علاه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

فإذا كان هذا في الحياة الحسية، فالحياة المعنوية هي أولى، لا وهي الحياة الحقيقية، قال المولى تبارك وتعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

رواه البخاري برقم (٦٤٠٧).

قوله: (ومن أمر بالصالح والإصلاح ابتغاء مرضات الله فسوف يؤتیه أجرًا

عظيمًا):

قال الله جل في علاه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

قوله: (وفي «سورة العصر» قصر السلامة من الخسر على: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ٣]﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وأنا أستغفر الله، وأسأله التجاوز عني والمسامحة في كل ما أخطأت، فإني محل الخطأ والغلط وأهله):

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي، أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...» الحديث.

رواه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وما أكثر ذنوب العباد لولا عفو الله وتجاوزه عنا لهلكنا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

قوله: (وهو سبحانه أهل التقوى والمغفرة والسعة والمساحة والغنا الأعظم، والكرم الأكبر، عن مضايقة المساكين والجاهلين، إذا كان الله سبحانه وتعالى غنياً عن عرفان العارفين، غير متضرر بجهل الجاهلين):

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدر: ٥٦].

قال الله تعالى: ﴿وَاَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

قوله: (وآخر كلامي كأوله: أن الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وشفيع المذنبين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الراشدين المهديين إلى يوم الدين):

ختم الكلام بحمد الله مشروع؛ قال الله تعالى: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وقال الله جل في علاه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

واختتمت سورة الإسراء بالحمد، قال الله جل وعلا: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ

تَكْبِيرًا ﴿[الإسراء: ١١١].

قال الله سبحانه وتعالى في آخر سورة الصافات: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].
قوله: (هذا وكان الفراغ من زبرها غداة يوم الأربعاء من شهر ذي القعدة سنة تسع وثمانين ومائتين وألف في بلدة بهوبال المحمية، صانها الله تعالى وأهلها عن جميع البلية والرزية.

وأنا العبد الفقير إلى الله، الغني به عمن سواه، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي بن الحسين القنوجي، غفر الله زللك وأصلح خللك، وتقبل عمله، وبلغه أمله.
قد جمعها تعليماً لفلذة كبده، وأصغر ولده، وثمره فؤاده، السيد علي بن صديق بن حسن فسح الله في علمه، وعمره، وعمله، وأمه، وبارك له وفيه وعليه، وكان مدى الأزمان في مدده، وسميتها:

«قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر»

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

نظم:

له السموات وهو الواحد الباري

لعل جامعهم ينجو من النار

إني سألتك بالله الذي خضعت

إذا تأملت فاستغفر لجامعه

ثم اختتم هذا الكلام على هذا النظام.

نظم:

يا رب إن عظمت ذنوبي جهرة	فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن	فبمن يلوذ ويستجير المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا	لعظيم عفوك ثم إني مسلم

انتهى كتاب «قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر».

وبه ينتهي شرحه الذي أسميته: «الفقه الأكبر بشرح قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر».

وأسأل الله العظيم أن ينفع به نفعًا عظيمًا، وأن يجزل لنا ولمؤلفه الأجر والثواب.

المحتويات

٣.....	نزول عيسى ابن مريم عليه السلام
٣.....	صفة عيسى عليه السلام:
٩.....	المهدي:
١٩.....	يأجوج ومأجوج:
٢٢.....	صفة يأجوج ومأجوج:
٣١.....	طلوع الشمس من مغربها:
٣٤.....	خروج الدابة:
٣٩.....	صفة الدابة:
٤٠.....	خروج النار:
٤٤.....	كيف تحشر النارُ الناسَ:
٥٣.....	علامات أخرى:
٥٣.....	الأول الخسوفات الثلاث:
٥٤.....	الثاني: الدخان:
٥٦.....	الأول: بعثة النبي
٥٦.....	الثاني: موت النبي
٥٦.....	الثالث: فتح بيت المقدس
٥٦.....	الرابع: موتان كعاص الغنم، وقيل إنه طاعون عمواس

- الخامس: استفاضة المال ٥٦
- السادس: ظهور الفتن ٥٦
- السابع: هدنة بين المسلمين وبين الروم، ٥٧
- الثامن: قتال اليهود ٥٧
- التاسع: ظهور الشرك ٥٧
- العاشر: تمنى الموت ٥٨
- الحادي عشر: خروج القحطاني ٥٨
- الثاني عشر: فتح القسطنطينية ٥٨
- الموت ٦٤
- المنكرون لعذاب القبر: ٨٩
- هل الروح تموت أم الموت للبدن وحده: ١٣٠
- هل تعاد الروح في القبر: ١٣٤
- هل عذاب القبر ونعيمه للروح والبدن أم لا؟ ١٣٤
- مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة: ١٣٤
- الحشر: ١٤٢
- قوله: (فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين): ١٤٢
- أرض المحشر: هي الشام: ١٦١
- مواقف في الحشر يوم القيامة بعد قيام الناس من قبورهم: ١٦١
- طول يوم القيامة: ١٦٤

١٦٥	الشفاعة الكبرى العظمى:
١٦٥	بعض من ينجيهم الله من أهوال يوم القيامة:
١٦٥	القصاص يوم القيامة:
١٦٦	أول من يُحاسب:
١٦٨	الميزان:
١٧٢	وهل الوزن لكل الناس:
١٧٥	مراتب المعاد:
١٨٠	مرجحات الميزان:
١٨٢	الدواوين:
١٨٥	الحساب:
١٨٧	من يحاسب ومن لا يحاسب:
١٩٤	الصُّور:
٢٠٠	عدد النفحات في الصور:
٢٠٣	الذين استثناهم الله من الفزع:
٢٠٥	اللوح:
٢٠٧	القلم:
٢١٢	الحوض:
٢١٣	صفات الحوض:
٢١٩	هل الحوض قبل الصراط أم بعد الصراط؟

- ٢٢١ وأيهما قبل الحوض أم الميزان؟
- ٢٢٢ أين يكون الحوض؟
- ٢٢٢ أول من يرد الحوض على النبي
- ٢٢٣ هل لكل نبي حوض؟
- ٢٢٤ من يطرد عن الحوض:
- ٢٢٦ الكوثر:
- ٢٢٧ هل الكوثر هو الحوض أو غيره؟
- ٢٢٧ المنكرون للحوض:
- ٢٢٩ الصراط
- ٢٣٢ صفة الصراط:
- ٢٣٧ أول من يستفتح الجنة ويدخلها
- ٢٣٨ الجنة والنار
- ٢٤٢ رؤية المؤمنين لرب العالمين يوم القيامة
- ٢٨٢ هل كانت هذه الرؤية ليلة المعراج:
- ٢٨٤ أقسام الناس في رؤية الله تبارك وتعالى:
- ٢٨٦ شبهة وجوابها:
- ٢٨٧ الملائكة
- ٢٩٤ ومن علمنا عمله منهم وعرفنا اسمه:
- ٢٩٧ ومن علمنا عمله ولم نعلم اسمه:

٣٠٢	 خَلَقُ الملائكة:
٣٠٢	 والملائكة لا يدخلون بيئات فيه كلب ولا صورة:
٣٠٤	 أيهما أفضل الملائكة أم صالحو البشر:
٣١٤	 الشياطين
٣١٧	 أصحاب الكبائر من المسلمين
٣٢٣	 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٣٠	 الخلافة
٣٣٩	 موقف المسلم في الفتن:
٣٥٠	 الاستثناء في الإيمان
٣٥٣	 الجدال والمعاصي وأخذ الحلال
٣٦٢	 جهاد الكافرين
٣٦٥	 الدعاء لأئمة المسلمين
٣٦٧	 السحر:
٣٨٥	 الأطفال
٣٩١	 الصبر
٣٩٣	 الإخلاص
٣٩٩	 النصيحة
٤٠٤	 الدين هو القرآن والسنة على فهم السلف
٤٢١	 اتباع السنة وترك البدع

٤٥٠	فصل في الاعتقاد بالكتاب والسنة
٤٩٠	تعليم الصبي هذه العقائد
٤٩٢	خاتمة الرسالة
٥٢٢	المحتويات

